يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني
2
2007

حكاية حكاية
الجزء الثاني

النشرة الشهرية

أكتوبر 2007

النص البشري في سوائه و إضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

يوميات أكتوبر 2007

المجلد 2، الجزء 2- سبتمبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النـــص البشـــري فـــي سوائـــــه و إضطرابـــه

... قـــــــراءة من منظـــــور تطـــوري

بروفســــور يحيــــى الرخـــاوي

يوميـــــــات أكتوبـــــــــــر 2007

الفهـــــــــــــــرس

الإثـنـيـن 2007-10-01:

31- الصوفـيـة والـفـطرة والـتركـيب الـبشرى (2) 148

الـثلاثـاء 2007-10-02:

32- سر الـلـعبة 154

الإربـعـاء 2007-10-03:

33- الـلعب مع الأسويـاء: خفـيف خفـيف!! 161

الخمـيـس 2007-10-04:

34- فى شرف صحبة "نجيب محفوظ" (2) 167

الجمـعـة 2007-10-05:

35- حـوار/ بـريـد الجمعة 172

الـسبـت 2007-10-06:

36- الـطفل: "مشروع" يحمل كل الـنقـائض!! فـلا تختزلـوه !! 191

الأحـد 2007-10-07:

37- الخوف من الحب (1) 199

الإثـنـيـن 2007-10-08:

38- الخوف من الحب (2) 212

الـثلاثـاء 2007-10-09:

39- "طاغور" يـرد "عليها" قبل أكثر من نصف قرن 221

الإربـعـاء 2007-10-10:

40- الـتحكُّمْ، والخوف من فقدةً (2) 223

الخمـيـس 2007-10-11:

41- فى شرف صحبة نجيب محفوظ (3) 230

الجمـعـة 2007-10-12:

42- حـوار/ بـريـد الجمعة 236

الـسبـت 2007-10-13:

43- الـعيد .. والـنـاس.. والحب.. وربـنـا ! 249

الأحـد 2007-10-14:

44- الـتحكُّمْ، والخوف من فقدةً (3) 252

الإثـنيــن 15-10-2007:
45- بـعض وصف بـعض مصر (1) 261
الـثلاثـاء 16-10-2007:
46- من ملف الـقيم والأخلاق: بحث علمى شعبى !! (2) 267
الإربـعاء 17-10-2007:
47- لـغة الـطبقة "الـبيئة"، والـقيم الـلاأخلاقية فى الأمـثال الـشعبية 271
الخميــــس 18-10-2007:
48- نجيب محفوظ: قـراءة فى أحلام فـترة الـنقـاهة (2) 278
الجمعـــــة 19-10-2007:
49- حوار/ بـريـد الجمعة 282
الـسبـــــت 20-10-2007:
50- الـتحكُّمْ، والخوف من فـقـدةً (4) 289
الأحـــــد 21-10-2007:
51- سؤال & جواب عن الإدمـان 295
الإثـنيــن 22-10-2007:
52- الـتحكُّمْ، والخوف من فـقـدةً (5) 301
الـثلاثـاء 23-10-2007:
53- "أدمغة" المدمن ومستويـات الـوعى (1) 307
الإربـعاء 24-10-2007:
54- "أدمغة" المدمن ومستويـات الـوعى (2) 314
الخميــــس 25-10-2007:
55- قـراءة فى "أحلام فـترة الـنقـاهة" (3) 324
الجمعـــــة 26-10-2007:
56- حـــوار/ بـريـد الجمعة 329
الـسبـــــت 27-10-2007:
57- الـتحكُّمْ، والخوف من فـقـدةً (الأخير) 340
الأحـــــد 28-10-2007:
58- الـسيرة الـذاتـية والإبـداع (1) 346
الإثـنيــن 29-10-2007:
59- الـسيرة الـذاتـية والإبـداع (2) 352
الـثلاثـاء 30-10-2007:
60- حـالات وأحـوال (طب نـفسى) 359
الإربـعاء 31-10-2007:
61- ...فى مـثل "ذلـك" الـيـوم: "وعد بـلفـور" 370

الإثنيـــــــن 01-10-2007

31- الصوفيــــة والفطــــرة والتركيــــب البشــــرى (2)

مستويات الوعى وأساطير المتصوفة
(مولانا الخضر العصر الحديث: ألمانى الجنسية)

إشكالة الإنسان المعاصر أنه اكتفى أن يعيش بما يستطيع إثباته، تماما مثل حل تمرين الهندسة الذى ينتهى من خلال تطبيق نظريات محددة إلى الختام بتعبير: **"وهو المطلوب إثباته".**

سبيل المعرفة الحقيقية لا تعرف أصلا "ما هو المطلوب إثباته.

الصوفية، وهم من أهم أهل المعرفة الحقيقية، وقفوا من هذه المسألة موقفا عميقا، لك للأسف لم تسعفهم اللغة ليصلوا إلى عامة الناس (ناهيك عن العلماء القساوسة) بما ينفعهم فى حياتهم اليومية، وفى طريقهم إلى الحق تعالى.

الصوفية حذقوا الرؤية، وصدقوا المحاولة، لكنهم لم يمتلكوا المنهج العام، ولا حذقوا استعمال أدوات التطبيق التى تمكنهم من منافسة المعرفة الفوقية الرمزية المختزلة، لا لتحل محلها، وإنما لتتكامل معها وبها.

العلم المؤسساتى التقليدى، هو المسئول جزئيا عن اختزال الإنسان إلى **المطلوب إثباته**

الدين السلطوى المعقلن الذى يتمسح بهذا العلم اختزل الله أيضا (أستغفره سبحانه) إلى "المطلوب إثباته"!!

العلم المؤسساتى لا تتعدى إنجازاته خدمة العقل المنطقى الحاسب، ومجتمع الرفاهية، والحريات المكتوبة، وحقوق الإنسان المثبتة فى المواثيق.

حين ظهر العلم المعرفى الحديث منذ بضعة عقود، ثم العلم المعرفى الأحدث منذ عقدين من الزمان اختلف الحال.

العلم المعرفى جاء يعلن لنا **مستويات أخرى** نفكر بها، ونقرر بها، ونؤمن بها، ونحب بها، ونبدع بها، يفعل ذلك إذ يؤكد أن عندنا أدوات أخرى غير الرمز، وإشارات أخرى غير الإشارات المبرمجة الثابتة، وأن كل هذه المناهل الأخرى هى الأقدر على توصيلنا إلى أنفسنا، نحو المطلق سعيا إلى وجه الحق سبحانه تعالى.

ما أن أعلن هذا العلم الجديد جدا أن **التفكير ليس بالرمز فقط**، حتى سارعت الكنيسة الحاسوبية الكبرى high-computationally church (العلم المؤسساتى السلطوى) بتكفيره، تماما كما كفرت كنيسة القرون الوسطى كوبرنيكس، ولما تقدم خطوة أخرى ليعلن هذا العلم الجديد الرصين **أن المعرفة ليست فقط بالمخ** ، حتى تأكد كفره (هرطقته) وطردوه فعلا من كنيسة الدين العلمى السلطوى التقليدى.

أين تقع المعرفة الصوفية المبدعة من كل هذا؟

المتصوفون عامة، والمتصوفون الإسلاميون خاصة توصلوا إلى هذه الحقائق من قديم، وقد سبقت الإشارة فى **)يومية 9/30"الصوفية والفطرة والتركيب البشرى("** إلى المحاولات الأحدث لربط التصوف بالرياضة الحديثة والطبيعة الحديثة.

نحن تركنا وراءنا كل هذا، واعتبرنا أنه ليس عندنا فلاسفة بالمعنى الأشمل

كما اعتبرنا التصوف الإبداعى غامض ومن أحوال الخاصة،

وأن التصوف الشعبى ليس إلا موالد وسرادقات ورقص وتهريج،

فعلنا ذلك وفى نفس الوقت لم نحذق فيه استعمال أدوات وقدرات العلم المؤسساتى المعلوماتى، فلم يتبق لدينا سوى الخرافة على ناحية، حتى تعاملنا مع الأسطورة للأسف : على أنها خرافة أيضا، وامتد الاختزال إلى نظم التعليم ، فاكتفينا بالتعليم التلقينى الذى يحل محله أحيانا - بل غالبا- الغش الجماعى والغش الرسمى، ثم رحنا نغير على خيال أطفالنا وفطرتهم ونحن نقدم لهم قصص مكارم الأخلاق (كما نتصورها) فنقفل عليهم أبواب الخيال ورحابة الفطرة.

فى نفس الوقت عجزنا عن أن نحصل على، أو نستعمل بكفاءة: أدوات العلم السلطوى الأحدث` واكتفينا بالتقليد السطحى الأعمى.

كل ذلك كان مرتبطا بقصر الاهتمام والبحث على مستوى واحد مما أسميناه "العقل"، وأحيانا نسميه "الوعى" ونحن نقصد به "الشعور" أو المنطق الظاهر. فنحرم أنفسنا من عقولنا الأخرى، ومستويات وعينا الباقية، مع أن كلا من التاريخ والاتجاه الأحدث يصران أن هذه المستويات المهملة هى أكثر فاعلية , وأنشط حركة، وأعمق إيمانا وإنسانية

هذا الاختزال الذى اختزل إليه الإنسان ترتبت عليه مصائب كبرى، **ليس أقلها سيطرة المال على الحياة، وسيطرة الاستهلاك على الاستمتاع، وسيطرة الشركات على الحكومات، وسيطرة السلاح على مصائر البشر فى كل مكان.**

(ليس هذا وقت تفصيل ذلك، لكن لا بد أن هذه الزاوية اليومية سوف ترجع إلى بعض ذلك مرارا وتكرارا.)

مـارى شيـمل ومـولانـا الخضر

راحت "مـارى شيـمل فى كـتابها الـذى ذكـرنـاه أمـس عن تـاريخ الـتصوف الإسلامـى تـبنى جدارا فـوق كـنوزنـا المدفـونـة - مـثلـما فـعل مـولانـا الخضر بجدار الـصغار- لـعلـنا نـنمو فـنجده،

وهذه الـيومـية هى محاولـة لـلكشف عن بـعض جواهر هذا الـكنز.

حين يـصل الأمـر بـالمـتصوفـة إلى سب الـعقل سبا عـلـنيا، فـهم لا يـتنازلـون عن المنطق الـعقلى ولـكنهم يـدعونـنا لـوضع مـا نـسميـه الـعقل فى مـكانـه المـتواضع

وحين يـتكـلم المـتصوفة عن مـستويـات المعرفـة، فـهم يـعرفـونـنا بمستويـات وجـودنـا

وحين يـتكـلم **دانـييل ديـنيت عن أنـواع الـعقـول Kinds of Minds Daniel C. Dennet 1996**، لا يـرشـو المـتصوفـة ولا يجامـلـهم، وحين تـؤيـد الـطبيـعة الحديـثة مـايـسمى شطحات المـتصوفـة، تـفعـل شيـئا آخر، مـنـاقـضا تـماما لمـا يجرى من عـبث وتـسطيح مـزدوج فـيمـا يـسمى"الـتفسير الـعـلمى لـلـقرآن" مـثلا،

صحيح أن المـتصوفـة لهم لـغتهم الخاصة، ولـكـنهـا كـمـا أشرنـا أمـس لـغة مـوازيـة.

حين تـقـتطف مـارى شيـمل فى كـتـابها عن الـتصوف الإسلامـى مـقـتطفـا تـسميـه "أسطـورة ديـنيـة"، فـهى تـدعونـا -ضمنـا- لاسـتلـهام حدس هـؤلاء الـعـارفين الأوائـل، دون الـتـوقف عند المعنى الـشائـع لألـفـاظهم، فـلا الـسبعـة آلاف سنـة هى سبـعة آلاف سنـة (فى المـقـتطف الـذى سنـعرض لـه حـالا)، ولا الـعقـل الـذى تـضعـه بـعض المـتصوفـة فى أدنى مـراتـب أدوات المعـرفـة هـو عقل بـرتـرانـد رسل أو عقـل أيـنشتايـن أو عقـل نجيب محفـوظ، أو حتى عقـلى وعقـلك،

الأسطـورة هى أيـضا كـنز من كـنـوز المعرفـة الجماعيـة الـتـارخيـة، عـليـنا نـقـرأهـا دون أن نـربـطها بـالـدجل أو الخرافـة كـمـا فـعل الـصديـق الـذى رددنـا عليـه فى بـريـد الجمـعة الـسابـق.

الأسطـورة أقـرب إلى خيـال الأطفـال كـمـا يـتجلـى فى حكـايـات هـانـز كـريـسيـان أنـدرسون ولـيس كـما يـتشوه ويـوصى عليـه فى مجلـة عـلاء الـديـن وبـرامج الأطفـال فى تـليـفزيـونـنا الـساذج.

حين يـبـتدع المـتصوف لـغتـه الخاصة، ويـؤلـف أساطيره، فـهـو أقـرب إلى الـطبيـعة الحديـثة والـعلـم المعرفى

بـعد كل هذه المقدمـة الـتى بـلـغت نـصف الـيـومـيـة دعـونـا نـقرأ بـعض المقتطفـات من كـتـاب مـارى شيـمل الـذى أشرنـا إلـيـه

كل المطلـوب - من فضلك- هو الـتقـاط

(1) تـنـوع أشكـال المعرفـة
(2) تـعـدد مـستويـاتها
(3)تـصعيـد الـترتـيـب
(4) اخـتلاف الـلـغات - لا أكـثر (عـلى الأقل فى المرحلـة الحالـيـة):

المقتطف الأول ص 220

استخرج "أبصر النوراني" أبرع اتجاهات معرفية "من القرآن" بطريقة عبقرية (هكذا وصفته مارى)

- الصدر وهو مرتبط بالإسلام
- والقلب وهو محل الإيمان
- والفؤاد وهو مرتبط بالمعرفة
- واللب وهو مقر التوحيد

(أرجوك لا تحاول أن تشير إلى قفصك الصدرى وأنت تقرأ كلمة الصدر،

ولا تنتبه إلى ضربات قلبك وأنت تقرا "القلب"،

ولا تحاول أن تفرق بين القلب والفؤاد

إنتظر بعد الباقى من فضلك)

المقتطف الثانى ص221

لَخص "عمرو المكى" **أسطورة** دينية: (هكذا سمتها المؤلفة) بعض أفكار الصوفية المتقدمة قائلا:

" إن الله تعالى:

- خلق القلوب قبل الأجساد بسبعة آلاف عام، وحفظها ا فى مقام خلقه
- وخلق الأرواح قبل القلوب بسبعة آلاف عام، وحفظها فى جنة الأنس به
- وخلق الألباب قبل الأرواح، بسبعة آلاف عام وحفظها فى مقام الوصل به

ثم حَبَسَ

- اللب فى الروح
- والروح فى القلب
- والقلب فى الجسد

ثم اختبرها وأرسل الرسل، فبدأ كل منها بالبحث عن مقامه الخاص:

- فانشغل الجسد بالصلاة
- ووصل القلب إلى الحب
- وبلغت الروح القرب من الرب
- ووجد القلب استقراره فى الوصل بالله

(كما اتفقنا: أرجوك لا تقرأ السبعة على أنها سبعة، ولا الألف على أنها ألف،.. إلخ)

ثم تقول المؤلفة ما وصلها مقابل ذلك عن **مستويات الوعى:**

"..وبنفس المستوى تم تنظيم أنواع الكشف المختلفة التى قد يتعاطاها الصوفية "تبعا *لمستويات الوعى"/المتباينة* التى تسير عليها...وانطلاقا من المصطلحات التقليدية قسّم أحد اللاحقين أنواع الكشف كالأتى:

- كشف كونى ...وهو يتجلى فى الرؤى والكهانة
- وكشف إلهى .وينتج عنه معرفة عالم الأرواح والمعرفة القلبية،.....يقرأ مستور الأفكار
- وكشف عقلى وهو أصلا أحط أنواع المعرفة
- وكشف إيمانى وهو ثمرة الإيمان الكامل

لا مجال هنا لمناقشة أى من ذلك تفصيلا

فقط : لاحظ أين وضع التقسيم هذا الكشف العقلى باعتباره **"أحط أنواع المعرفة"، وهذا ليس استهانة بالعقل أو تحقيرا له**، ولكنه تنبيه إلى أنه لايمثل إلا جزءا يسيرا من أدوات المعرفة (ربما يقابل الهرطقة الثانية للعلم المعرفى التى أعلنت أن: **"التفكير ليس فقط بالمخ)**

ما وصلنى من معنى "أحط" هنا ليس سبّـا أو تحقيرا، ولكنه بمعنى : أنه أدنى أو أسفل فى المرتبة لا أكثر، لأنه وصف هذا المستوى بأنه : "قد يصل إليه أيضا الفلاسفة" بالمعنى الذى شاع عن الفلسفة أيامها، وليس بالمعنى الأحدث الأشمل الذى ربما يفخر بأن يضم المتصوفة إليه كفلاسفة عارفين.

التعقيب (مؤقتا)

1. إن مولانا الخضر الحديث ألمانى الجنسية وهو حين بنى لنا الجدار على كنوزنا لم يفعل ذلك ليظل الجدار قائما إلى الابد، ولكنه يحفظ لنا كنزنا حتى إذا بلغنا الرشد بحثنا تحت الجدار لنستخرجه، فهل آن الأوان؟
2. إن كل المطلوب هو قبول فكرة (حقيقة) مستويات الوعى، بدلا من التوقف عند الاستسلام لعقل ظاهر، أوالاستقطاب الفرويدى بين ما هو "شعور" و "لا شعور".
3. إن مستويات الوعى هذه تقابل بشكل أو بآخر : مستويات تعدد الكيانات داخلنا، ومستويات حالات العقل، فى العلم المعرفى، وأنواع العقول على مسار التطور)
4. ليس معنى تحجيم دور العقل هكذا أن نتنازل عنه، بل أن نتكامل به
5. إن الباب مفتوح لاستخراج كل كنوزنا هذه وغيرها لنترجمها إلى لغة العلوم الأحدث، ليس بمعنى التفسير العلمى لها، ولكن بمعنى الإضافة المعرفية الموازية التى أشرنا إليها أمس
6. إن مناهل المعرفة متعددة بشكل ينبغى أن يسمح لنا بتجاوز ما يسجنوننا فيه لصالح أفكارهم ومصالحهم، مرة تحت اسم العولمة، ومرة تحت اسم الديمقراطية المشبوهة، ومرةٍ تحت اسم حقوق الإنسان، كل هذه قوانين منظـِــمة أو ملطــِّفة ، قد تكون ضرورية للجماعة ، لكنها لا تتعامل إلا مع قشرة الوجود البشرى
7. علينا أن نرفض وبشدة أن نعرف الله عن طريق العلم المؤسساتى (كما أمـِل نجيب محفوظ وهو ينهى أولاد

حارتنا- الأمر الذى رفضتُــه تماما وناقشته فيه طويلا) بقدر ما نرفض وصاية العلم على النص الإلهى، حتى ولو تصورنا فرحين أن هذا سبق علمى من حقنا أن نفخر به، وكأننا نرشوا المتدينين على حرف بصفة علمية حديثة تافهة، وأيضا نرفض اختزال الإسلام على أنه "دين العقل" ، فهو – مثل كل دين حقيقى- دين كل المستويات وقنوات المعرفة "معا".

نهاية مؤقتة:

التكامل المعرفى

الثقافة

الثقافة

الثقافة

الثقافة

الثقافة

الثقافة

الثقافة

الثقافة

المعلومات

العلمية

الوعى الإيمانى

(خرى- مثل:

العمارة)

الممارسة

اليومية

الفنون

والآداب

التراث الشعبى

الموروث

البيولوجى

الجينات

الوعى الشعبى

أنهى كلمة اليوم بعرض شكل متواضع يذكرنا بخطورة ما حبسنا أنفسنا فيه ونحن نتصور أننا علماء محدثين،

وأيضا قد ينبهنا إلى خطورة ما اختزلنا تراثنا فيه متصورين أننا نحيى التراث بتذكرنا إياه والفخر الخائب بأسبقيتنا فى ما لم نتعهده وننميه باللغة الأحدث حالا ، ونتذكر أن حاملى أمانة الوعى والمعرفة يقومون بالفحر تحت الجدار الذى بناه لنا مولانا الخضر الأحدث (**ممثلا فى صاحبة الفضل مارى شيمل وآخرين**) ، وهم لا شك ينتظرون من أصحاب الكنزالإسهام بما تيسر، ولو شاؤوا لاتخذوا علىكل ذلك أجرا.

وحين نسترد الكنز إذا كنا بلغنا الرشد، علينا أن نرد الجميل بأن نستمثره لصالح المالك الحقيقى وهو عامة البشر، ليتقبلنا صاحب الملك الأصلى ذو الجلال والإكرام، آمين.

الثلاثـــــــاء 02-10-2007

32-ســــــــــــــر اللعبــــــــــــــــة

يـا خبر اسود، دانـا لـو اتجننت، يمكن ......(أكمل)

الجنـون الـكـامـن داخل كل منا، كـيـف نـتـعـامـل معه؟

كيف نـتـعـرف عليـه؟

مـاذا نـسـتـفـيـد من إنـكـاره على طول الخط؟

مـا هو حـقيـقـتـه؟ مـا مـدى خطورتـه؟

طبعـا لـن نجـيب عن كل هذه الأسئـلة من خلال لـعـبة نـلعـبهـا مـهـمـا بـلـغ كـشـفـهـا، لـكـنهـا الـطـريـقـة الـتى تـسـاعـدنـا أن نـتـعـرف على بـعض مـا هـو نحن، مـن خلال تحريك مـا لا نعرف، فى اتجاه مـا.

نـعـرض لهذه المسألـة من خلال لـعبة تمت فـعلا أثـنـاء جلسة من جلسات الـعلاج الجمعى:

الـلعبة

أثـنـاء الـعلاج الـنـفـسى الجمعى، كـمـا ذكـرنـا سـالـفـا، فى مـدرسـة قـصـر الـعـيـنى/المقطم، تـشـتـمـل المجموعة على كل تـشـخـيصات المرض الـنـفـسى والـعـقـلـى دون اسـتـثـنـاء، ونحن نـتـعـامـل فى هذا الـعلاج وغيره - مـن خلال مـدرسـة الـطب الـنـفـسى الـتـطـورى- مع الجنـون بـاعتبـاره **حالـة واردة - من حيث المبدأ-** تـتـنـاوب، كـمـا ذكـرنـا **يـومية 9/14 "لـعبة الخوف"(1)** مع حـالـتىْ الـعـاديـة والإبـداع، وبمـا أن المرضى فى هذا الـعـلاج الجمعى غير مـتـجـانـسين (تـشـخيصـات مختلفة وأعمـار مختلفة ومـن الجنسين مـعا) فـإنـنـا نـتـعـامـل مع الجنـون الـظـاهـر بـسـلاسة وقـبـول مـرحـلى، كـمـا نـتـعـامـل مع الجنون "الـكـامن" (الـذى هو داخـل كل واحد فـيـنا) بـتـحـريك محسوب، وبـذلـك يـتـعـلـم المريض الجنون أنـه لـيس شـاذا تمـامـا كـمـا يـصورون لـه أو يـتـصور، حين يـكـتـشف أن مـا ظهـر منه هـو فـيـنـا جـميعـا، ويـتـعـامـل الـعـصـابى (مـا يـقـال لـه عـادة "عـنده حـالـة نـفـسيـة") مع جنـونـه الـكـامـن بخـوف أقـل، فـلا يـضطر إلى استعمـال كل تـلك الـدفـاعـات الـعصـابـيـة الـتى تجـعلـه مـريضـا يـعـانى من فـرط الـكـبت أو الإزاحـة أوالإسقـاط فى صـورة قـلق أو وسـواس أو أعـراض جسديـة ....إلخ

هـذه الـلـعبـة الـتى نـقـدمـهـا "هـنـا-الآن" جـرت مـع مجموعة من خمسة مـرضى، وأربـعـة أطـبـاء

بدأت بالصدفة- كالعادة- ونحن نناقش الهلوسة السمعية (سماع أصوات لا وجود لها) التى تشكو منها إحدى المريضات **"ثناء"** (ليس اسمها الحقيقى، ولا أسماء الباقين طبعا حتى الأطباء فيما عدا الدكتور يحيى) رحنا نشجعها أن تقبل هلاوسها ما دامت مستمرة فى عملها ونومها وعلاقاتها، وذلك حتى تتبين -معنا- أنها (الهلاوس) واردة "من الداخل" من ناحية، ثم ربما يحل محلها موضوع حقيقى (ممثلا فى أفراد المجموعة أولا) فلا تعود فى حاجة إلى تحريك الداخل لملء الفراغ بمثل هذه الهلاوس التى ترجح أنها ظهرت حين افتقرت المريضة إلى المعنى والعلاقة الحقيقية فى الحياة العادية.

بدأت اللعبة بمحاولة إفهام عبد الجليل (وهو مريض فى الرابعة والعشرين، فى نوبة إفاقة من ذهان (جنون) حاد، وقد لاحظنا أنه بعد إفاقته، عاد إلى فرط التزامه، وأدبه، واحترامه المبالغ فيه للأكبر، وخوفه من الخطأ بشكل شديد جدا، مما جعلنا نرجح أن كل ذلك إنما يهدد بكسرة ثانية إذا استمر على هذه الحال)

بدأت اللعبة أثناء محاولة إفهام عبد الجليل أنه **"ما هكذا يضبط داخله، حتى لو كان الداخل بكل هذا التهديد الحقيقى أو المتصور!!! حتى لو كان الداخل هو الجنون ذاته".**

ملحوظة هامة

سوف نقدم فى يومية تالية، ربما غدا: نفس اللعبة بشكل مختلف قليلا ، فى صورة: "الخوف من فقد التحكم"، ذلك لأنها جرت فعلا بين أسوياء، فى برنامج سر اللعبة، القناة الثقافية.

بدأت اللعبة بعبد الجليل بعد إلحاح، ونقاش، وضغط، وإقناع، وسماح

اللعبة، لمن لم يتابعنا من قبل فى لعبة الحق فى الخوف **يومية 9/14 "لعبة الخوف"(1)** هى أن يكرر كل واحد نفس ألفاظ جملة ناقصة، ثم يكملها بأى كلام يخطر على باله، شريطة أن يحاول التمثيل بكل ما يستطيع من وسائل التعبير، ولا يكتفى بأن يقولها بالألفاظ

قبل اللعبة، كان النقاش مع عبد الجليل يدور حول أنه حين شفى من النوبة الحادة، عاد "كما كنت": أكثر دفاعا، وأكثر خوفا من داخله، بمعنى أن الجنون الذى عاشه لأسابيع، ما كاد يختفى فى داخله، بمساعدة، العلاج التسكينى حتى عاد عبد الجليل للتراجع إلى كهف الكبت المبالغ فيه، ليصبح عرضة لنكسة محتملة. اقترحنا عليه أن يلعب:

أنا خايف اتجنن لَحْسَنْ... (ويكمل أى كلام..)

لكن عبد الجليل قاوم بشدة، وحين عرضنا الأمر على بعض أفراد المجموعة، أطباء ومرضى، لم يبادر أحدهم بالبداية تشجيعا لعبد الجليل،

يبدو أن الخوف من الجنون كان حقيقيا (حتى لو كان تمثيلا) لدرجة صعبت المسألة على الجميع

تطور التفاعل، حتى ظهر اقتراح بدا أخف من إعلان الخوف من الجنون مباشرة هكذا، فتحورت اللعبة إلى:

يا خبر اسود، دا انا لو اتجننت يمكن ......
ويكمل الواحد(ة) أى كلام

سوف نقتصر على عرض الإجابات دون التفاصيل التى تدور أثناء التمهيد أو النقلة بين لاعب ولاعب، ودون شرح كيف أن المعالج الرئيسى يقوم بما يشبه دور **المخرج**، فى محاولة تعميق التعبير، وقد يعين مريضا أو طبيبا زميلا **كمساعد مخرج** لنفس المهمة. ويطلب المخرج اللاعب (الممثل) أن يعبر عما يقوله بالألفاظ بمساعدة العينين، والوجه، والجسد، ما أمكن ذلك، حتى أنه قد يعيد اللعب إذا اكتفى اللاعب بقول الألفاظ من فمه دون التعبير بجسده/ووجهه/ وعيونه ما أمكن ذلك.

بدأ **عبد الجليل** بعد إلحاح، موجها كلامه إلى مروة، قال:

يا خبر دا انا لو اتجننت يمكن أقع فى الغلط

(نتذكر كيف أن ما أُخذ على عبد الجليل وخيف عليه منه، هو أن فرط أدبه هو الذى يعرضه للمرض، فبدا هنا أن الجنون عنده انفلات، وأنه نشأ على أن هذا ممنوع منعا بات حتى لبس تلك القشرة المهذبة جدا جدا، فلبسته، ثم تشققت من فرط الجفاف والجمود، فهو قد جن حين تشققت القشرة فنطلق الداخل بلا حساب، فكانت النوبة، وحين شفى وعاد إلى كهف الكبت، كان أهم ما يخاف منه هو أن "يقع فى الغلط" الذى هو مكافئ للجنون عنده).

كما نرى : كان عبد الجليل يوجه كلامه إلى مروه، والقاعدة أن من يتوجه إليه الكلام يلعب بدوره مع أحد لم يلعب بعد.

مروة: (**للدكتورة ميادة**)
يا دكتورة ميادة:
يا خبر اسود، دانا لو اتجننت يمكن أكسّر الدنيا
الدكتورة ميادة: (توجّه الكلام لشوقية)

بدا الجنون هنا مرادفا لإطلاق طاقة العدوان المتمادى حتى التحطيم ، وإن كان تعبير أكسر الدنيا قد يحمل معنى إيجابيا أو ثوريا إذا كانت الدنيا تحتاج إلى تكسير

الدكتورة ميادة (لشوقية)
يا خبر اسود، دانا لو اتجننت يمكن استحلاها

يشير الجنون هنا إلى وظيفة أخرى، وهى النكوص والتخلى عن المسئولية التى يفرضها الواقع، وانتباه الزميلة الطبيبة تحت التمرين إلى ذلك كان بصيرة مفيدة وتلقائية، وهى تؤكد فكرة اختيار الجنون من الداخل، ولو فى مرحلة التمادى فيه.

شوقية: أنا حاقول لرجاء
يا خبر اسود، دانا لو اتجننت يمكن أضرب أى حد

"أضرب أى حد" غير "أكسر الدنيا" الثانية كانت تشير إلى طاقة العدوان، أما الأولى فهى تشير إلى إطلاق العدوان، الإيذاء جاهز، خصوصا إذا كان الضرب عموميا (أى حد) اللهم إلا إذا كان ما وراء "أى حد تصنيف لم يُنطق"

رجاء: لثناء
يا خبر اسود، دانا لو اتجننت يمكن ما اشتغلشى

هذا نوع آخر من النكوص، غير الذى ظهر عند الدكتورة ميادة، ظهر هنا فى شكل الاعتمادية السلبية، فضلا عن أن العمل فى المجتمع المعاصر قد يكون اغترابا لا يكسره إلى التوقف عنه مهما كانت الحاجة إليه، والجنون يحقق ذلك أحيانا. ثم أن هذه الاستجابة قد تظهر المبالغة فى التركيز فى مجتمعنا خاصة على قيمة العمل كوقاية من المرض، حتى لوكان العمل اغترابا.

ثناء: لمحمود
يا خبر اسود دانا لو اتجننت ممكن أنتكس نكسة من اللى كنت حانتكسها الجمعة إلى فاتت.

ثناء هى التى بدأنا معها بالحديث عن قبول هلوساتها السمعية مرحليا، وكانت تمر فعلا بنكسة خفيفة بعد أن حركنا استقرارها المشكوك فى صلابته فى الجلسة السابقة، ذلك أننا مع قبولنا للهلاوس مرحليا، خشينا ثباتها حتى تصبح جزءا من شخصيتها وأن تكتفى بالتعايش معها بديلا عن العالم الخارجى، فتم التفاعل معها فى جلسة سابقة حتى لا تستقر على هذه التسوية الساكنة المهددة، وقد ترتب على هذا التحريك أن أصيبت بالأرق، ثم عاودتها أعراض الاضطهاد، وتشاجرت فى العمل، ثم حضرت هذا الأسبوع تلقائيا برغم النكسة.

محمود هو مريض كان يحضر معى العلاج الجمعى منذ خمس سنوات، وكانت حالة صعبة (فصام تصلبى وتخشب كامل)، وقد ظل صامتا مترقبا أحد عشر شهرا، ومع ذلك واظبت أمه على إحضاره كل أربعاء، مع استمراره فى الدراسة صامتا أيضا، وكنت أقترب منه بيدى لَمسا على ساقه بين الحين والحين، وأيضا كان ثَمَّ تفاهما بالنظر، أو مخاطبة دون انتظار إجابة، وبرغم صمته وعدم تفاعله حتى بالإشارة، ظل انتباهه عاليا تماما، حتى نطق وحده فى الشهر الثانى عشر، (قبل نهاية مدة المجموعة بشهر واحد)، ثم بلغنا أنه نجح فى امتحان الدبلوم ولم يعد يتردد على العيادة الخارجية، ويبدوا أنه ظل متحسنا نسبيا طوال هذه السنوات حتى عاد فى النكسة الحالية وفوجئت أنه يذكر ما دار فى الفترة العلاجية الأولى، وهذا ما كنا نفترضه طول الوقت.

وحين عاد محمود يشارك فى هذه المجموعة كان وجهه مليئا بالفرحة، مع أن كلامه فى هذه الجلسة، كان دائم التناثر، وبعيدا عن الهدف طول الجلسة.

وقد عجزنا يرغم الإلحاح أن نجعله يشارك فى هذه اللعبة حين كان عليه الدور بعد مخاطبة ثناء له فانتقل الدور إلى دكتور حسام

د.حسام للدكتور شكرى:
يا خبر اسود دانا لو اتجننت يمكن أكتشف حاجات عن نفسى ماعرفهاش

الأطباء تحت التدريب يمرون بخبرات شديدة الدلالة ، خاصة بعد أن تتساوى فرصهم والتزاماتهم مع المرضى والطبيب المدرب أو الرئيسى، أى خاصة بعد إضاءة النور الأخضر كما ذكرنا فى يومية سابقة ، الجنون الذى اقترب من بصيرة د.حسام هو معرفة بقيمته، حين يعلن زميل متدرب أن معرفته عن نفسه ما لا يعرف هو مكافئ للجنون ، يبدو محقا، من هنا أعطى للمتدرب حق الاعتذار عن المشاركة (النور الاحمر) لأى فترة يراها مناسبة حتى يطمئن ويغامر ويشارك مختارا (أنظر لاحقا لعبة : الخوف من فقد التحكم).

د. شكرى: لدكتور يحيى
يا خبر اسود دانا لو اتجننت يمكن ما اعرفشى ألمّ نفسى

هذا زميل متدرب آخر، رأى فى الجنون بعثرة وتناثرا، لم ينكرها، بل إنه أدرك مخاطر تماديها، فبدا حذره فى محله تماما (أنظر أيضا لعبة فقد التحكم لاحقا)

د. يحيى (وحيث أن الكل لعب، فهو يسأل أحد الحضور إذا كان أحدهم يريد أن يوجه إليه الكلام، فتبرع الدكتور حسام بذلك)

د. يحيى: يا خبراسود يا حسام دانا لو اتجننت يمكن أعرف أكتر، لدرجة ما استحملهاش

الجنون والكشف والمعرفة أمور تتجاور أو تترادف فى البداية أو من حيث المبدأ، لكن الذى يفرق بينها هو مآلها، ففى حين توصل المعرفة فى النمو والإبداع إلى مزيد من الرؤية السليمة واتساع وتعميق للوعى الفائق، نجد أن معرفة الجنون المريض غير مصاحَبَة بفعل فهى تنحرف بتأويلات ثانوية لتصبح فى النهاية معرفة مشوهة وخطرة. هذا المعالج القديم (أكثر من نصف قرن منها ثلث قرن فى هذا العلاج) مازال يخشى معرفة أعمق، سواء عن نفسه أو عن غيره، معرفة تتخطى تصوره عن مدى تحمله، تحمله المسئولية أو تحمله حقيقة ما تحمل هذه المعرفة. لعل هذا يدل على أن طريق معرفة الذات، والآخرين هو بلا نهاية، وأن المعرفة تظل دائما ناقصة مهما بدت فى أى مرحلة غير ذلك.

بعد اللعبة

عادة لا تناقش المجموعة ما وصل إليها من اللعبة، ويُكتفى بالسؤال أو التساؤل "حد وصل له حاجة أثناء ما هو "بيلعب، أو بيشوف غيره بيلعب"، حاجة جديدة يكتشف إنه ما كانشى عارفها قبل كده؟ "!" فكرة رؤية رأى لم يره من قبل، ويُكتفى

بأن يشير أحدهم أنه وصل إليه جديد ما، دون أن نسأله "ماذا وصل"، هذه الطريقة وجدنا أنها أفضل حتى نترك التفاعل الذى جرى، والتحريك الذى لاح، دون وصاية لفظية مباشرة.

ملاحظات عامة (لم تناقش طبعا مع المجموعة) نلاحظ من عموم الإجابات ما يلى:

1) إن الجنون يعنى عند الأغلب **الانفلات**

2) إن الجنون يقترن عند الأسوياء أكثر (الأطباء هنا) **بدرجة من البصيرة** (مخيفة عادة عادة أو مهددة أو أكثر من الاحتمال) كما بدا من استجابة الأطباء.

3) إن الخوف من الجنون هو خوف من **إطلاق طاقات بدائية دون تحكم** ، حتى الإيذاء.

4) إن الخوف من الجنون قد يظهر فى صورة الخوف من تخطى الحواجز دون تحديد أية حواجز هى، أو ماذا وراءها.

اقتراح دعوة

تمهيدا للعبة موازية مع الأسوياء سوف نعرضها فى حلقة قادمة نقدم العشر لعبات التى شملتها هذه اللعبة، والتى سوف نناقشها فيما بعد، ربما يغامر القارئ أن يلعبها مع نفسه، حتى لو تفضل بإرسال الإجابات كتابة قبل أن ننشر استجابة الضيوف (الاسوياء) الذين لعبوها فى البرنامج) ، ويمكن للقارئ أن يطلع على **اللعبة بالصوت والصورة فى الموقع** قبل عرضها وشرحها.

نقدم قبل كل لعبة مع الأسوياء مثالا توضيحيا يسهل لا يلعبه المشاركون، لكن يسترشدون به، ويقدم المثال قبل بداية كل حلقة، مع استجابة موضوعية ، ليضرب مثلا للضيوف عن ما هو المراد، ولا يلعب المشاركون هذا المثال أصلا، أى أنه ليس ضمن الألعاب العشرة التى سيلعبها المشاركون، وكان هذا المثال فى هذه اللعبة هكذا

دانا لا باتحكم فى نفسى ولا حاجة، دانا طبيعى جدا إنما...

الاستجابة
دانا لا باتحكم فى نفسى ولا حاجة، دانا طبيعى جدا إنما: يارب أصدق نفسى

نكرر التعليمات التى ذكرناها لمن يريد أن يلعبها ابتداء سواء أرسل النتيجة إلينا أم لا

المطلوب
- لا تحاول أن تجيب بالقلم والورقة (لو سمحت)

- تلعبها بصوت عال، مع نفسك أو مع صديق واحد أو اثنين يشاركانك (أو صديقة أو أفراد الأسرة)

- لا بد من تكرار العبارة ، وليس الاكتفاء بتكميلها

- كلما كانت الاستجابة أسرع، كانت التلقائية أجهز

- حاول أن تلعبها بأكبر قدر من التمثيل (مشتملا الوجه والعيون والجسد).

- لا تحاول أن تسارع بفهم أو تفسير ما قلت

- يمكنك أن ترسل لنا استجاباتك إلى الموقع بعنوان (لعبة الخوف من فقد التحكم)

- طبعا من الأفضل أن تسجلها لنفسك صوتيا، حتى لا تعتمد على الذاكرة فهم عشر لعبات (أو يمكن أن تكتبها لنفسك أولا بأول بعد أن تكون لعبتها بصوت عال)

طبعا من حقك أن تمزق الإجابات، وتمسح الشريط، أو ترسلها باسم مجهول، لكن يستحسن أن تذكر السن، العمل، والنوع (ذكر أنثى، ولا مؤاخذة) بالغضافة إلى ما تشاء من معلومات.

***

وفيما يلى الألعاب العشرة حتى نلتقى:

1) يا خبر دانا لو سبت نفسى يمكن ....

2) لو اعرف إن حد حايستحملنى يمكن أقدر أسيب نفسى، وساعتها ....

3) أسيب نفسى بتاع إيه، دانا حتى ....

4) سيبان بسيبان أنا ممكن ....

5) حتى فى الحلم أنا ما بقدرشى أسيب نفسى على راحتها .... أحسن ....

6) سيب انت الأول ، وأنا ساعتها ....

7) أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما اعرف إنى ....

8) إللى مانعنى أسيب نفسى هو إنى ....

9) لا يا عم!!! دانا لامم نفسى بالعافية، بس ده ما يمنعشى إنى ....

10) لازم أعرف أنا فين وانت مين قبل ما اسيب نفسى ما هو برضه ....

الإربعـــــــاء 03-10-2007

33- اللعــــب مع الأسويـــــــــاء: خفيـــــف خفيــــــف!!

وعدنا أمس أن نقدم استجابة بعض الأصدقاء الأسوياء الذين تطوعوا للمشاركة فى لعبة موازية للعبة أمس. (**يا خبر أسود، دانا لو اتجننت يمكن ..**) التى لعبها المرضى والمعالجون فى جلسة للعلاج الجمعى.

وقد عرضنا فى نهاية يومية أمس عشر ألعاب جرت فى حلقة واحدة من حلقات برنامج **"سر اللعبة"** قناة النيل الثقافية ودعونا من يشاء أن يحاولها أولا، ثم نرى.

وقد أشرنا إلى أن التسجيل الصوتى المرئى موجود فى الموقع لما جرى حرفيا فى هذه اللعبة، ونعيد الإشارة إليه هنا **("لعبة التحكم والخوف من فقده" من برنامج سر اللعبة).**

هذا وقد ظهر لى عند محاولة الكتابة والشرح والتعليق أن شرح الحلقة كلها لا يمكن اختزاله فى يومية واحدة. لسببين (على الأقل):

السبب الأول: أن الموضوع حساس على المستوى العلمى والأخلاقى (والدينى).. وأيضا على مستوى حدود حرية الفرد فى مواجهة نفسه والناس (المجتمع).

السبب الثانى: أن اختلاف الألعاب وتعقيبات المشاركين كانت (مثل كل الألعاب) شديدة الثراء والدلالة، بما يحتاج إلى تفسير مناسب.

أى واحد منا يمكنه أن يتساءل عن نفسه فى هذه المنطقة أسئلة مثل ما يلى:

- هل هو "ماسك" نفسه أم لا ..، هل هو يعرف أنه ماسك نفسه أصلاً؟

- هذا التحكم: هل هو شعورى أو لا شعورى؟

- إن كان الاثنان معاً (والأمر عادة كذلك) فأى جزء من هذا التحكم هو شعورى وأى جزء هو لاشعورى؟

- ما هو الحد الفاصل بين أن "يسيب الواحد نفسه" وبين أن يفقد التحكم فى نفسه (لدرجة الجنون مثلما ظهر فى لعبة أمس) ؟

الألعاب عشرة، ويبدو أننا سوف نعرض كل أربعاء لعبة واحدة بعد أن تبين لنا أن الأمر يحتاج إلى إفاضة فى الشرح والتفسير اجتهادا.

والآن: إلى اللعبة

مقدمة

د/يحيى: أهلا بكم لعبة جديدة من "سر اللعبة"......
هى لعبه بنحاول نعيشها، مش بس نقول شوية كلام

وبنلعبها سَوَى مع ضيوفنا علشان نتعرف على أنفسنا، على قضايا حياتنا، على أبعاد الوعى اللى احنا عايشينه لعلنا نتحمل مسئولية وجودنا فى هذه الأيام الصعبة

النهاردة حانلعب لعبة صعبة … **لعبة التحكم والخوف من فقده ..:** (مثلا) أنا ماسك نفسى بالعافية، أنا خايف أسيب، أنا خايف أسيب نفسى، .. حاجة زى كده.

وزى ما تعودنا (فى البرنامج ده): اللعبة عبارة عن شوية ألفاظ بسيطة خالص وضيوفنا الكرام بيكملوها "كيفما أتفق"

وبندعوا المشاهد بعد ما يشوف لعبة أو اثنين، أو من الأول، يعمل زى ما احنا بنعمل يسيب نفسه معانا، يا بعدنا، يا بعد ما نخلص البرنامج

أنا حاقول مثال واحد (فى الأول قبل ما نلعب) للى ما شافش البرنامج قبل كده

مثال توضيحى: أنا لا بتحكم فى نفسى ولا حاجة دا أنا طبيعى جداً إنما ....

واللى يكرر يكمّل وهوّ بيقول أى كلام، يقول مثلا:

… **أنا لا بتحكم فى نفسى ولا حاجة دا أنا طبيعى جداً** *إنما .. يارب أصدق نفسى*

(مش ده اللى حانلعبه، دا مثال توضيحى)

ضيوفنا الكرام النهارده هم:

السيدة: منى وديع، كلية الفنون الجميلة

الأستاذ: فوزى شبيب، مدرس تربيه فنية

الأستاذة: سوزان عوض، صحفية

والدكتور: هانى الحناوى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

أهلا بكم وسمعتوا المقدمة .. بعد كل لعبة، (بنتكلم بنسأل بعضنا (عن اللى حصل خفيف خفيف)

النقاش مفتوح بتلقائية مطلقة إحنا فى قناة فعلا فيها سماح السماح.

اللعبة الأولى: ياخبر .. دانا لو سبت نفسى، يمكن ..

د/يحيى: على فكره أحب بعد شوية كده لما نسخَّن بنتكلم بأكتر من تعبير: بالوش وبالعنين بالإيدين والجسم والكلام. الكلام لو بيطلع لوحده كده ما بيجرجش الوعى اللى احنا بنلعب بيه

(يلاحظ أن أى واحد يبدأ، وأن المخاطَبْ يليه ويوجه الخطاب لزميل لم يلعب، وأن آخر واحد يوجه الخطاب لمشاهد)

أ/ منى: يا دكتور هانى يا خبر.. **دانا لو سبت نفسى .. يمكن أغلط في اللى قدامى، أعمل أى حاجة ممكن تزعله منى يعنى.**

د/ هاني: يا أستاذ فوزى: يا خبر **.. دانا لو سبت نفسى .. يمكن ماتعرفنيش.**

أ/ فوزى: يا دكتور يحيى: يا خبر **.. دانا لو سبت نفسى .. يمكن أضيع نفسي.**

د/يحيى: أستاذة سوزان: يا خبر **.. دانا لو سبت نفسى .. يمكن صورتى تختلف تماما تماماً**

أ/ سوزان: عزيزى المشاهد: ياخبر **.. دانا لو سبت نفسى .. يمكن ماعرفش كنت حاجى ولا مش هاجى.**

(التعليقات)

د/ يحيى: مِشْيتْ معانا، وعبّرنا

دلوقتى: حد وصله حاجة جديدة من اللى قاله، أو من اللى سمعه، أو من القضية نفسها؟ إتغير؟ أتهز من حاجة؟

أ/ سوزان: (دا) تعبير عن حاجة جوه النفس أوى، الإحساس الداخلى أو الشعور الداخلى.

د/ يحيى: (هل) دى جديدة؟ ماكنتيش عارفاها قبل ما نلعب؟

أ/ سوزان: أيوه يمكن ماكنش عارفة إنى حاكون مهزوزة كده.

د/ هانى: حسيت يا دكتور يحيى إن في حاجات ممكن تجمعنا ... لو سبنا نفسنا، يعني لما سمعت حضرتك بتقول صورتى تتغير حسيت أن أنا فى أرض مشتركة معاك ممكن يكون الحاجات اللى مش مصدقها تحصل.

د/ يحيى: شوف يا دكتور هانى أنا (شخصيا) أتخضيت، هو إيه حكاية صورتي تتغير؟!! إذن أنا بقى لابس قناع تقيل ولا إيه؟ لأ وإيه "تماماً تماماً"! حابقى إيه يعني.

أ/ فوزي: أنا شفت إن أنا قولتها من غير تفكير يعني ماحسبتهاش خالص يعني.

د/ يحيى: هو اللعب(كده أحسن) إن احنا مانحسبهاش خالص.

أ/ فوزى: أنا فعلاً ماحسبتهاش بس بعد ما قولتها فكرت

فيها لقيت إن أنا فعلاً تحكمى فى نفسى حاميني أنا، أكتر من إنه بيحميني من علاقتى أو بيحمى غيرى مني أنا ،وحامينى "أنا مِنّى، لسه حالاً بأمانة.

أ/ منى: اللي وصلني إن بعض الناس أكيد تلقائية، أنا دلوقتى حسيت إن لازم الواحد يتحكم فى نفسه علشان مايجرحش حد مايضايقش حد.

د/ يحيى: هوّا أولاً إحنا مش ملزمين، واحد يقول ممكن، واحد يقول أنا شفت حاجة جديدة ومش عاوز أقولها، ومش كل واحد ملزم يقول، إللى شاف واللى ماشفش ماشفش، أو حد ممكن يقول أنا شفت ومش عايز أقول، كله مسموح. بس فعلا بدايه طيبه خالص.

(انتهى النص، ويمكن مشاهدته كما ذكرنا **("لعبة التحكم والخوف من فقده" من برنامج سر اللعبة)**

***

ملحوظة قبل التعقيب

(تأكيد مبدئى: هذا التعقيب، مثل كل تعقيب ليس إلا اجتهاد فرضى، لا هو حُكْم دامغ، ولا هو علم مسلّم به)

ويمكن لكل قارئ ان يصل بنفسه لنفسه (أو لغيره) إلى ما يرى، كما قد يتورط فيجد نفسه قد غرق فى رؤية كان يود أن يتجنبها (الآن على الأقل).

ما علينا، الباب مفتوح لكل الاحتمالات، بما فيها أية خطبة وعظية، أو تحذير مسئول، أو فرحة بالانفتاح، أو تصور دعوة لحرية خائبة.

الملاحظات والتعقيبات

أولا: الملاحظات العامة:

1- إن المشاركين كانوا - عموما - فيما عدا د. يحيى فى سن متقارب (أوئل متوسط العمر).

2- إن المقاومة كانت أقل كثيرا مما تصورت وأنا أعد اللعبة.

3- إن السهولة والجدّية - فى نفس الوقت - التى تم بها الأداء تبدو مفاجأة (لى على الأقل).

4- تنوع الاستجابات واضح

5- إننا تعمدنا أن نترك أسماء المشاركين كما هى حيث أنهم وافقوا متفضلين على المشاركة بأسمائهم ثم إن البرنامج عرض هكذا بعد موافقتهم دون أى تعديل أو تدخل، وشاهده كافة الناس.

المناقشة

سوف نتناول هنا للقراء استجابة كل مشارك مستقلة أساسا، وقد نربط أحيانا، أو فى النهاية إذا لزم الأمر.

1) سوزان

كانت إجابة سوزان لا توحى بأى عمق **"يمكن ما أعرفش كنت حاجى ولا مش حاجى"** ومع ذلك جاء تعقيبها بعد ذلك ليدل على أن شيئاً ما، أعمق كثيرا، قد تحرك دون أن تتحقق من ماهيته،

مجرد أن تنتبه سوزان بعد اللعبة إلى أنها **"ماكنتش عارفة إنى هأكون مهزوزة كده"**، تبدو هذه جرعة كافية لتوصيل رسالةٍ ما.

أن يكون (الواحد) مهزوزا لا يعنى - بالضرورة - أن يكون هشا، وإنما - فى مثل هذا الظرف - يفيد أن "من حق أى واحد فينا أن يهتز"، أما إشارة سوزان إلى أن اللعبة أوصلت إليها **"تعبير عن حاجة جوه النفس قوى"** فهذا يكفى، خاصة ان هذه الحاجة **"جوّه قوى"**.

لقد شاع - خلال سوء فهم فرويد أو مبالغاته - أنه من الأفضل أن نعرف تفاصيل وتاريخ "ما هو جوّه قوىً"،(حتى تنفك عقدنا) وهات يا تداعى، وهات يا تفسير، لكن يبدو أن المهم هو أن نعترف بهذا الذى هو "جوه قوى". حتى لو لم نعرف محتواه.

2) هانى (ود. يحيى)

(هانى: هو مدرس طب نفسى الآن فى جامعة خاصة)

يبدو أن د. هانى قد آنَس طمأنينة ما حين رأى نفسه وأستاذه (المسئول عن الحلقات) يقفان على "أرض مشتركة" أما ما ألحقه من أنه **"ممكن يكون الحاجات اللى مش مصدقها تحصل"** فقد يمكن أن يرجع إلى هذا الاحتمال: وهو التقارب مع أستاذه، أو إلى أى موضوع آخر لم يذكره.

اعتراف د. يحيى هو نفسه بالدهشة مما قاله فى اللعبة **"أنا أتخضيت"** يُظهر كيف أنه انتبه أنه - مهما حاول - سيظل ليس هو كله، ومع أن هذا طبيعى، إلا أن دهشته أمتدت أيضا إلى تبينه "سُمك القناع" (يمكن صورتى تختلف تماما تماما) وقد انتبه هو ذاته إلى أن حكاية تأكيده " تماما تماما"، قد يعنى أن صورته قد تختلف جذريا، وربما كانت هذه هى المفأجاة للدكتور هانى وللدكتور يحيى على حد سواء.

3) فوزى

فوزى هنا يعلن طبيعة اللعبة بشكل ما، وهى أن المطلوب فيها - ما أمكن ذلك - أن تجرى **"من غير تفكير"**(أنا قلتها كده من غير تفكير)، وبدون حساب.

لكن فوزى بعد ما لعبها دون حساب "ماحسبتهاش خالص"، اكتشف فائدة **"ألا يسيب: "حتى لا يضيع ... يمكن أضيع"**، إذن ليست وظيفة اللعبة (ولا عموما) هى الدعوة إلى أن **"تسيب نفسك"** كما ينبهنا فوزى:" *تَحكُّمى فى نفسى حامِينِى*" ثم إنه يكتشف ثلاث مستويات للحماية نتيجة لتحكّمه:

(أ) بـتحمينى من علاقـاتـى
(ب) ويـتـحمـى غيرى مـنى
(ج) وحـامـيـانى أنـا مـنى

المهم أن كل ذلك اكتشفه فوزى **من خلال الـلعبة:** " *لسه حالا بـأمـانـة"!*

4) منى

منى: فى الـلعبة بـدا أن كل اهتمامـهـا هو الخوف على الآخر - **"الـلى قـدامـى"** - وعلـى صورتها عنده ورأيـه فـيـهـا - **"حـاجة تـزعلـه منى يـعنى"** .

أمـا فى الـتعقـيب فـيبدو أنها عادت تـؤكد جانـبا واحدا تـقـلـيديـا أخلاقيـا كـمـيزة لـلـتحكم، وهو أن الـتلقـائـية لـيست مطلوبـة دائـمـا، أو حتى لـيست هـى الأصل، وان تحكمهـا فى نـفسهـا لـه فـائـدة أخرى **"عشان مـا يجرحش حد"** مـا يـضّايقش.

ثم يـأتـى تـعقـيب د. يحيى على كلامهـا فى الـنهـايـة لـيؤكـد عدم لـزوم أن نـرصد الـتغيير من الـلعبة أو نـضعه فى ألـفـاظ.

قفـلة وتـذكرة

الـيوم هو 3 أكـتوبـر، ومضى على بـدايـة هذه الـورطة شهر وثـلاثـة أيـام وهـأنـذا أفـاجـأ بضرورة وصعوبـة مـا أريـد تـوصيـلـه، والأهم أنـنى فـوجئت بـعكس مـا خِفْتُ منه، فـقد تـصورت أنـنى لـن أجد عندى مـادة تـكفـى كل يـوم (الـسنة 365 وأحيـانـا 366) وإذا بى أجد أنـنى مـغمور بمـا علـىّ تـوصيـلـه ممـا لا يـكفـى الـعمر كـلـه.

مـثلا هذه الحلـقـة المكـونـة من عشر لـعبـات، كـنت أحسب أنـنى سأتـنـاولهـا فى يـومـيـة واحدة، وإذا بى أكـتـشف أنها سوف تـستغرق عشر يـومـيـات (أكـثر من شهريـن)، لـذا دعونـا نحدد لهـا يـوم الأربـعـاء من كل أسبـوع لهـا.

أصبح عندنـا الآن ثـلاثـة أيـام نـتفق عليـهـا.
يـوم الأربـعـاء: سر الـلعبة ...
يـوم الخميس: نجيب محفـوظ
يـوم الجمعة: حوار/بـريـد الـقـراء

الخميـــــــس 04-10-2007

34- فـــــى شــــــرف صحبـــــة "نجيـــب محفـــوظ" (2)

[11 / 12/ 1994 - الجمعة: 17 / 8 /1995]

شيخنا يعود إلى بيته، وتعود إليه - إلينا- ضحكته

قررت ألا أذهب إلا إذا استدعونى ثانية، فى الزيارة الأولى: لم أضف دواء واحدا، ولم أغير نظاما، ولم أحدد نصيحة، حتى بدا لى أننى لم أقدم عونا ذا بال. كان غاية ما عشته أنْ عصرنى الألم. هل كنت أشفق على نفسى، أم عليه؟ لعل كل ما ملأنى أثناءها وبعدها أننى دعوت الله لى وله، (ولم أتوقف عن الدعاء حتى الآن أكتوبر - 2007)

بعد الزيارة الأولى، انشغلت فى مؤتمر من تلك المؤتمرات التى هى ليست إلا **"تحصيل حاصل"**، أو على أحسن الفروض: بوفيه مفتوح، وأحضان وأحيانا أشواق فى الأروقة بين الجلسات، بغض النظر عما يجرى داخل القاعات من محاضرات أو كلمات، ولا داخل المكاتب والمعامل بعدها وقبلها من - صفقات - سعدت بانشغالى هذا لأننى اعتبرته حجة أبرر بها انقطاعى عن شيخى المصاب، ربما حتى لا أعانى ما عانيت أول زيارة، ثم إننى قررت ألا أزوره ثانية بصفتى الطبية إلا إذا استدعيت لجديد لا قدر الله، ثم إننى أفتِ بمشورة طبية خاصة جدا، مهما تصوروا غير لك، فلماذا العودة؟

رغم كل ذلك،لم تفارق صورته خيالي، لست متأكدا هل هو خيالى أم وعيى الأعمق، كانت صورة صعبة، رقيقة، وحية، ومؤلمة، ومتألمة، وقوية فى آن واحد.

روشتة "الناس"

إنتهى المؤتمر، وكنت قد أبلغت العميد د. الحسينى به اعتذارا مؤقتا تمنيت أن يكون ممتدا، ساورنى هاجس فجأة، وشعرت باحتمال أنانية هرابة أوتخلٍّ، انتهى المؤتمر ولم يعد عندى حجة، رفعت السماعة وطلبت سيادة العميد، قال أين أنت ومتى نراك إذن، الأستاذ يسأل عنك، قلت: حاضر، وذهبت.

لم تكن الحال أحسن بل العكس، سألنى العميد د. الحسيني، ألا تنصح بعقار معين أو إجراء معين؟، فأخبرته بعد تردد: إن أستاذنا عاش طول عمره، يتزود بجرعة محسوبة من **"الناس"**

الأوفياء، ومن عامة الناس، وأن ما يعانى منه الآن هو **"فقر ناس"** علينا أن نحترمه كما نتكلم عن فقر الغذاء، وفقر الفيتامينات ... الخ،

ضحك د. الحسينى وقال: هل نضيف له على التذكرة جرعة معينة من الناس؟ عدد كذا من الناس ثلاث مرات يوميا مثلا؟ وضحك،

أخذت ضحكته مأخذ الجد، وقلت له: هذا بالضبط ما يحتاجه أستاذنا،

ذلك أن إدارة المستشفى كانت قد منعت الزيارة بعد أن توافد الناس عليه بكل الحب يطمئنون ويتبركون ويدعون بما تيسر، وهو - بتواضع سمعه وبصره معا-، لا يستطيع أن يلاحق كل هذه الإحاطة العاطفية، ناهيك عن الرد على الأسئلة، أو الدخول فى أى حوار مهما قصُر، وفى نفس الوقت هو بما يتمتع به من أدب ورقة ومجاملة لا يستطيع إلا أن يحاول طول الوقت أن يتابع ويستجيب فأنهك حتى العى، ربما هذا هو ما دعى المستشفى إلى اتخاذ القرار المعتاد فى مثل هذه الظروف بمنع الزيارة إلا على الأهل وبعض الأصدقاء الذين بالغوا هم بدورهم فى عدم الزيارة حرصا على راحته، ولكنى أدركت، ثم تأكدت، مدى افتقاره للناس، وأنه لا شفاء ولا تقدم إلا بالناس، مع الناس: فكيف السبيل؟

قلت للدكتور الحسيني، نضبط جرعة تعاطى الناس الطيبين، الذين يدركون من هو، وكيف، ونبدأ بالأحوج إليهم فالأحوج، نضبط ذلك بجدول: بالاسم والساعة يوميا،

وقد كان،

عملنا جدولا بأسماء الأصدقاء ومواعيد الزيارة ومدتها وذلك بعد أن اتصلت بمن يعرف التفاصيل اكثر، اتصلت بالأستاذ جمال الغيطانى - معرفة قديمة حذرة من جانبى- نال معى فى نفس السنة الجائزة التشجيعية عن روايته الرفاعى، وأنا عن روايتى المشى على الصراط وأصابنى ما أصابنى من النقاد والمقارنة، وانطلق هو إلى آفاق الإبداع والتراث والتجليات حتى أضاف هذه الأسبوعية المتميزة **"أخبار الأدب"** وأخيرا مغمار **"متون الأهرام"** (حتى ذلك الحين)، وانزويت أنا بعد الجائزة خجلا أن أكون أخذت غير حقى، لأن أغلب ما وصلنى من الأدباء وأهل الرأى أننى لست إلا متطفلا على موائدهم، أو هكذا تصورت مما وصلنى من بعض مناقشات المقاهى الثقافية، اتصلت بجمال الغيطانى (وليس له ذنب فى كل ما ذكرتُ ، لكننى كنت قد أحسست بشيء ما منه لم أتبينه، ولم أختبره) اتصلت به وأخبرته بالوصفة التى وصفتها للاستاذ، وهى **"جرعة كافيه من البشر"** الطيبين الملتزمين، واتفقنا على جدول بسيط محكم، بالاسم واليوم والساعة والمدة، فلان يوم كذا الساعة كذا لمدة كذا، وهكذا، وانتقينا الأقرب فالأقرب من الذين حفظوا الأستاذ صامتا ومتكلما، منصتا ومفكرا، منحنيا ومعتدلا، إن من يعاشر الأستاذ ينطبع ويتكيّف ويتكامل حتى مع وضع جلسته، وزاوية ميل جسمه،

اتصلوا بى، وأبلغونى أنه قد تم تنفيذ تعاطى جرعة الناس كما أشرت (تقريبا). ذهبت واطمأننت من حيث المبدأ، وحمدت الله، وقدرت أن الحالة إما ثابتة أو تتحسن، لكننى لم أطمئن تماما كعادتى، ورحت أراجع احتياجاته الطبية فيزيقيا، وتمريضيا، ومتابعة، فلم أجد أن هناك من التهديدات، أو احتمالات الطوارئ ما يمنعنى أن أتساءل: **إلى متى**؟. برغم أننى شعرت أننا نسير فى الاتجاه الصحيح، إلا أن الإجابة عن تساؤل "إلى متى"، وضعنى أمام حتم المواجهة.

شعرت أن بقاء أستاذنا فى المستشفى أكثر يحتاج إلى حسابات موضوعية أعمق وأدق، خاصة وأننى استشعرت أن الزوجة الكريمة الفاضلة تخشى ما ينتظرها بالمنزل، الخبرة مؤلمة، والله معها، والمسألة ليست تمريضا فحسب، بل أمن وأمان أيضا!! لكن لابد مما ليس منه بد، لابد من ضبط توقيت العودة إلى منزله الطيب ليعاود تدريجيا حياته كما اعتادها، وبأسرع ما يمكن، برغم كل الظروف.. أعلنت عن رأيي هذا لبعض محبيه، فوجدت مثل ما عندى فى رأى الصديق جمال الغيطانى (أصبح صديقا، أو كان صديقا طول الوقت وأنا لا أدرى، ما أسخف سوء الظن!!) حدثنى بمثل أفكارى هذه، وكأنه طبيب زميل حاذق يشير بما ينبغى ويحسن التوقيت، فحمدت الله على ما أكد لى أن المنطق السليم هو أساس كل فعل سليم، وعلم سليم، وطب سليم.

رحت أمهد للقرار بزيارات متلاحقة على غير ما كنت قررت.

حدثُ عارض ولكن ...

لم أجد فى ناس مستشفى الشرطة إلا أقصى درجات الاحترام، والعلم، والتمريض، والإمكانات، والرقة، لدرجة أننى عجزت عن شكرهم، فلم يكونوا يحتاجون شكرا، وقد خيل لى أنه هم كذلك لأنهم كذلك، وليس فقط لأنه الأستاذ، ففرحت بهم أكثر.

على النقيض من ذلك، وبمحض الصدفة حدث ما يلى:

كنت جالسا فى مكان إدارى أنتظر خروج الأستاذ من فحص روتينى ما. كان يزور الإدارة فى نفس المكان شخصية بوليسية كبيرة جدا جدا، كانت تشغل منصبا عاليا (من المعالى) مهمّا جدا، فى فترة صعبة جدا، تعرفت هذه الشخصية علىّ، فتعجبت، ولم أرحب بأكثر من التحية، فهو ليس هو الذى ..، صدق حدسى حين سألنى عن سبب تواجدى فى المستشفى، وأى خدمة، فقلت له السبب، راح يكمل حديثه مع آخرين، فانصرفت إلى شأنى، لكن بعد لحظات انتبهت إلى صوته الجهورى وهو ينطلق بكلام جارح يصف به شخصا ما، وكأنى سمعت اسم الأستاذ، فاستفسرت غير مصدق، فقال إنه يقصد **"نجيب محفوظ"** الكذا والكذا، يا ساتر!! لماذا؟ من هذا؟ أين نحن؟ هل يعرفه؟ ما هذا الذى يجرى علانية هكذا؟ بكل بساطة، بكل تلك الوقاحة؟ بأى حق؟ هذا الحكومى السابق، يلعن شيخى ويسبه دون أى سبب، لم يسأله أحد رأيه أصلا. هل مجرد أننى ذكرت له سبب وجودى جعله ينطلق بكل هذه القذائف!!! لم يرع حتى ظروف مرضه، أو الحادث، لم يرع حتى أصحاب الفضل هؤلاء من أطباء المستشفى

وممرضيه، لم يراع عامة الحضور، ولا المكان الإدارى الرسمى الذى نحن فيه، أهكذا؟ أهكذا؟

برغم مهنتى وطول خبرتى مع الوجه الآخر للناس، لم أكن أعرف أن الناس - أى ناس - يمكن أن يصلوا إلى مثل هذا ؟ لم أتصور أنه حتى ذلك الذى أفتى بكفر أستاذنا، يمكن أن يحمل هذا القدر مما لا أستطيع وصفه أكثر، ياعمنا نجيب، ستلقاها من أين أو من أين ؟ صحيح أن هذا الحكومى جدا (السابق والحمد لله)، لا يمثل الحكومة (أو لم يعد يمثل الحكومة رسميا)، ولكنه - فى هذه اللحظة - كان يمثل لى أبشع ما يمكن أن تمثله سلطة تلقى حممها على من حولها بدون مبرر أصلا، لم أعرف لم امتدت يدى ساعتها إلى الجانب الأيمن من رقبتى، مكان طعنة الأستاذ، ربما - من فرط أننى لا أصدق - ربما كنت أريد أن أذكّر هذا الصاروخ الملتهب أن الرجل الذى يسبه، هو مطعون فى رقبته، ومازال راقدا فى المستشفى، لكن ما هذا الوخز فى رقبتى أنا؟ شعرت أن طعنة الشاب الغبى الذى دعى له أستاذنا بالرحمة والهداية، شعرت أن طعنته أخف من صواريخ هذا البولدوزر القبيح ذى الرائحة الكريهة الخانقة السامة معا.

أخذت أذكر نفسى مرة أخرى بأنى طبيب نفسى - **المفروض**- وأننى شاهدت ما شاهدت من فقدان المشاعر، والتبلد، وانحراف الأخلاق، والقسوة حتى القتل، لكن الشعور الذى انتابنى ساعتها كان فظيعا حتى استبعد أن يكون هناك إنسان من نفس نوعنا بهذه البشاعة.

رأيت الاستياء مما كان على كل الوجوه التى لم يكن مسموحا لها- بطبيعة الحال وتسلسل الرتب- إلا بالاستياء الخافت الصامت، ازداد عزمى أن أسرع بالأستاذ إلى بيته وكأننى أهرب به بعيدا عن مرمى هذه القذائف، مع أنه كان حادثا عابرا، ما أغبانى، ما هذا البولدوزر إلا زائر عابر، صحيح أنه مهم جدا، أو كان مهما جدا، ولكن لا يوجد أى داع لأن أربط بين قذائفه وبين قرار الإسراع بمغادرة المستشفى، كثيرا ما يأتينى مثل هذا الربط العشوائى دون مبرر، بل إنى شعرت أن الأستاذ يعرف كل ما جرى دون أ ن يخبره به أحد، هو لا يعرفه إزاء شخص بذاته، أو إزاء سلطة ما، لكنه يعرف ناسه بكل ما هم، حتى لو كان منهم مثل هذا **"الشىء"**، وأنه (الأستاذ) بوعى خاص، استطاع أن يحتمى بإبداعه وطيبته وبيته من شرورهم دون أن يكرههم كل هذه الكراهية التى اعترتنى، وأنه لو سمعه، فسوف يسامحه ويدعو له كما فعل مع الشاب القاتل، وبرغم كل ذلك تأكد لى أن الإسراع بشيخنا إلى عالمه الخاص جدا، هو القرار المناسب، الآن، وليس بعد

اشتد عزمى، وتأكدت أنها مجرد مصادفة لا معنى لها، إلا أن الأوان كان قد آن.

يوم الجمعة بعد الصلاة

أخطرت المستشف بما نويت، وشرحت مبرراتى، ولم يكن لديهم

اعتراض، وطلبوا منى أن يظل الموعد سرا لأسباب أمنية، وفرحت لأنى انتويت أن تكون مفاجأة، أتحمل كل تبعاتها، بدلا من أن أشغل الاستاذ وآله بحسابات قدلا يدركون تفاصيل أبعادها أو مبرراتها.

يوم الجمعة، بعد الصلاة، ذهبت كما اتفقت مع الإدارة، صعدت إلى جناحه، وكأن قلبه كان شاعرا، فوجدته ممدا على السرير رغم أن قيلولته لم تحن بعد، قلت له بهدوء حازم: إن الأمور قد استقرت وسنخرج الآن، فزع كما توقعت، وقال "لا .. إنهم أخبرونى أن الأمر ما زال يحتاج إلى نقاش"، فأجبته أننى كنت أحد أطراف هذا النقاش، وأننا أنهيناه بقرار الخروج الآن، فقال لى مقاوما: ولكن الدكتور المدير كان عنده منذ قليل، وأخبره أنهم لم يستقروا بعد، فاستأذنته لأعود للمدير حتى أطمئن إلى انه قد بلغه ما استقر عليه المعالجون، وأحصل على موافقته النهائية (وكنت قد حصلت عليها)، ونزلت وأنا أعرف أن المسألة منتهية، وحين عدت وجدت الأستاذ ما زال على السرير وقد غطى وجهه بالملاءة تماما كأنه يستجلب النوم. كنت قد اصطحبت زوجتى معى – وهى لم تره من قبل – لكننى رجحت أن اصطحابها معى قد يضيف إلى الموقف لمسة من حميمية مصرية بسيطة تسهل لنا الأمر بشكل أو بآخر، راحت زوجتى تبادل زوجته الحديث وتطمئنها، وتقدمت أنا أقترب منه وجلا وأنا أكشف الملاءة، ولم يكن نائما طبعا، كان يبدو كما لو كان مختبئا من مواجهة العالم الخارجى، أو راغبا فى تأجيل القرار، هكذا تصورت، أبلغته أننى أعدت التأكد من المدير وأنه موافق مائة فى المائة على القرار، وأنه مقتنع أن القرار علمىّ وعلاجىّ ونهائىّ، فجأة، – أى والله – انقلب الخوف والتوجس إلى انفراجة بسمة هادئة، وإن كانت بعيدة، راحت تتقدم حثيثا حتى ملأت وجهه، يصاحبها استسلام طيب، وكأنه هو الذى اتخذ القرار قبلنا، ولمحت المقاومة تتراجع، وكأنها تستأذن لا تنزاح.

البيت البيت

البيت، (الذى هو يختلف لو سميته المنزل، هكذا خيل إلى وأنا أكتب الآن) يقع على الناصية المقابلة فى الدور الأول، لم يكن الأمر يحتاج إلى كل تلك الموتوسيكلات، أو إلى تلك العربة الرسمية التى تتقدمنا، نجيب محفوظ رجل بيتى، البيت هو قلعته، وأمانه، وبرجه، ومهبط وحيه، لكن الشارع والناس هم كل شىء فى حياته، معادلة تبدو صعبة، لكنها الحقيقة،

بمجرد أن وصلنا البيت حتى تقدمت انفراجة البسمة التى كانت مترددة فملأت صفحة وجهه، وارتاحت كل الأسارير، حتى ملأت أرجاء البيت كله، ما ظهر، وما خفى من زواياه وأركانه،

شيخى عاد إلى قلعته وكأنه لم يفارقها
أبدا، أخذت أداعبه لأول مرة منذ زرته، ورددت عليه قول المرحومة خالتى أنه **"يا دارى، يا ستر عارى، يا منيمانى للضحى العالى".**
مال إلى الخلف وجلجلت ضحكته التى سمعت عنها وعشتها بحجمها لأول مرة.
شيخنا يعود إلى بيته
وتعود إليه -إلينا- ضحكته

الجمعـــــــة 05-10-2007

35- حـــــــــــــوار/ بريـــــــــــــد الجمعـــــــــــة

تم الشهر الأول (سبتمبر) بالسلامة والستر، وظهرت المعالم، وتعمقت الورطة، ولاحت ملامح الإصرار والاستمرار،

ربنا يسهل.

هذا هو ثالث لقاء نمارس فيه ذلك الحوار "المفتعل"، وسوف نواصل ظلم المشاركين بنفس الطريقة (نقلب الرسالة حوارا دون إعطاء الراسل فرصة الرد إلا لاحقا)، وعلى "المتضرر" أن يطلب صراحة عدم إشراكه بهذه الطريقة، أو أن يسامح ويواصل معنا هكذا، وأمره إلى الله، ما دام الهدف هو إلقاء الضوء بأكثر من طريق من أكثر من مصدر على زوايا ما هو نحن، (مصريين وبشرا) لعلنا نتبين بعض ملامح: **"إلى أين"، و"كيف"، "فرض عين"** على كل واحد منا دون استثناء (إذا قام به البعض لم يسقط عن الكل).

نقدم حوار اليوم بطريقة جديدة

قدمنا أولا حوار 14-9- مع محاور واحد (فتح كلام: مع الإبنة أسماء نبيل)، ثم قدمنا الحوار التالى: (الجمعة الذى امتد إلى السبت 21، 22-9) "كل حيٍّ باسمه"، وهكذا كان حوار الجمعة 28 سبتمبر، لكننا اليوم وبعد أن أكرمنا المعقبون بعديد من المداخلات، نجمع الحوار "بحسب الموضوع" لا نسبة إلى الشخص ما أمكن ذلك.

***

والآن: إلى ما هو "كأنه حوار"

يدور الحوار اليوم حول موضوعات: التصوف والفطرة البشرية، و"سر اللعبة" ألعاب نفسية"، و"التواصل البشرى" وتحديث الدين، ثم إبداع المرأة والشخص العادى.

لكن دعونا نبدأ بحوار قصير مع حول فكرة الموقع" من حيث المبدأ. ربما بمناسبة أنتهاء شهر على ظهوره.

المقدمة

- **مجهول الاسم ..!**

التاريخ 30 / 9 / 2007

بـدون اسم : ---------

على فكرة يـا دكتور يحيى أنـا متابعة كل يـوم، الحمد لله، ولـكن بـاستخدم حق الـصمت شويـة إلى أن استوعب الـموضوع.

د. يحيى:

... هذا طيب، بـدون اسم، سألـت نـفسى عن عدد قـرائـنـا مـثـلك مِمّن لا نـعرفـهم، أشكرك يـا سيـدتـى (يـا آنـسة)، ربما، يـتابـع حتى يـستوعب هو الأهم، أفضل أن اتـصور أنهم كـثيرون وكـثيرات (طبـعا لـيس هو نـفس الـعدد الـذى يخرج لـسانـه ونحن نـقـرأ عدد "زوار الموقع الـكترونـيا"، والـذى مـهما أقسم لى الأبـنـاء المسئولـون عن الموقع أنـه عدد صحيح، لا أستطيع أن أصدقـه، إذ يـبـدو أن نـظام "زيـارة المـواقـع" يـسمح بـرصد حركـة المـرور فى الـطريق الـصحراوى على أنها "زوار قـصر المـنـتـزة بـالأسكـنـدريـة"!!.

المـهم هـؤلاء المشاركـون الـصامتـون - يـا ابـنـتى: (سواء كـنـت سيـدتـى أم آنـسة)، هم الـثروة المجهولـة الـتى أرجو أن أساهم فى تـشكيـلـها مع تـشكيـل نـفـسى بهم، حتى وهم صامـتـون، فـإذا وجدوا مـا يـشاركـون بـه علانـيـة، فـأهلا، وإلا، فـهم الـصامتـون المستوعبـون أصحاب الـفـضل.

ثم إنى **بـصراحة:** سررت مـن حكـايـة "إلى أن استوعب المـوضوع"، تـصورى أنـنى أيـضا أريـد أن استـوعب المـوضوع مـثـلك، فـالـتزامـى يـومـيـا يـلاحقـنى حتى أواصل الـورطة "قـبـل أن استـوعب المـوضوع"، ثم إنـنى أخشى لـو استـوعبت المـوضوع أن أتـوقـف، وساعتـها - يـا ابـنـتى - عليـك أن تـلحقـيـنى.

لـعل مـن وظيـفـة هذه المحاولـة هى أن نـستمر فى الاتجاه الـصحيح دون أن نـستوعب المـوضوع تماما، ومـن ذا الـذى يـستطيع أن يـستوعب مـوضوعا مـا والـدنـيـا مـفـتوحة هكـذا، والمعرفـة بـلا حدود، والله وسع كـرسيـه الـسماوات والأرض، وهو سبـحانـه لـيس كـمثـلـه شيـئـاً.

هات مـا عـندك يـا شيـخة، أو استوعبى صامـتـة، فـأنـت معـنـا حتى بـالـرغم منـك، ونحن معـا نـستوعب المـوضوع واحدة واحدة:

- **إلهام مـانـع (د. إلهام مـانـع)**

د. الهام

أنـدهشت عـندمـا أدركـت طبـيـعة مـشروعك.

د.يحيى

وأنـا مـثـلك تمامـا، وإن كـان استكـمالا لـردى الـسابـق على ابـنـتى "مجهولـة الأسم" أحاول أن نـتـفـق أن المـهم أن نـتـأكـد مـن الاتجاه، ونحدد الملامح، ثم نـقـيـم الخطى، لـعلـنـا نـتـبـين طبـيـعة مـا نـفـعل مـن واقـع أثـره إن شاء الله، ربـنـا يـقـدرنـا.

د. الهام

تـعلـمت أن الـكـثير الـكـثير ممكن إذا أحسن الإنـسان تـنـظيم

وقته، ثم ركز ذهنه على المهمة الواقعة أمامه، كلمة قلتها لى مرة فى مقابلة أجريُتها معك عندما كنت لازلت أعمل فى إذاعة سويسرا العالمية "Compartimilization " (التقسيم الذهنى) رغم اختلاف الظروف وطبيعة الحديث، لكن المقدرة على هذا التقسيم الذهنى تظل المحك لمن يريد إنجاز الكثير ضمن قيود الزمن الضيقة.

د. يحيى

تصورى يا إلهام أننى نسيت هذا الحديث تماما، لكن ملاحظتك ذكرّتنى أننى أرد عادة على من يسألنى "كيف تنظم وقتك" بقولى: إننى أسلّم نفسى كل صباح لمن يلحقنى (من داخلى أو خارجى) والذى يسبق له الأولوية، حتى ينتهى يومى وأنا راضٍ، كان الصديق سعد هجرس يداعبنى فى هذه المسألة قائلاً "..لو أنك قمت بنقل ما تكتب نقل مسطرة من مصادر أخرى" لما وجدت وقتاً يكفى، ومع ذلك فأنا لا أفخر بهذا لأننى دائماً أذكر تنبيه طه حسين لضرورة التناسب بين ما نقرأ وما كتب، الحكاية أننى مضطر فى هذه السن أن أورط نفسى مثل هذه الورطات، لأننى بمراجعة مسوداتى شعرت باستحالة أن يقوم بعدى من يلم بما كنت أود توصيله لأهله، أنا أحترم شفقتك، وهى تدفعنى أكثر ...

د. الهام

نعم أشفقت، أشفقت عليك من المهمة. وأنت تدرك حتماً عواقبها.

د.يحيى

بصراحة: ليس تماماً، أنا لا أدرك عواقبها تماما..

د. الهام

حكمة تعلمتها: إن من ينطق الكلمة وهو يعنيها، يعرض نفسه لمشاق هو فى غنى عنها

د. يحيى

صحيح! فهل كتب علينا ألا نعنى ما نقول؟ أم أن نتجنب المشاق ونسكت؟

د. الهام

(نحن) نحيا فى زمن يستوجب علينا فيه أن نجمّل الكلمة، أو نعدلها، أو نحورها، أو نعجنها بألف "لعل" و"ربما" و"يعنى" قبل أن ننطق بها، خوفاً من ردة الفعل، وردود العقل اليوم كثيرة، تقول لنا ضمناً إن لم يكن جهاراً: إن الكلمة المتضمنة لرأى وفكر حر، تلك التى تخرج عن دوائر الفكر المقبولة "، وتشق لنفسها دائرة مستقلة، يحسن لها أن تصمت. زمن الفكر الصامت.

لكنّكَ قررتَ، وقرارك صعب رغم ذلك، لعلك ستداوينا بالكلمة والفكرة، بعد أن صار المرض علاجاً فى مجتمعاتنا.

د. يحيى

ياه، يا إلهام، صعب صعب أن أتحمل أن تلتقطى كل ذلك مرة واحدة، المرض/الثورة، علاج للاغتراب، والكلمة/الفعل دواء من المرض، أصارحك يا إلهام أننى بعد قراءة تعليقك رحت أبحث فى إنجازاتك المتاحة على "النت"، وما إن قلبت بعضها حتى خفت عليك، دعينى أقرص أذنك، لا أريد منك أن تقوليها "واحدة واحدة"، ولا أن تضمنى رأيك الحر كل هذه اللعلاّت (جمع لعلّ)، والربّمات، كما أنى لا أحذرك من ردّ الفعل، علينا أن نتحمل مسئولية ما نريد توصيله، والمساحة التى نرجو إنارتها، مضروبة فى الزمن اللازم لذلك، وهذا يضطرنا إلى "ضبط الجرعة" مع "حتم الإستمرار" أنا أقرص أذنك لتضبطى الجرعة، لا أكثر

ثم دعينى أكتفى بهذا الآن وأدعو من يشاء إلى التعرف عليك من زيارة قصيرة إلى "سيدنا جوجل" رضى الله عنه، وكما أنى أعتقد اننى سأعود كثيراً إلى ما كتبت -بعد إذنك- لأتعلم منك وأنا أقرص أذنك فى نفس الوقت، لايوجد تناقض، خذى مثلاً: مقالك الأخير "دينك ودينى" 25 يناير 2007 أو مقالك "النقل لا"، يا شيخة واحدة واحدة فعلاً!!

الموضوع الأول: سر اللعبة

أولاً: (اسمحوا لى أن أحذف هذه الدال "د" قبل اسمى، فكونى دكتورا سواء نسبة إلى مهنتى كطبيب أو نسبة إلى الدكتوراة التى أحملها. ليس هو مايميزنى، على الأقل "هنا والآن" - ثم إنه لايجوز أن أضع قبل اسمى رمزا مهنيا أو علميا، ولا أفعل ذلك مع الضيوف. شكرا).

محمد كامل

شئ ممتاز جدا - سر اللعبة - وأعتقد أنه عنوان مفضّل جدا، رغم كلمتيه فقط

يحيى

تصور يا محمد (لاحظت أنى رفعْت الصفات بعد إذنك) أن هذا العنوان هو من أحب ما ابتدعتُ، وهو عنوان ديوانى الأول **"سر اللعبة"** الذى قدمت من خلاله رؤيتى لتطور الأمراض النفسية (والحياة)، والذى شرحته فى أهم أعمالى **"دراسة فى علم السيكوباثولوجى"** وتجدهما معا فى الموقع، ثم إنه عنوان البرنامج الذى قدمته فى قناة "النيل الثقافية" والذى أعيد تقديمه هنا مكتوبا **(مع فرصة إعادة الاطلاع عليه بالصوت والصورة لمن لم يشاهده)**.

محمد كامل

فى هذه اللعبة قد تم سؤال كل واحد منكم وتم التعقيب

يحيى

بعد إذنك، دور السؤال فى اللعبة محدود محدود، ولا يطرح إلا سؤال واحد بعد كل لعبة "فيه حد وصل له حاجة جديدة"؟ هذا هو السؤال الوحيد: أما أساس اللعبة فهو

"إكمال عبارات محددة بأكبر قدر من التلقائية ..، ثم نرى

محمد كامل

لكنى كنت أنتظر تفصيل مغزى رد كل واحد منكم خصوصا دور حضرتك عندما (اعترفت أن) "صورتى (قد) تختلف تماما وأوضحت مدى سُمك القناع ...."

يحيى:

يا عم محمد، ربنا يخليك، أنا أريد أن أصحح مقولة شائعة تزعم أننا (نحن الأطباء النفسيين وأمثالنا) نعرف "تفاصيل مغزى كل شئ ، كل رد، كل تصرف، كيف يا أخى بالله عليك؟ "

محمد كامل

لِمَ لا نمسك شخصا شخصا ونحلل ما قاله بشكل أعمق حتى يتسنى لنا توضيح إشكالة الفهم داخلنا، والتى تحيرنى أنا شخصيا فى أن أحلل هذه الردود لكل واحد منكم .

د. يحيى

يا خبر !! يا محمد !! إلى هذا الحد ؟ ولكن معك حق، ومعك عذرك، إن الإعلام والأطباء النفسيون والدراما تقدم لنا "مغزى كل شئ" بهذا الحسم الذى أشرت إليه والذى شل تفكيرنا، فأصبحنا كالأوانى المستطرقة، من أين لى، أو لأى ممن هو مثلى أن يعرف "تفاصيل مغزى رد كل واحد..؟ يا شيخ صلّ على النبى، ودعنا نتعلم من الصوفية (والطبيعة الحديثة، والسببية الغائية وغيرها) أقول إنه يستحيل علينا أن نتعرف بشكل نهائى على إشكالة الفهم داخلنا أو خارجنا، خاصة بعد أن فُرض علينا نوع واحد من الفهم، هو - للأسف - الذى يُضِلّنا عن أنفسنا، وعنه سبحانه وتعالى (انظر فقرة حوار التصوف).

وحتى لو قبلنا كل آرائك واقتراحاتك، فما نشر هو لعبة واحدة من عشرة، وأنت قرأت بنفسك نصوص اللعبات التسعة يوم (2007/9/15) وتطلب الآن أن نمسك شخصا شخصا ونحلل ما قال دون أن تنتظر لاستجاباته التسع التى قد يستغرق عرضها شهرين ونصف (مرة كل أسبوع)، ولكنك يمكنك الآن - ولو مؤقتا - أن ترجع إليها مجتمعه فى التسجيل الصوتى المرئى إذا أردت.

أنا لا ألومك، لكن ألوم الأطباء النفسيين والدراما وبرامج الوعظ السطحى والإرشاد الترهيبى لأنها لا تؤدى بنا إلا هذا الربط "السببى" "التفسيرى"،

أكرر قولك: اختلاف الرأى لا يفسد ... إلخ

****

أسماء نبيل:

أعتقد أن اللعبة مشاهدة أكثر ثراء من القراءة، لكننى استفدت من التعليقات.

يحيى
أيـن أنـت يـا أسماء، وأنـا - طبعا - أعتقـد ذلـك أيـضا، لهذا أشرت بـرابط لـلبرنـامج كـلـه كـلما ورد ذكـره، وهـو مـوجود عـلى المـوقع **"بـرنـامج سر الـلعبة"**

أسماء
(طيب) هل نـرسل بـإجابـتنا على الألـعاب، أم نحتفظ بها؟

يحيى:
هذا أمـر متروك لـك تماما، إن أرسلِـتهـا تحـاَورْنـا، وإن احتفظِت بها، أرجو أن تـتحاورى معـها بـنفسك لـنفسك، ولا تـسرعى بـالـفهم أو الـتفسير.

مـى
يـا خبر دانـا لـو سبت نـفسى يمكن **الـنـاس يـستغربـونى**...

يحيى:
هكذا فـقـط ؟ (بَسْ كـده؟! مـاشـى)

***

رامـى عـادل
يـا خبر، دانـا لـو سبت نـفسى **يمكن اتجنن بـشكل أو بـآخر.**
لـو أعرف ان حد حايـستحملنى **يمكن (أسيب نـفسى) فى ساعتهـا.**

يحيى
إيـاك: فى الـغالـب لـن يـستحملك أحد، وعليك أن تـشارك فى المسئولـية من الـبداية، حتى تـتلقـى نـفسك إذا وقـعت إذا مـا طلع الـذى بـدا أنـه سيـتحملك لـيس هو (مـش هوّه).

رامـى
اسيب نـفسى بـتاع إيـه د انـا **حتى مش عايـز**

يحيى
أحسن ، (الآن) لحين تـستطيع أن تـتحمل مسئولـيتك أكبر

رامـى
حتى فى الحلم مـا أقـدرش أسيب نـفسى على راحتها **لحسن أفـوق واصحى.**

يحيى
بـرضه، احتيـاطى! (يـارب تـكون أدركت أنـنـا حتى فى الحلم تـنشط إرادتـنا)

رامـى
سيب أنـت الأول وأنـا ساعتهـا أنـا أعيش على راحتى .

يحيى
فـكرّتـنى بحكايـة الـتحكيم بين عمرو بـن الـعاص وأبى مـوسى الأشعرى، لمـا خلـع أبـو مـوسى عليـا رضي الله عنـه، فـثبت عمرو بـن الـعاص معاويـة (ولـو أنى لا أثـق فى الـتـاريـخ)

رامـى
أنـا مش ممكن اسيب نـفسى إلا أمـا أعرف إنى فى أمـان

يحيى
طبعا، لكن خلّ بالك، عمرك ماستعرف ، المهم تحافظ على الاتجاه الصحيح والأمان يتولد باستمرار
رامى
اللى مانعنى أسيب نفسى هوا انى مرتاح كده

يحيى
إبراهيم سعفان يقُرؤك السلام (مسرحية الدبور)

رامى
لا ياعم أنا لامم نفسى بالعافية ، بس دا **مايمنعش إن فى كده مصلحتي.**

يحيى
"ماشى"

رامى
لازم أعرف أنا فين قبل ما اسيب نفسى ، **ما هو برضه أصحاب العقول فى راحة**

يحيى
ياليت
(**فى بريد أخر) ليومية "يا خبر أسود دا أنا لو اتجننت ...." 2 أكتوبر 2007**

رامى
ياخبر أسود ، دا أنا لو اتجننت **حاترعب ، حاكفر، حاتحبس**

يحيى
بس يا رامى؟!

رامى
ياخبر أسود ، أنا لو أتجننت **ممكن أرجع لورا، انتكس 100مرّة – أتفضح أمشى ملط**

ربنا يستر
يحيى
شفت ازاى ؟!

(ثم اقترح رامى - دون توضيح - ألعابا ثلاثة إضافة للعشرة التى لعبناها، وهذا وارد فى العلاج الجمعى، وارد أن أى واحد يقترح لعبة جديدة ، أو يعدّل فى اللعبة المقترحة.
اقتراحات رامى هى .
11- لو ما مفيش قصادى غير إنى أسيب نفسى، أنا (............ أكمل)
12- أنا مضطر اسيب نفسى عشان ....(أكمل)
13-أنا مضطر اسيب نفسى ومع ذلك ....(أكمل)

يحيى
اقتراحاتك طبعا على مسؤليتك يا رامى، وهى على عينى ورأسى، وتدل على أنك التقط الفكرة، وعرفت "سر اللعبة".

عمرو خالد، والنهضة الدينية

محمد كامل

أنت تحفزنى على إقرار صحة القول "الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية"، رغم أنى لا أختلف معك نهائيا لما أجد من رأيك صوابا فى أمور كثيرة.

يحيى

طيب والنبى، لا داعى لـــ "نهائيا"، ما دامت الحكاية أنها فى أمور كثيرة وليست كل الأمور، طبعا هذا أفضل ألف مرة.

محمد كامل

لم أكن أقصد المقارنة بينك وبينه، فأنت رجل علم ورجل ذو مواقف كثيرة، أعتقد أن المقارنة فى حد ذاتها ظالمة للطرفين، فلا يحق القول هل النخلة أطول أم القطار أسرع.

يحيى

... أنا لست رجل علم بالمعنى الشائع، الذى يشرفنى هو أنى "طالب معرفة"، وعمرو خالد صاحب مواقف غالبا مواقفه أوضح منى جدا، كل ما أريد المحافظة عليه هو "الاتجاه" و"الحركة" و"المراجعة" وأظن هذا ضد حكاية المواقف، حتى أننى هاجمت مرارا حكاية "يحيا الثبات على المبدأ"، نثبت لماذا؟ بأمارة ماذا؟

الثبات الوحيد الذى احترمه هو الثبات فى الحرب، وإن كنت لا أحترم الحرب إلا دفاعا عن النفس (وكل الحروب للأسف، دون استثناء، حتى حرب العراق يزعم مشعلوها أنها دفاع عن النفس، واسم "الدلع" أصبح" الحروب الاستباقية!! الله يخيبهم).

أما أن المقارنة ظالمة للطرفين، فأنا أذكرك أنك لم تقارن، وإنما قرّبت بين ما وصلك منى هنا وما وصلك من الأستاذ عمرو هناك، والذى يجمع الاتجاهين - ربما - هو احترام دور الدين فى عالمنا المعاصر وتجنب تهميشه، هو بطريقته "تحديث الاسلام أو تسويقه رشيقا خفيفا"، أما أنا فأظن أنى أنتمى إلى **استلهام النصوص الألهية بدلا من تفسيرها**

وربط الإيمان بالفطرة البشرية سعيا إلى وجهه تعالى.

محمد كامل

لا أعتقد أن هناك شيئا أسمه ألبس الدين لباس الشباب، فالدين قالب ليس بجامد أعنى للعجوز والشباب، وهو قالب فى حد ذاته ولكن يتشكل ولكل أمرئ ما نوى.

يحيى

لم أقصد بالدين الشبابى أو الدين الدمث أن هناك دين للشباب، ودين للكبار، وإنما قصدت، أن أحذر من تخفيف جرعة حمل الأمانة ترويجا لشكل من أشكال الدين، بديلا عن الانتباه إلى تعميق حركية الإبداع نحو خالق البشر ومنزل الأديان مرورا بأنفسنا فالناس (أدخلى فى عبادى).

محمد كامل

إذن ما هو الحل وأين القضية.

يحيى

طبعا أنا لا أملك الحل لكنى معك "نسعى إليه"،

عندى أن الأسلام ليس هو الإيمان، ولا هو محتكر للطريق إلى الحق سبحانه وتعالى، وأن حركية الفطرة السليمة هى تهدينا إلى الإيمان الذى لابد له أن يتجلى فى دين (سلوك) محكم وليس فى دين مغلق، وأن تحديث ألفاظ الدين، وتسهيل الانتماء إليه، وتخفيف جرعة الترهيب دون الترغيب (وهو ما أعتقد أن عمرو خالد يقوم به مشكورا)، كل ذلك طيب، على ألا يكون نهاية المطاف. وبقية الرد ربما تجد بعضها فى فقرة التصوف

ثم هيا بنا نسمع معاً رأيا أخر فى مسألة عمرو أيضا.

***

د. محمد أحمد الرخاوى

محمد

أوافق على ما ذكرت عن ظاهرة عمرو خالد، وأضيف لها أنها ظاهرة خطيرة جدا، وهو ما اسميه "الإيمان بالوكالة".

يحيى

حلوة هذه، **"الإيمان بالوكالة"**!! ماذا تعنى بالظبط؟

محمد

أى بدل أن يكدح الناس للوصول إلى الله، يسمعون عمرو خالد، وخالد الجندى، ومبروك عطية، وزكريا جمعة (مع الاعتذار لعادل إمام وشكره فى نفس الوقت).

يحيى

يا محمد، واحدة، واحده ربنا يخليلك، أيضا حلوه منك **"حكاية عادل إمام"** هنا

محمد

.. ظاهرة الارتزاق بالدين على الفضائيات وغير الفضائيات!! هناك مفتٍ لكل مواطن..، على حد علمى أن الأئمة الأربعة حرّموا الارتزاق من الدعوة.

يحيى

الحمد لله أنهم حرموه، ومع ذلك أنا لا أميل إلى تعميم الاتهام هكذا

محمد

لا ينفصل أى دين عن أية حياة (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)، كل آيات القرآن تربط الإيمان بالعمل الصالح

يحيى

ياليت، يا محمد هذا كله كلام فى المرمَى، غير الكلام الآخر الذى سوف أتشاجر معك بشأنه بعد قليل.

الجزء الثالث: التواصل، وإبداع الشخص العادى، والمرأة

د. أسامة عرفه

أسامة

يلخص القرآن الكريم العلاقات بين البشر بإيجاز بالغ فيما معناه "يوم لاينفع فيه بيع ولاخُلّة" (بضم الخاء لو سمحتم)

يحيى

ربما أنا أقرأ هذه الآية الكريمة ليس فقط بالإشارة إلى يوم الإفاقة الكبرى والحساب الأعظم، وإنما أيضا باعتبارها احتمال كل يوم، حين يفيق الذاهلون وهم يكتشفون عبادة البيع (الاستهلاك) واغتراب العلاقات الثنائية المغلقة " الخُلّة"، لابد أن نعيش احتمال أن يكون "هذا اليوم" ماثلاُ الآن، وكل يوم، إلى أى يوم.

اسامة

ويضيف الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فتحاً رائعا لمستويات التواصل الحقيقى "رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه"

يحيى

توقفت كثيرا يا أسامة عند حرف "فى" (فى الله) ثم توقفت أكثر عند حرف "على" (اجتمعا عليه) ثم توقفت أكثر وأكثر متسائلا وأنا أقول "النفسى"، نجتمع عليه، مفهوم، لكن كيف نفترق عليه،

فاجتمع لدىّ مفاهيم برنامج الدخول والخروج in-and-out program ومدى اتساع مظلة الحق سبحانه التى تظل هذين الرجلين.(يوم لا ظل إلا ظله، وكل يوم عندى أجد أنه لا ظل إلا ظله)

المهم هذه الحروف "فى" و"على"، وهذه الكلمات: "ظله" و"افترقا" كانت تمثل الأساس فى نقد التواصل الثنائى "وجها لوجه"، فى أطروحة علمية قدمتها فى أكثر من مؤتمر، وأننا لو تأملنا حرف "فى" فى الآية الكريمة بعد النداء للنفس المطمئنة وادخلى "فى عبادى" لاختلف معنى التسكين الذى نكرره ليل نهار، كل هذا يحتاج لعودة مفصلة ويمكن الاطلاع عليها مؤقتا فى **موضوع الأسس البيولوجية للإيمان.** مع أن عرضه فى شرائح لا أكثر.

د. أسامة عرفة: (نقله لإبداع المرأة)

طب وهى فين بسلامتها
فيه حد حايشها
هوه احنا أوصيا عليها
وكمان ندافع عن حقها فى الابداع
ماتدافع هى عن نفسها إذا حبّت

يحيى

يا أسامة! يا أسامة! أظن أنت تعرف تماما القهر المفروض على كل من المرأة والرجل طول الوقت بكل

أسامة

إننا بوصايتنا ودفاعنا عنها بدلا منها، نعمق رغبتنا فى استمرار تبعيتها (لنا نحن الرجال)

يحيى

وجهة نظر لا مفر من احترامها، لكن من يريد أن يدافع معها - لا عنها - يدافع، أنت مالك؟

أسامة

مع تحياتى واعتذارى لمعظم النساء
واللى عاوزه تبدع تتفضل ماتنتظرش. سماح .

يحيى

عزومة مراكبية، وهل تتحمّل يا أسامة نتائج ابداعها بحق وحقيق، أليس فى ذلك - بذمتك - ما يهدد ذكورتك ولا مؤاخذة؟

دعنا نسمع صوتا آخر عن إبداع الشخص والغرب، صوتا أنت تعرفه.

د. محمد أحمد الرخاوى

أعيش فى الغرب منذ حوالى 5 سنوات متصلة ولم أر فى ابداع الرجل العادى إلا طقوسات وثنية جديدة منها أصنام التأمين واتباع النموذج دون حركية ابداعية حقيقية .

يحيى

يا محمد يا ابنى، خفّف، خفف من هذا التعميم، ثم ما صيغة الاستثناء هذه التى تستعملها على العمال على البطال؟ ثم قل لى هل استراليا هى الغرب، نعم هى مجتمع غربى على شرق الدنيا جغرافيا على ما أظن، صحيح أنه هناك أصنام حديثة، لكن الإبداع الغربى على قفا من يحمل عندهم، أم أنهم ليسرفونه منا بعد أن يسقوننا "حاجة أصفرا".

د. محمد

طبعا هناك كأى كتلة من البشر فى مكان ما قلة مبدعة حقيقية كادحة باحثة فعلا.

يحيى

هأنت قلتها

د.محمد:

ليس هناك - مفروض - ما يمنع الإبداع فى الغرب، ولكن طغيان قيمة العدم والكفر بمعنى عدم حمل الأمانة كما ذكرت قبل ذلك فغالبيتهم ذاهبين إلى حجيم يحفرونه بأيديهم بل هم فيه حالا

يحيى:

اسم الله علينا نحن وعلى حوالينا، وعلى ابداعتنا المتدفقة من كل حدب وصوب، وعلى الجنة الخضراء التى نرتع فيها يارب ماتكون عارفا للموال الذى سأذكره لك بعد التحوير

"جَدَعْ عمل مقبحة رايد بها عندى
عملت انا الطيبة شوُفْ فرق دِى من دِى
ولاّ ان كسيت الجدع دا حرير مِن الهنْدى

يـاكُـلْ فى خيرك وعنـد الـنـاس يـدّم فـيـكْ
هَلْبَتّ يـا عين بـعـد الـشرد، مـاتـنِـذْى

لـعلك لم تـنس يـا محمد أن "هلبَتّ" فى بـلـدنـا يـعنى أظن، وأنـا أخشى عـلـيك أنـك "تـأكل فى خيرهم" ولـيس عـنـدك إلا هـذا الـذم والـتكفير لهم، يـا شيخ! يـا شيخ!

محمد

لـيس هـنـاك ابـداع حقـيقـى إلا بـإيمـان حقـيقـى، ففـى نهايـة الـنـهايـات الإبـداع هـو عمـلـيـة كـشف الحقـائـق ثم حكـايـتـهـا ثم تخلـيقـهـا خلـقـا آخر وتـبـارك الله أحسن الخالـقـين

يحيى

مـرة أخـرى: اسم الله عـلـيـنـا، لا أريـد أن أذكـرك مـرة أخـرى بـالـتـوقـف طويـلا عـنـد حكـايـة "إبـداع حقـيـقـى" و"إيمان حقـيقـى" وكـل تـلـك الـتـعريـفـات المـتلاحقـة هـكـذا - كـل واحـد أيـا كـان، حتى المـؤمـن بـالـشيطـان، ربمـا يـقـول نـفـس الـكلام يـا أخـى، يـالـيـتـك تـراجـع نـفـسك وتـبْـدع بـدلا أن تـتـكـلم عن الإبـداع بـالـسلامـة.

الجزء الـرابـع: صوفـيـة والـفـطرة والـتـكويـن الـبـشرى

إيمـان

.. لـقـد وصلـنى (مـن مـوضوعَـىْ الـصوفـيـة) مـا تـقـصده رغم بـعـض الـغمـوض ولـكـن أود أن اسجل إعجابى بـالجزء الخاص بـــ: الـطفـل والـفـطرة والإيـقـاع الحـيـوى" وأيـضـا حـوار الـدهشة بـين الأخـويـن.

يحيى

أرجـو أن يـكـون الـغـمـوض هـنـا هـو غمـوض إيجـابى، سـواء فى الإرسـال أم فى الاسقـبـال، كـلـمـا زدنـا تـوضيحـا يـا إيمـان، وتحديـدا، فى هـذه المسـائـل وجـدنـا أنـفـسنـا نـبـتـعـد عن "كـلـيـة" المسألـة بـشكـل مـا، الـعجيب يـا إيمان أن أحـدا ممن كـاتـبـنى لم يـربـط بـين دهشة الـطفـل، وكَشْف الـدهشة (عـنـد الـصوفـيـة) إلى وجه الحق تـعـالى.

أحسن!! ربمـا لـو لـربـطوا غـامـت المـسألـة أكـثـر.

إيمـان

إن مـا وصلـنى هـو أن حب الله سبحـانـه يـأتـى مـن الـتـأمـل فى خلـقـه وهـذا لا يحتـاج إلا إلى فـطرة يمكن أن تـكمـن فى بـراءة الأطفـال فـيمـا تـضعف هـذه الـفـطرة عـنـد بـعض كـبـار المـتصوفـين.

د. يحيى

يـا خبر يـا خبر! حسبت - يـالـيـت - أنـنى قـرأتـك خطأ، أو أن اخطأ مطبعيـا قـد حذف "لا" قـبـل تـضعف يـعنى " لا تـضعف"، ولـكـن اسمحى لى - كـمـا قـلـت معـك فى سؤالـك عن الـديمقـراطيـة - أن أؤجل حديـثـى عن بـراءة الأطفـال، هـذه فـإن لهـا، وعـلـيـهـا، مـا يحتـاج إلى تـفـاصيـل الـتـفـاصيـل، وسأعـود إلـيـهـا كـمـا وعـدتـك بـشأن بـدائـل الـديمقـراطيـة

إيمـان

أشكـرك أنـك وعدتـنى بـالـرد عـلـى سؤالى عن الـبـديـل عن الـديمقـراطيـة المشبـوهـة ولـو أنـنى أشفـق عـلـى حضرتـك مـن الهجوم عـلـيك ولـكـنـى متـشوقـة لمعرفـة رأيـك؟

د.يحيى
لا عليك يا إيمان، فأنا معتاد، ومازلت عند وعدى، سواء بالنسبة للديمقراطية، أم لبراءة الأطفال هيا معى نستمع لرأى د. أسامة عرفة فى مسألة التصوف هذه.

د. أسامة عرفة
كثيرا ما كنت أتأمل فى القرآن الكريم متتالية "السمع، والبصر، والفؤاد وأحاول أن اقرأ المدى الإدراكى لكل منهم (بدون استخدام التقنية) فأجدنى أستطيع السمع لمئات الأمتار وأجدنى أستطيع الإبصار لآلآف السنين الضوئية لأبعد نجم يمكن رؤيته ولكن .. عندما أقارن بين مدى السمع ومدى البصر كنت استنتج أن مدى إدراك الفؤاد ممتد امتداداً يكاد يكون لا نهائيا؟

يحيى
ليكن يا أسامة لحدسك وخيالك حرية كل هذه الحركة وهذا الامتداد، إن كل ما أريد الإشارة إليه - بعد تجنب واضح للتفسير العلمى للقرآن والحديث .. الخ - هو التأكيد على ما أكده العلم المعرفى والتصوف والطبيعة الحديثة معاً وهو **(1) تعدد قنوات المعرفة (2) وتنوع لغاتها (3) وإمكانية تضفر هذا وذاك بحركية جدلية لا تنتهى.** لا أستطيع أن أضيف أيه تفاصيل، وهذا يكفينى لو قبلناه بجذر كافٍ، حتى لا نقع فى إشكالة الخرافة السلبية دون معرفة، ودون تصوف، فنجد أنفسنا مضطرين للاستغاثة بما هو علم تقليدى مؤسسأتى، حتى تصبح مجرد الدعوة إلى الامتداد المعرفى هى اتهام بالجهل، مع أنها شئ مفيد جدا، طريقا إلينا إليه سبحانه.

د. أسامة
إذا كان (هذا) البصر يدرك ما لايدركه السمع، فإن الفؤاد يدرك مالا يدركه البصر حتى يصل إلى إدراك الله عز وجل وصلى الله على محمد حين يعملنا: أعبد الله كأنك تراه ... وفى القرآن الكريم ما كذب الفؤاد ما رأى.

يحيى
اظن أن رؤية الصوفية فى هذا المجال هى أعمق وأكثر تنوعاً، ثم يا أسامة، أنت تستشهد بشكل حاسم، بنصوص ساطعة، قد لا تَمْثُلُ فى وعى آخر بنفس السطوع، وله كل الحق، ما رأيك ننصت معا لصوت آخر على درجة كبيرة من الاختلاف؟

أمل محمود
(لقد قبلت من مقالك أو بحثك كلا مما يلى)

1- إن كل المطلوب هو قبول فكرة (حقيقة) مستويات الوعى، بدلا من التوقف عند الاستسلام لعقل ظاهر، أو الاستقطاب الفرويدى بين ما هو "شعور" و"لاشعور"
2- إن مستويات الوعى هذه تقابل بشكل أو بآخر: مستويات **تعدد الكيانات** داخلنا، ومستويات حالات العقل،

فى العلم المعرفى، **وأنواع العقول** على مسار التطور.

3- **ليس معنى تحجيم دور العقل أن نتازل عنه، بل أن نتكامل به**

4- إن الباب مفتوح لاستخراج كل كنوزنا هذه وغيرها لنترجمها إلى لغة العلوم الأحدث، ليس بمعنى التفسير العلمى لها، ولكن بمعنى الإضافة المعرفية الموازية التى أشرنا إليها أمس.

يحيى

هذا يكفينى فعلاً، وهو ما أردتُه تماما، وهو ما رددت به على الابن أسامة عرفة

أمل

.. لكننى لم أفهم حكاية "الخضر"، أصلا وقد بحثت وقرأت عنه. ولم أعرف لماذا خرب السفنية حتى لا يأخدها الملك، ولماذا قتل الصبى حتى لايفسد والديه، ولقد تصورت أنها قيم تحتاج وقفه، وخاصة إذا أُخِذتَ بمعناها المباشر.

يحيى

من حيث المبدأ، معك حق، ولو أنى أختلف معك فى غموض مغزى خرق السفينة لقد كان تحايلا ذكيا لرفع ظلم حاكم غاصب يستولى على أموال بحجة مثل الحجج العصرية التى تستعملها الدولة الآن حين تستولى على ملكية المستضعفين بحجة المصلحة العامة،أما مسألة قتل طفل مجهول من ناحية ، فى حين حرص مولانا الخضر على الحفاظ على حق طفلين آخرين لأنهما أصحاب الكنز من ناحية أخرى، فهى أمور قد أقلقتنى طويلا، أكثر من خمسين عاما، كيف يقتل طفلا بهذه البساطة، و فى نفس الوقت يرعى حق أطفال آخرين بكل هذه الشهامة، وحين كتبت قصيدتى "فى هجاء البراءة"، حضرنى استلهام خاص يشرح هذه المفارقة، أو خشيت أن أعلنه حتى لا يظن بى أننى أتبع التفسير العلمى للنص الالهى، لكننى مضطر أن أطرحه الآن هكذا:

الطفل بداخلنا إذا انفصل أصبح هو البدائية النشاز بكل قيمها، نشاز لأنها ليست لها علاقة بهارمونية الكون إلى وجه الله، ونحن حين نتيقن من انفصال طفلنا بداخل بلا أمل فى تكامل تام معه، قد نضحى به ونرضى بما تبقى منا دونه اضطراراً. لقد تصورت أن الطفل الذى قتل هو هذا الكيان المنفصل داخلنا الذى يمكن أن يحول دون استمرار النمو نحوه سبحانه، هذا ليس تفسيرا علميا وإنما هو استلهام مواز، وما كان يشغلنى دائما هو: من أين للعامة أن يعرفوا حكاية الطفل داخلنا واحتمال انفصاله وضرورة التخلص من هذا الطفل إذا هدد بطغيان بدائى، أعتذز لك.

يا أمل، ودعينا نكمل بعيدا عن هذا التفسير الخاص الصعب.

أمل

... أما عن المعنى الصوفى للإيمان فأنا لا أعرفه ولم أخبره؟

يحيى:

ومن ذا الذى عرفه أو خبره، المصيبة أن أغلب الذين

يتحدثون عنه - وربما أنا منهم- لم يعرفوه ولم يخبروه، وربما من اعترف مثلك بهذا الجهل هو أفضل من سيل الخطابة التى يغمرنا بها محمد ابن أخى طول الوقت بكل هذه الوثقانية والتعميم والتكفير أحيانا، دون أن يأخذ باله، اللهم إلا باستثناءات خافتة أحيانا.

أمل

لماذا أطُلق على إيمانى بالحياة، وبكل ما فيها من جمال وقبح أنه إيمان بعقيدة معينه، أو بشئ بذاته (إننى اشعرأحيانا) أن ثَّم تفكيراً تآمريا فى المسألة، دعنى أسميه "التفسير التآمرى للوجود"، وإن اختزال التعقيد والتشابك إلى ما يسميه كل واحد بالأسم الذى يتراءى له من خلال عقيدته وموقفه، هو تبسيط تآمرى بشكل أو بآخر.

يحيى

... ربما كان التبسيط المبالغ فيه الذى يبدو أحيانا فى أقوال الصوفية، والذى يقلده كثير من الهاربين المغتربين الذين يحسبون أنفسهم صوفية، هو الذى يجعلنا حذرين من تصديقهم بهذه السهولة التى يدعوننا إليها بخطابة عالية الصوت (تقرأين بعضها هنا) .

أمل

أنا لا أعرف معنى (لما يقولون)، ولماذا أؤمن (بما آمنوا به) ولماذا أحبه، وهو أمر لا يشغلنى أصلاً؟

يحيى

وهل دعاك أحد لذلك، أنت حرة، وتتحملين مسئولية اختيارك، وهو اختيار له ما يبرره من وجهة نظرك، المهم أن تحسنى الاستماع إلى أى احتمال آخر، كما أطلب منهم أن يحسنوا الاستماع إلى ما تقولين هكذا.

أمل

إذا كان هذا ما يشغل الناس فهم أحرار فيما يهتمون به؟

يحيى

وأنت أيضا حرة فيما تهتمين به

أمل

أما إذا كان التصوف هو ما قلتَه أنتَ فى السطور التى اقتطفتُها من مقالك فى بداية تعقيبى، فهو جيد؟

يحيى

هذا يكفينى

أمل

ثم انى لا أهتم فى الوقت الحالى بدراسة هذا الموضوع، فهناك أمور كثيرة أخرى تسترعى انتباهى، مثل وقف القتل، ووقف الدمار، ووقف فناء الحياة على الأرض؟

يحيى

وأظن أن المتصوف الحقيقى هو الذى لا يتوقف ليردد

علينا مفردات تصوفه وهو يدور حول نفسه، بل أنه هو الذى يضع كل همه فيما ذكرت،، من أهداف، وهو يعمق وجوده ووجود الآخرين ليكونوا أقدر فاقدر على مواصلة كل هذا معك ومعنا.

****

هل تسمحين يا أمل أن نعود للدكتور أسامة قبل أن نختم بالدكتور زكى سالم فهو الأكثر منا جميعا إحاطة بهذه المسالة، خصوصا وأنهما يتناولان موضوعى الكسر والعدم كل من زوايته

د. أسامة عرفة

قد يفجر الكسر طاقة كامنة هائلة تحتاج مساحات هائلة من الوعى للاستيعاب وإعادة التشكيل فى علاقات فاعلة جديدة

د. يحيى

طبعا، وإن كنت قد لمحت فى تعليق الصديق د. زكى سالم الذى سيأتى حالا، وقفة ناقدة أمام فكرة الكسر هذه، فى مقابل فكرة "العدم"، فهل تنتظر يا أسامة حتى أناقشه.

د. أسامة

(سوف أفعل ولكن) لنتأمل معا الطاقة الهائلة الناشئة عن تفتيت نواة الذرة ماذا يمكن أن تفعل بنا؟ وماذا يمكن أن نفعل بها؟ إننا (من خلال الكسر المتوالى هذا) نقترب من قمم؟ الوجود البشرى متفاعلاً مع الكون.

د. يحيى

وهل هذا إلا الإيمان الدائم التوجه كدحا إليه، وهل هذا إلا إبداع الذات فى رحابه دخولا فى عباده .. إن العقل المحدود، والأبجدية المغلقة تحول دون أىٍّ من ذلك، أظن أن هذا بعض ما ألمح عليه الابن محمد أحمد

محمد أحمد

... أخطر ما يخنقنى فى اليوم مئات المرات، وأنا أعيش فى الغرب، هو هذا الإصرار على الأخذ بهذا الصنم المسمى "العلم العقلى المبرمج" بعد أن نَفَوْا (إلا من رحمَ ربى) فكرة الوجود الآخر والمعرفة المتكاملة وسجنوا أنفسهم فى عبادة صنم العدم (المادة المنسلخة عن أى شئ) فغرقوا فى بركة آسنة من الشقاء الصارخ؟

د. يحيى

"تانى" يا محمد؟ "تانى"؟!!، العدم الذى تتحدث عنه وتتهم مضيفك (الغربى) صاحب الفضل بأنه غرق بسببه فى بركة آسنة ... الخ ليس أبدا هو العدم الذى جاء فى المقتطف الذى قدمته فى مقالى، يا شيخ، نحن بكل ما نقول ونصيح ونكفّر ونلعن، قد نكون أبعد عنه سبحانه بمالا يقاس، ورحم الله شيخنا محمد عبده، وما قاله عند ما زارهم، يا أخى حرام عليك.

محمد

هذه هى مأساة الغرب والشرق على حد سواء فالأول تصور أنه قادر عليها بعد ما تزّينت، والآخر احتكر لنفسه جنان السماء وهو غارق فى بركة آسنة من غيبوبة وعى وجمود وموات وانفصام؟

د. يحيى

بِرْكة هنا وبِرْكة هناك!!! لا يا عم، الرائحة لا تطاق، يفتح الله، ثم أننى أرى بركتنا أقذر، ورائحتها أخبث، وحشراتها أكثر سُمِّيه، وفى نفس الوقت أنا معك أن حّلهم ليس هو الحل، أنا أتصَوَّر أننى ما رحت أدعو للبحث فى كنوزنا الصوفية إلا لنبحث عن الحل، ولن نجده جاهزا.

هيا معنا، ونحن نستمع لأحد الاصدقاء المختصين جدا، المحبين جدا د. زكى سالم

د. زكى سالم

... هذه محاولة لتقديم رؤيتى لمعنى العدم، وهو معنى جوهرى فى التصوف الإسلامى والمسيحى والهندى وغيرها

يحيى

أهلا زكى، أنا جعلتك فى الآخر لتعلّمنا وتكون حسن الختام، ثم إنى أشكرك على هذه البداية ذلك لأنه كما تعرف أن الكثيرين من أصدقائنا حتى فى هذا الركن اليومى يتصورون أن التصوف يختص به دين دون الآخر، وأنت بدأت تذكرنا بهذه الرحابة الطيبة فما هو العدم فى رأيك؟

د. زكى

...العدم هو معجزة التصوف الكبرى، العدم لا يعنى الكسر على الإطلاق

د. يحيى

لا أذكر أننى قلت أن الكسر هو العدم، أنا أعنى دائما بالكسر طاقة التفكيك التى تخطو بنا نحو العدم الخلاّق، وهى خطوة جوهرية فى إعادة التشكيل، فما الخلاف؟

د. زكى

.... العدم هو التخلص من كل أنواع الدعوى (الادعاء) أى يتخلص العبد من أى تصور عن نفسه أو ذاته أو صفاته، فلا قلب ولا عقل ولا نفس ولا حتى جسد

د. يحيى

طيب يا أخى، إذا اتفقنا على نهاية مقولتك، فهل استسمحك تقف معى عند كلمة **"التخلص"** التى ذكرتها فى البداية!؟ كيف يمكن أن أتخلص من جمودى إلا بالكسر، من أصنامى الحقيقية والوهمية إلا بالكسر، من قشرة أيديولوجتى إلا بالكسر، من سكونى وثباتى إلا بالكسر، من قِنَاعى الظاهرى إلا بالكسر، الكسر يا زكى الكسر هو خطوة جسور نحو تفكيك الخامد الجامد، وهو يستمد طاقته من تسخير طاقة غريزة العدوان لتحريك النمو بدلا من

انحرافها لتحقيق العدم، وهذه هى أطروحتى عن **"العدوان والإبداع"** ثم يأتى العدم: البداية، والعدم الفرصة، العدم لإعادة الولادة، ولتسمه ماشئت، وتصفه بما شئت، لكن أنظر معنا إلى الخطوات المؤدية ومنها الكسر، وليس فقط النفى الذى يبدو لى سلبيا، ولكن أكمل أولا، لو سمحت.

د. زكى
.... يصبح العدم قابلا للتشكل بيد المشيئة الإلهية المتحكمة وحدها فى هذا الوجود المسير

د. يحيى
أخشى ما أخشاه أن يفهم من قولك هذا المعنى السلبى الذى يشاع عن التصوف من كثير ممن يرفضونه أو لا يفهمون حقيقة أبعاده، المشيئة الإلهية التى تشكل العدم لا تنفصل عن المشيئة الإبداعية التى أوصلتنا إلى التلاحم مع المشيئة الإلهية يا أخى، وهذا الإبداع الإيمانى المتجدد هو الذى نشارك فيه بمسئولية بالغة، أنا أعلم مدى غموض ألفاظ المتصوفة على وعى استقبال العامة فلنحذر كما كنا نفعل وأنت تعرض علينا بعض نصوص أبن عربى نتناقش فيها

د. زكى
يقول ابن عربى عن نفسه "أنا العدم الظاهر"

د. يحيى
هل رأيتَ؟ زدْنا تعلّما

د. زكى
(أى) لم تعد له أى ذاتية خاصة، هو حر، هو غير مقيد بشئ، ومن ثم يشكله الحق كيف يشاء وفى هذا المقام العالى لا تتم عملية بناء ولا إعادة بناء

د. يحيى
إيش عرّفك؟ إيش عرفك أنه لا تتم عملية بناء ولا إعادة بناء، ولماذا التعميم؟ وهل العدم عند كل المتصوفة سواء؟ ثم إن هذا كلامك، وأعرف أنك تعنى أبعاده، وتعرف مداه، ولكننى أريد أن اوضح ما وصلنى من أن ابن عربى لا ينكر دوره الفعّال وهو يسلم نفسه عدما ظاهراً لمشيئة الله، فهو يشارك فى كل ما يجرى، لأنه شخصيا العدم الظاهر، أما العدم الباطن فهو - فى نصّك المقتطف - لم يصرح عنه بشئ، أو لعله صرح فى موقع آخر، والمشاركة التى أعنيها هى إبداع الذات "فى" عباد الرحمن "إليه"، فهى هدم وبناء وفى نفس الوقت، طول الوقت.

د. زكى
الأمر ليس هدما وبناء، ولكنه إفناء الصفات العبودية جميعا فتحل صفات الربوبية جميعا، فهذا "هو" فمن "أنت"؟

د. يحيى
هذا الإفناء وهذا الاحلال، لماذا لا يكون هو هو العدم

والبناء لإعادة الولادة، ثم انظر تعبيرك عن الإحلال هكذا، وكأن المسألة كمية استاتكية، مع أنها عندى حركية حيوية (بيولوجية إيقاعية) لا تهدأ إلا لتنبسط فى دورات السعى، مثلما هى فى دورات النمو، مثلما هى فى دورات الإبداع، كل ذلك فى عملية تكامل مستويات الوعى معا إلى ما يتخلق منها، ربما هذا هو ما فهمته من كلامك عن الوعى الفائق.

د. زكى

هذا هو الوعى الفائق حين يدرك عبر حقيقته ويرى أنه عدم لا غير

د. يحيى

بل حين يدرك عبر حقيقته ويرى أنه **عدم يتخلّق إليه، وبه طول الوقت** فى دورات كَدْحه كدحا

د. زكى

هذا الكلام سيكون ثقيلاً على البعض لدرجة تتطلب أن يعتذر صاحبه، فلتقبلوا أعتذارى

د. يحيى

أما أنا، فكما تعرفنى، لا أعتذر

فقط أنا أكرر قول ميخائيل نعيمة (ربما) "كرمى على درب فيه العنب وفيه الحصرم، فما أعجبك منه فخذه، وما ضرست منه فدعه

وشكراً

***

ملحوظة:

جاءنا تعقيبات طيبة على مقال أمس الجزء الثانى .. فى شرف صحبة نجيب محفوظ

"شيخنا يعود إلى بيته، وتعود إليه - إلينا- ضحكته"

وفضلنا أن نؤجل الحوار حوله إلى الأسبوع القادم

السبـــــت 06-10-2007

36- الطفـل: "مشـروع" يحمل كل النقائض!! فـا تختزلـوه !!

الطفل يجمع بين جمال الفطرة، وقسوة البدائية القاتلة، وجمال الطزاجة، وسلبيات البراءة!!!

من منا يعرف ذلك؟
من منا يستطيع أن يتحمل رؤية أو تصور كل هذه التناقضات ليسيوعبها وهو يتعامل مع طفله، أو يقوم بتربيته؟

من منا يبحث عن طفله بداخله، والذى ما زال يحمل كل ذلك معا،

من منا يعرف أنه بغير مواجهة هذا التناقض وقبوله ليتحرك، لن نتكامل أبدا.

....

كيف نرى الطفل؟ وكيف نتعلم منه؟

هل تسعفنا المناهج التقليدية، وهل تكفى المراجع الأكاديمية؟

قلت مكررا بصريح العبارة أننى تعلمت عن نفسية الطفل من قراءتى النقدية لديستويفسكى (مثلا): **"نيتوتشكا نزفانوفا، والفارس الصغير"**، ما لم يصلنى من كل مراجعى العلمية عن الأطفال، ثم إنى حين قارنت شعر شوقى للأطفال بقصص هانز كريستيان أندرسون **"أطفالنا: بين روح الشعر ونظم الحكمة" (وجهات نظر - مارس 2005)** شعرت أن الأخير هو الذى يكتب الشعر مقارنة برجز الأول الشديد الجودة. أندرسون يبحر فى طبقات وعى الأطفال بطلاقة سلسة غامضة مفجرة، أما شوقى، فهو بكل رقته وحذقه يخاطب سلوك الأطفال، وينمى أخلاقهم، ويسخر من خلالهم بالكبار وبالساسة، بشكل رشيق خفيف ظريف مسل، ودمتم.

حين كتبت فى يومية 30 سبتمبر أن الأطفال يمتلكون وسائل معرفية أبسط وأعمق تجعلهم يدركون بشكل مباشر ما يعيشه الصوفى فى علاقته بالله أحسن منا، قلت بعد أن عقدتها بكلام شديد الصعوبة

"... أحيانا أشعر أن هذا الكلام شديد البساطة - أى والله- فأنسى نفسى وكأنى لا أعلم ما آلت إليه أقفال العقول التى أغلقت بمنظومات علمية سطحية، أو دينية مؤسساتية، فأرجع للأطفال أخاطبهم ، فأجد خطابهم أسهل، وأنا واثق أن إدراكهم أبسط وأعمق معا"

أضفت فى آخر هذه اليومية حوارا غنائيا بين طفلين يمتدون بدهشتهم حتى يحبون الله وهم يتعرفون عليه بأدوات الفطرة المباشرة التى هى ما يشحذها المتصوفة، وهم يحاولون تدريبنا عليها، ولم يعقب أى من المتحاورين على الربط بما يدفعنى لمزيد من الشرح.

كل القنوات المعرفية التى أحاول تقديمها، لنتعرف بها على أنفسنا نجدها عند الأطفال والأميين، ليس بمعنى البدائية، وإنما بمعنى **"ما لم يتشوه بعد"**. يبدو أننا نمحو الفطرة مع محو الأمية، **فنرجع أميين نعرف القراءة الكتابة، وتموت الفطرة!!**

ما لم نحافظ على آليات المعرفة التى تميزنا أطفالا، فسوف نظر بشرا مبتسرين حتى نقضى مشوهين، بعد أن نجهض مسيرتنا إليه.

إن الذى يأخذ مسألة محاولة التعرف على الأطفال بعمق كاف، لابد ان يتحمل كل النقائض،

أحيانا أشعر أن اختزال الطفل إلى ذلك الكيان الدمية هو جريمة ليست أقل من التكيز على براءته البلهاء وإغفال كل ما عدا ذلك.

نحن نصور الأطفال لأنفسنا كما نشتهى، لا كما هم، داخلنا أو خارجنا .

أطفال التلفزيون، وأطفال مواثيق حقوق الأطفال، وأطفال الفيديو كليب ليسوا أطفالا

فمن هم الأطفال؟

فيما يلى صورا مختلفة لبعض تجليات للطفولة، وهى شديدة التنوع حتى التضاد أحيانا، لكنها فى مجموعها لا تمثل إلا الأطفال هم هم، وليسوا هم الذين نرسمهم لنا.

1) يستشهد مؤلف جاد بقول المسيح عليه السلام لأتباعه أنهم لن يدخلوا ملكوت الله ، (أى الإحاطة بأسرار الإنجيل، فى رأى المؤف: حارث الشوكانى: كتاب البرهان فى بيان عقيدة التوحيد من الإنجيل والتوراة والقرآن) **إلا إذا تعلموا تعليما جديدا كما يتعلم الأطفال**، نقرأ هذا النص:

"..ودنا التلاميذ فى ذلك الوقت إلى يسوع، وسألوه من هو الأعظم فى ملكوت المسوات، فدعى يسوع طفلا وأقامه فى وسطهم، وقال: االحق أقول لكم، إن كنت لا تتغيرون وتصيرون مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت الله، من اتضع وصار مثل هذا الطفل، فهو الأعظم فى ملكوت السماوات...."متى (18)

المسيح عليه السلام لا يدعونا إلى أن نرتد أطفالا، ولكنه

يـنبهنا أن نحافظ على طزاجة طفولـتنا الـتى نـتعرف بها على الطريـق إلى ملكوت الله..، الـتغير لـنصير أطفـال هو شحذ أدوات المعرفـة جميعا بمـا فى ذلك كيف يـعرف الـطفل الـدنيـا وهو يـتطور لـيكتسب أدوات جديـدة دون أن يـفقد ادواتـه الأولى.

تـلك هى المسألـة الـصعبة،
هذا مـا قـلتـه منذ سنة 1972 فى ديـوانى سر الـلعبة، ثم شرحتـه بـإفـاضة فى **"دراستى فى الـسيكوبـاثـولـوجى"**

لـن يـنجو أحد من هول الـزلـزال
إلا من أطلق لـلطفـل سراحه
كى يضعف ... أو يخطئ ... أو يـفعلهـا
لـن يـنجو أحد من طوفـان الحرمـان،
إلا من حل المسألـة الـصعبة،
أن نـعطى لـلطفـل الحكمة والـنضج،
دون مساس بطهـارتـه، بـبراءتـه، بحلاوة صدقـه،
أن نصبح نـاسـا بسطاء، لـكن فى قـوة،
أن نشرب من لـبن الـطيبـة سر الـقـدرة،
كى نُـهلك - حبـا - غـول الـشر المتحفز
بـالإنـسان الـطيب

***

هل يمكن؟؟
هل يمكن أن نجعل من ذاك الحيـوان الـنـاطق:
إنـسانـا يـعرف كيف يـدافع عن نـفسه..
بـبراءة طفـل،
وشجاعة إنـسان لايـتردد... فى قـول الحق،
بـل فى فـرضه؟
تـلك هى المسألـة الـصعبة.
هل يمكن؟؟
هل يمكن أن نضعف دون مساس بـكرامـتـنـا؟
أن نـضعف كيـمـا نـقـوى
أن يـصرخ كل جنين فـيـنـا حتى يُـسمع
***
أن نـطلق قـيـد الـطفـل بـلا خـوف وبـلا مطمع
أن يـعرف أنـا لا نـرجو منـه شيـئـا..
إلا أنْ يصبح أسعد منـا
ألا يـــخْدع
.....
.....
لـكن كـيف؟
سأقـول لـكم كـيف...
كـيف 'يـكون' الإنـسان الحر،
يـترعرع فى أمن الخير
يـنمـو فى رحم الحب
حب الـكل بـلا قـيـد أو شرط
حب لا يـسأل كم... أو كـيف...
أو حتى مـن؟

حب يقبل خطئى قبل نجاحى
حب يقظ يمنعني أن أتمادى
يسمح لى أن أتراجع
حب الأصل، لا حب المظهر والمكسب
وبريق الصنعةْ،
حب يبنى شيئا آخر غير هياكل بشرية،
تمشى فى غير هدى،
تلبس أقنعة المال، أو نيشان السلطة
سأقول لكم كيف:
بالألم الفعل،
والناس الحب
ينمو الإنسان:
طفلا عملاقا أكمل،
يسعى نحو الحق القادر
مثل الأول .... مثل الآخر
والقامة تمتد إلى ما بعد الرؤية

ذات مرة أخرى، فى أوائل السبعينيات، كنت جالسا على شاطئ النيل ومعى صديقاى (5،7 سنوات: أحمد، وعلى: أحدهما الآن مهندس ملتح وزوجته منقبة!!!!، والآخر، استشارى جراحة عظام فى إنجلترا)، وكنا ننتظر حتى نؤجر مركبا، أصحبهما فيه، أنا أمسك بالمجدافين وهما يهللان لعبا فى الماء بأيديها، رأينا طفلين آخرين، يتعلمان الصيد، لعلهما ولدين لصياد ما، كان مركبهما يتهادى وهما يحاولان بإصرار جميل، فكتبت قصيدة بعنوان ": **"العقلة والإصبع"** أصف ما وصلنى:

وبغيرِ شراع أو دفةْ
سارَ المركبْ،
نزل صبيّان إلى الميدان بدون سلاحْ
أحدهما جلس على المجداف يحركه:
عقلة إصبعْ،
والآخر يلقى بالشبكة:
شبراً شبراً
والنيلُ تمطي فى سأم،
أغمض جفـــنَهْ،
وتناوم يرفض لعبتهم،
أخفى سَمَكَه،
والإصبعُ يجذبُ حبل الأملٍ يطاولـــُهُ
تفلتُ منهُ بعضُ خيوطِــه
يجذبُ أخرَى،
وأخـَــيْـــرَى تجذبـــه نحوى،
لكن النيل يعاندهُ،
والأملً يعودً يعاودهً
وبعيدا فى وسط الحلقة... لاحتْ سمكة،
فأضاءت فى وجه العقلهْ.. قمراً بدْرَا،
والإصبعُ قفزَ من الفرحةْ ـ إذ أمسكَهــا
وقـــبَـــيْـــلَ طلوع الروح تمايلتِ المركبْ
قفزتْ فى النهر عروسُ البحر بدون وداع..،

والعقلةُ نظرتْ للإصبعْ، وتنهدتا، ..
وتحركَ قاربُــنا يسعى ...
أتبع سببا.

وجه الطفولة الآخر:
أما الوجه الآخر للطفولة البدائية المنفصلة ، التى تصل إلى حد القتل البارد ، فهو موجود أيضا وتماما داخلنا وخارجنا مهما حاولنا أن نطمسه، بل إن اعترافنا به هو الذى يقلبه قوة إيجابية عل مسار النمو والتكامل،

لا تنزعجوا ولنتذكر معا:
- هل ريتم طفلا يقضم رقبة عصفور وهو يضحك؟
- هل رأيتم أطفالا تسحب قطة مربوطة من رقبتها بحبل متين رفيع، أو سلك صلب حتى تموت؟
- هل سمعتم المثل الصينى الذى يقول:

"يقذف الأطفال الضفادع بالحجارة وهم يمزحون، ولكن الضفادع تموت جِدّا لا هزلا. .."

ألهمنى هذا المثل وأنا أصور هذا الجانب الآخر للطفولة (الذى يكمن داخل القتلة الظلمة الكبار كأبشع ما يكون) ألهمنى هذه القصيدة بعنوان الأطفال والضفدع:

-1-
أمطرتِ النارُ الناسَ حجارهْ
. . .
عرجتْ، رقصتْ، مالتْ، همدتْ
صاح الأطفالُ النظْارة:
إحذرْ ترجعْ للماءْ
-2-
زحف الحجرُ يفلطح وجهَ البسْمهْ
تابعه القاتلُ يتبخطرْ
وتناثرتِ البقعةْ
-3-
. . .
رفعوا حجرا أثقلْ
أشلاءٌ داميةٌ قلقةْ
-4-
- لم لا تتحركْ تهربْ؟
لم لا نكمِلْ نلعبْ؟
- حمقاء
حرمتْــنَا دورا أجملْ
مفروضٌ أن تبقى حيهْ
حتى نكملْ نلعبْ
- لكن يمكننا الآنْ: قصْف الأحشاء
والأشطرْ
يُدْميها أكثرْ
- دورٌ أسخفْ

فـالـفـرحةُ والـلـذةْ
فى الـقـفـزةِ والهزّةْ

-5-
وتـساءلَ عـابـرْ:
لم خرجتْ من رحم المـاءْ؟
لم ظلــتْ حيّهْ؟
لم قـفـزتْ عرجتْ،
سكنتْ، مـاتـتْ؟
قـالـت سمكهْ:
[كـانـتْ رَفَـضَـتْ رقصّ الـسـلـّمْ]
- بـرْمَـائـيّة؟
مـا أغـبـاهَـا كـلـمهْ
الـذنـبُ عـلـيـهَـا
لم تحفظ قـانـون الـسادة:
"المقتول أحق بحكم الإعدام"
-6-
كـتب الـقـاضى:
- حيث يحقُّ لـطـفـلِ الـقـوةِ يـلـعبُ بـالحريّـهْ
يُمنح حق الـلـهو بقدر الأحيـاء
- حيثُ تـقـبـّلَ ذاك الأعزلُ شرط الـلـعبهْ.
يُقْـتَـلْ
- مـاتْ!!!!
أذنـبَ: حرم الأطفـالَ الـفـرحهْ
حرمَ الـقـاضى -أيضا - حُكْمًا مشمولاً بـنـفـاذْ
-7-
- ولـذلـك:
"الـزم الـتـنـبـيه بـألا تـطلع روح الميت،
دون استـئـذان"

إذا كـنـا نـريـد أن نـرى الأطـفـال عـلى حقيقـتهم، فعليـنا أن نـنـسى هذا الاختزال المـاحى لـلجانب الآخر من بـدائيـتهم، ذلـك الجانـب الـذى سلختُه منفصلا، لأصف أبـشع تجـليات مـا يـسمى "الـبراءة" الخادعة أو الـسلبية فى قصيدة علىّ أن أعتذر لـكم وأنـا أقـدمهـا:

فى هجاء الـبراءة

- 1-
بـراءةٌ ممتهـنةْ،
تـنـازلـت عن حوْلها والقـوة
-2-
بـراءة بُـاهتةٌ
قـد حال لـونها وظلَّــلتْ
بـالـسهو والـعمى
أحمَالَ الـثـقـال.
- 3-
بـراءة قـاسيةٌ

تقتل بالإغْفال والمسالمهْ،
وتلصق الجريمهْ،
بموتىَ اليقظ.

-4 -
براءة ساكنة
تقطعت أطرافها، فساحت الحدود
مائعة ً مرتجّةْ.
-5 -
براءة زاحفة مبتلةْ،
قد سيَّبت مقابض الأفكار.
براءةٌ سارقة:
من فطرتى عبيرها وبعثها.
-6 -
براءة جبانةٌ غبيةْ،... وكاذبةْ،
قد لوّحت لمثــــــلنا،
بالجنة الموات والسكينة،
فناء ظهرُنا بكدْحــنا،
ومادت السفينة.
-7 -
بْراءةٌ مخاتلةْ،
وتاجرةْ
تُطل من بسمتها المسطحةْ،
معالُمُ المؤامرةْ
والصفقة الخفيةْ.
-8 -
براءة مشلولةٌ،
تنتف ريش نورسٍ محلِّق معاند
تحشِى به الوسادةٌ،
تزيّن القلادة.
-9-
تكاثــرَ الجرادْ
جـــحـــافلُ البـــشــرْ،
كـــالـــدودِ والجــــــــذورْ،
تغوص فى اشتياق،
فْى الطين والعفنْ.

1982/4/28

حتى لا تنزعجوا، هذه البراءة البشعة، برغم أنها أرجعتنا إلى **أجمل أقذر أصل الإنسان الأصيل**، إلا أنها ليست هى هى الطفولة طبعا، **إنها الجانب الآخر، الذى بدونه سنظل نتعامل مع الأطفال الذين فى أذهاننا، لا الذين خلقهم الله**

تخفيفا لما أصابكم، كما أصابنى، أختتم اليوم بتقديم، صورة رقيقة حانية من **طاغور**، تؤكد خصوصية واختراق المعرفة الطفلية الفطرية الرائقة المخترقة، (أصل الصوفية) عنوان القصيدة **"درب الطفل"**

"..إن الطفل الصغير يحيط بجميع ضروب الكلام السديد، غير أن الذين يدركون معناها قلائل.

فليس عبثا ألا يرغب فى الكلام

إن فى حوزة الطفل الصغير أكواما من الذهب والآلئ، "

ثم يصف طاغور اللغة بين الطفل وأمه فيقول

"..... لم يكن الطفل يعرف البكاء، كان يسكن أرض الغبطة، (أما الآن) فلديه سبب يحمله على ذرف الدموع، أجل، رغم أنه يداعب بابتسامة من وجهه أوتار قلب أمه فإن نشيجها الرقيق المنبثق من ألامه الصغيرة، هو الذى ينسج بينه وبين أمه رباطا مزدوجا من الحب والرحمة"

......

ولنا عودة

وعودة

الأحـــــــــد 07-10-2007

37-الخـــــــــــــــوف مـــن الحـــــــــــــــب (2)

حين كتبت عن **"التواصل البشرى"**، وتلقيت ما تيسر من تعليقات، ووردت بما عنّ لى من ملاحظات، كنت أحسب أنه موضوع ضمن المواضيع، وخلاص، لكننى رحت أراجع مسوداتى، وإنجازاتى، وممارساتى، لأكتشف أن مسألة التواصل البشرى حاضرة بإلحاح فى كل هذا، فى كل شىء، كدت أقول: ما دام الأمر كذلك فلأخصص هذه اليومية لهذا الموضوع دون سواه؟

قفز منى من يسألنى: هل أنت جاد فى هذه النية؟

قلت له: يعنى!

قال: واهتماماتك الأخرى: أين القهر؟ وأين القتال؟ وأين السياسة؟ وأين الظلم؟ وأين الجوع؟ وأين المؤامرات؟ وأين التآمر؟ وأين القتل؟ وأين الجنس؟ وأين الجنة؟ وأين النار؟ وأين المستقبل؟ وأين الحضارة؟ وأين التاريخ؟ وأين الإنسان؟ وأين التطور؟ وأين الجنون؟ وأين الطب النفسى (أوقفت نفسى بالكاد: حتى لا أضيف - مثلما يقول المغنى الشعبى فى الأفراح وحفلات الطهور- وأين انا؟ وأين انت؟ وكل من له نبى يصلى عليه!!)

أزحته عنى لأتوجه إليكم، فقد غلب على ظنى أنكم معه، أنكم لا تصدقونى؟

أليس كذلك؟

أنتم فعلا لا تصدقونى، معكم حق، طيب: نراجع أى كلمة مما سبق، أى كلمة، اختر أى كلمة، وحاول أن تتأمل مضمونها، أو دلالاتها، أو إشاراتها، بدون أن يقفز إلى قاع وعيك (نعم أقصدها، **قاع وليس ظاهر) "ما هو تواصل بشرى"** بشكل أو بآخر.

لن تستطيع.

خذ مثلا القتل، هل يمكن أن يقتل إنسان إنسانا وهو يستبعد وعى التواصل معه؟ **سلبا أو إيجابا، خوفا أو محوا،** سواء كان هذا القتل من قاطع طريق، أو أخذا بالثأر أو انتقاما لشرف على مستوى الأفراد أو العائلات، أو كان قتلا جماعيا فى حرب كحرب العراق للاستيلاء على البترول، أوقتلا تدميريا انتقائيا كتدمير مركز التجارة العالمى أو التطهير

العرقى فى البوسنة وغيرها، أو الإبادة المستمرة فى فلسطين، كله قتل فى قتل، فأين بعد التواصل البشرى؟

حاول أن تتقمص أى قاتل من هؤلاء، وأن تفكر: لو أنه انتظر لحظة قبل أن يضغط على الزناد، أو يصدر أوامره بشن الغارة، وفكر (**أعنى عايش ووعى:** بالمعنى المتعدد المستويات) فى كلمتين هما: **"بشرى" و"تواصل"**، فهل كان يمكن أن يواصل للضغط على الزناد أو إصدار الأمر بالإبادة؟ دون أن يتهدد وجوده هونفسه أنه لم يعد بذلك بشرا أصلا؟

تفكير طفلىّ؟

طبعا.

وهل هو عيب؟

ألم نقدم فى يومية التواصل البشرى أن الإنسان لا يكون إنسانا:

(1) إلا إذا تمتع بدرجة من الوعى لما يجرى به وحوله، داخله وخارجه، الآن وأمس ممتدا إلى الغد، وكان واعيا – بدرجة ما – بهذا الوعى (الوعى بالوعى)

(2) وإلا إذا إذا **شارك آخرا من نفس نوعه**، يمارس ويتصف بهذه المواصفات؟

لكى تقتل إنسانا مثلك من نفس نوعك – تحت أى مبرر– لا بد أن تغيب عن هذا الوعى المشار إليه، وأن تستغنى عن وصوله إلى بصيرتك، لأنه لو وصل فسوف تنتبه إلى حاجتك إلى ضحيتك، لكى تكون بشرا بحق، ولن تستطيع أن تخدع نفسك بأنك سوف تكتفى بمن حولك من نفس فصيلك، يعنى السيد بوش مثلا يحتاج إلى غيبوبة انقراضية حتى يقنع نفسه أنه يتبادل ما يشبه الوعى، والوعى بالوعى مع الست كونداليزا، وهما يتبادلان تقاذف كرة التنس، لا يحتاجان ليكونا بشرا لوعى الطفلة ذات الأحد عشر ربيعا التى قتلوها أول أمس وهى نائمة على سريرها فى العراق (مضروبة فى عشرات الآلاف).

حتى إذا نجح أمثال هؤلاء البلهاء بالاكتفاء بتبادل ما يتصورونه تواصلا مع فصيلهم دون بقية البشر، فإن المصير سوف يكون احتمال أن ينقسم الجنس البشرى إلى عدد متنوع من الأحياء، بحسب عدد الأوطان، أو عدد الأديان، أو عدد الأفراد فى نهاية المطاف، وحين يصل الأمر بالتفكك إلى هذه المرحلة (أى حين يصبح كل فرد نوعا بذاته) ينقرض النوع بأكمله.

تفكير طفلى أيضا؟

نعم.

ألا يعجبك؟

أنت حر

دع كل هذا جانبا، وامسك كلمة كلمة من الكلمات التى ذكرناها، وحاول أن تستبعد منها بُعْدُ **"التواصل البشرى"**، ولن تستطيع.

فـإذا رجعت إلى **يـومية 26 سبـتمبر بـعنوان "تـعرية زيـف واغتراب الـتـواصل بـين الـبشر"**، لـوجدتـنى قد طرحت عددا من الأسئلة لم أجب على أى منها طبعا، ولـوجدتنى أيـضا وضعت تـعريـفا لـلمرض الـنفسى أنـه **"عسر علاقـاتـى"**، أو فـشل علاقـاتـى، بما يـترتـب عليه من آلام وشكوك وانسحاب وعزلـة، ولـوجدتَ ثمة إشارة إلى أن المرض الـنفسى من هذه الـزاويـة، هو نـوع من الإبـداع الـسلبى (أو **الأصح:** الإبـداع المجهض، لأنـه يـبدأ إبـداعا ويـنـتهى سقْطا مشوها لم يـتكون)، وأنـه (المرض) يـساهم فى كشف صعوبـة وفشل محاولات الـتـواصل الـبشرى، بما يـليق بمن هم بشر فعلا، كل ذلك يجعل تـناولـنا لهذا الموضوع بـالـتفصيل، مهما بـلغت الـصعوبـة والمخاوف، يـأتـى فى المقام الأول:

نـفـتح مـلف الحب

أشهر كـلمة تـصف أكـثر أنـواع الـتـواصل الـبشرى شيـوعا، بـسمعة حسنـة غـالـبا هى كـلمة **"الحب"**. فـهل نحن نـعرف مـاذا تـعنى؟ مـا لها؟ ومـا عليـها؟ مـاذا فـعلـنا بها، ومـاذا فـعلت بـنـا؟

الـشائع الـظاهر أن الحب هو كل شىء فى الحياة، وأنـه يـنـبغى أن نحب بـعضنـا جدا جدا، ونحب الأطفـال، والحيـوانـات، ونحب أعداءنـا بـالمرة، ونحب والحياة، ونحب ربـنـا، (الـشىء الـوحيد الـذى رفضت أن أدرجه هو: أن نحب أمـريـكـا أو الـسيد دبـليـو)

هذا هو الـشائـع؟ ألـيس كذلـك؟ فـأيـن الـواقـع؟ وأين الحقيقة؟

أغـوار الـنـفس

كـنت أحسب أن ديـوانى بـالـعامـية **"أغـوار الـنـفس"**، إنما يـتـنـاول أشكـال وتجليات بـعض جوانـب ومـراحل الـعلاج الـنفسى، وقـد كـتبـت – من أول صدوره – مـا كـان أشبه بـشرح مختصر لإمكـان تـوظيفه فى هذا الـغرض، ولم أرجع إلى هذا الـشرح أبـدا، والمصيبـة أن الـديـوان لم يـصدر مستقلا عن الـشرح أبـدا. ولا أحد من الـنقـاد (أو الأطبـاء) الـتفت إلـيه أصلا.

حين رجعت إلى الـديـوان، وقـد قـمت بـتحديـث بـعضه مؤخرا، وقـرأت هذا الـشرح الملحق فى صورتـه الأولى، تـذكـرت المرحوم إبـراهيم عبد الحليم (كـاتـب أيـام الـطفولـة ..إلخ) حين أهديـته الـديـوان فـرفض هذا الـشرح بـشدة، وراح يـعنفنى أنـنى أفـسدت الـديـوان بـه، تـرددت أن أقـبل نـقـده ساعتـها، بـرغم أنـنى فـهمت مـا يـقصد من بـعيد. حين تـأكـدت مؤخرا أنـه: **يموت الـشعر حين يُـشرح**

لـكـننى لا أكـتب شعرا، وفى نـفـس الـوقت أنـا لا أنـظم الـعلم رجزا لأسهـّل حفظه (مـثل ألـفيـة بـن مـالـك). قـارنـت هذا الـشرح المقتضب الـذى أغضب المرحوم إبـراهيم عبد الحليم، بـالـشرح المطول لـديـوانى **"سر الـلـعبـة" (دراسة فى علم الـسيكـوبـاثـولـوجى)** وشعرت أن الأخير هو الأنـسب إن كـنـت أريـد أن أوصل شيـئـا محددا من إيحاءات الـنـص الـشعرى، وبـدأت المحاولـة **(شرح متن ديـوان أغـوار الـنـفس شرحا مسفـيضا)**، ثم تـوقـفت.

حين عدت إلى هذا الـديـوان بمنـاسبـة صدور نـشرة الإنـسان والـتطور هذه، وجدت أنـنى لم أتـنـاول فى هذا الـديـوان– تـقـريـبـا–

إلا موضوع التواصل البشرى، **صعوباته وتشكيلاته، ومحاولات الاقتراب من حل إشكاله.**

قلت لنفسى: يا ترى هل يتحمل قارئ هذه النشرة أن نتناول التواصل البشرى من خلال "شرح على المتن" لهذا النص الشعرى، واحدة واحدة، لعل وعسى !!!

ولكن من هو قارء هذه اليومية؟

إيش عرفنى!!
سوف أقول ما عندى، وهو يتحمل، أو ينسحب، الله !!!!

فلنغامر:
سوف أتبع هذه المرة أن أتناول البعد المراد مناقشته، من خلال قصيدة أساسية فى هذا الديوان، ثم أعرج إلى الاستشهاد بما يتناسب معها من قصائد أخرى، أو معلومات أو حالات أو إضافة من أى مصدر مناسب

واليوم بحسب العنوان، البعد الذى سوف نتناوله هو **"الخوف من الحب"**، وطبعا سوف يستغرق أكثر من يومية، ليس بالضروة أن تكون متتالية، بل إنه قد يستغرق شرح الديوان كله،

نقرأ معا
هما قصيدتان تكمل إحداهما الأخرى (وإن كانت كل قصائد الديوان تكمل إحداها الاخريات)

القصيدة الأولى بعنوان **"البِــــرْكة"** (وإن كنت أنوى أن أغير العنوان بعد كتابة هذه اليومية)

أما القصيدة الثانية (لمن شاء أن يسبق الأحداث ليقرأها فى الموقع مسبقا فهى بعنوان **"قلب الخسّاية"** وسوف **يجدها** فى ديوان **"أغوار النفس"** فى الموقع كما ذكرت)

أنصح بأن نقرأ القصيدة أولا على بعضها مرة واحدة،

ثم نقوم بالتشريح، وليس بالضرورة بالتفسير أو حتى الشرح.

"نلعب حبا" أم "نحب"؟
تساؤلات وافتراضات أساسية:

أولا: لا يوجد شىء بين البشر اسمه علاقة دائمة (على الأقل ما دمنا نموت)، إذن كل علاقة هى مؤقتة بالضرورة، فما العمل؟

ثانيا: إذا كنا ندخل علاقة نعرف أنها منتهية قبل أن ندخلها؟ فلماذا ندخلها؟ تصبيرة ؟ أم تزجية وقت؟

ثالثا: بما أن كل واحد فينا هو **"كثير فى واحد"**، فإن المتاح من علاقات إنما يتم بين المستويات المتاحة (فى الوعى الظاهر مثلا، أو بالجسد الفائر..إلخ)، فأين بقيّتنا ونحن نحاول التواصل البشرى تكاملا، وهو بطبيعته متعدد المستويات والتقاطعات **Trans-actional** ؟

قلنا من البداية (**من يوم 26 سبتمبر الماضى**) أننا لا نقدم حلولا جاهزة، لأنها ببساطة، ليست جاهزة. فدعونا نتأمل بعض الحلول التسكينية اللذية الجيدة، ونتساءل: هل هى حب، أم كنظام الحب؟ ربما هذا هو ما أرادت توضيحه قصيدة اليوم (كتبت سنة 1974) ... قلنا: سنقرأ القصيدة على بعضها، ثم نعود إليها فقرة فقرة:

(1)
والعين الهادية النعسانه بتقول أنـــــا اهُـهْ.
أنا مـِشْ خايفهْ
لو الاقى حد يقرّب لى
ولاقينى برضه باقرّب لهْ
حاخده بالحضن،
وكإنى باحب
ميَّتى رايقهْ، و هاديْه، وخضرا... `
وخلاصْ.
(2)
والعين التانية جوّاها بتقول عـْنـدِكْ:
باين على شكلى مش خايفهْ؟
دانا خايفه أخاف.
والمية هاديهْ عشانْ بـِـركَــة،
مش نيل ولا بحـــــْـــر.
وخضارها مش زرع مـْنـَعـْنـَعْ. دا الَّريم ايـّاه.
مشوارى طويلْ.
خلّونى فْ حالي.
البـِنْـج حَـلَالـِى.
موتى بيحلالى، يا خــــــالى.
(3)
عايزانّى أصحَي؟
وجهنّم خوف مالـْـيانِى،
كما إبر التـَلـْج المحميّة؟!
والناس حوالّى بتتمنظر، زى ما هيَّه!!!؟
من حقـّــى أبعدْهُم عــنــى،
ولا أيّها حاجِة تطمّنَّى.
أعملْها وكإنِّــى كإنــى،
أتـْمـايلْ، ... يتـقربْ مِـنّى.
أرسْمها: عايزة، ومــَغـْمـُوزَة،
أشاور لــُـه، يفتح لى كازوزةْ
(4)
مانا لو حاصْحَى،
ما انَا لازمْ اخافْ
وأموت مالخوفْ
وارجعْ أصحَى ألقانِى باحِس.
وانا خايفة أحـِسْ، وخايفــَةْ أبـُصْ
خايفة أطمع فْ وجـُودَكْ جـَنـْبِى
على ما اصـْحــَى وامُوتْ وارْجَــعْ أصـْحَــى،
حاتكون مش فاكر حتى انا مين,

أوْ كُــنـّـا فْ إيـهْ.

(5)

بـتقـولـوا إن الـدنـيـا الـواسعَــهْ:

عمرها ما حـاتـبقـى صحيح واسعة:

إلاّ بـالـنـاسْ

(طَــبْ فــِين الـنـاس؟)

مـا فـيش احسن مـالـضِّحْكِ الـعيَرَة،

والحب الـلـى مـا لـوش تـسعيرةْ

.... وكـأنى بـاحب

***

الـقـراءة:

الـعلاقـات الـتجاذبـيـة الـسريـعة، تـتم غـالـبـا، خاصة فى بـلاد تـسمح بـعلاقـات حرة سهـلـة (**هكذا تـسمى**) وهـى تـضرب عرض الحـائـط بـأى تـردد أو خوف، كـمـا أنهـا تـكسر الـقـيـود (**إن كـان ثمة قـيـود**) سـواء كـانـت قـيـودا أخلاقـيـة تـقـلـيـديـة، أم ديـنـيـة، أم تـقـالـيـد، لأنهـا تحـدد الـغرض مـنهـا: رغبـة مـتبـادلـة، واتـفـاق مـعلـن، وتخلٍّ جـاهـز، شىء أشبـه **بـالـوجبـات الـسريـعة الـلـذيـذة.**

والـعين الهـاديـة الـنعـسانـه بـتقـول أنــا اهُــهْ.

أنـا مــِشْ خايـفـهْ

لـو الاقـى حد يـقـرّب لى

ولاقـيـنى بـرضه بـاقـرّب لـه

حـاخده بـالحضن،

وكـإنى بـاحب.

مـيــّتى رايـقـهْ، و هـاديْـه، وخضرا...'

..... وخلاصْ.

أهم مـا يميـز هذه الـعلاقـات هـو أنهـا لا تـدّعى الحب، بـل أحيـانـا تـشترط ألا يـكـون فى هذا الـتـقـارب المحدود حبـا.

الـتعبير الـذى انـتهت بـه هذه الـفـقـرة فى الـقـصيـدة، **"وكـأنى بـاحب"**، لا يـظهـر عادة فى وعى مـن يـتعاطـون هذه الـوجبـات الـلـذيـذة المؤقـتـة الـسريـعة، وهـو تـعبير لا يـتـهم هذه الـعلاقـات بـالـزيـف، لـكـنه قـد يـكـون قـد حضرنى -شعرا- بمعنى " مـا دام **الحب الحقـيـقـى غير موجـود، فـهـيـا "نـلـعب حبـا"**،(مـثـلمـا كـنا صغارا **نـلـعب "بـيـوتـا"** فى الـشرفـة، ونهـدّهـا بمجرد أن تـنـادى عليـنـا أمـنـا، أو نـسمع صوت المفـتـاح يـعلـن قـدوم والـدنـا مـن الـعمل).

مـلحوظة: طالمـا نحن نحـاول أن نـفحص مـعا مـاهيـة وطبـيـعة الـعلاقـات الـبـشريـة فى تجلـيـات الـفطرة **كمـا خلـقـهـا الله تـعالى، سعيـا إلى مـا يـلـيـق بـالإنـسان**، فـإن أى تـسرع بـقـراءة هذه المحاولات مـن مـنطلـق أخلاقـى صرف، أو ديـنى محدود، سوف تحرم مـن يـفـعل ذلـك مـن المتـابـعة الـنـاقـدة حتى نـصل إلى بـعض مـا يـعين، بـفـضل الله .

أقـول هذا لأن أغلـب مـا وصلـنى مـن تـعلـيـقـات **حول مـقـال اغتراب الـتـواصل عند الـبـشر**، قـد قـدم حلـولا مـيـتـافـيـزيـقـة جاهزة، واستـشهـد بـنـصوص بـدت لى - وأنـا آسف- أنـه لم يحط بـكـل أبـعادهـا،

أنـا لا أرفض أيـا من ذلـك، وإن كـنت أتحفظ على استعمال هذا اللفظ الملتبس "ميتافيزيقا"،

كل مـا أرجوه منكم هو **أن نـؤجل الأحكام الآن** ومن لا يستطيع أن يفصل حماسه الجاهز، وقيمه الخاصة، وهو يقرأ معنا هذه الاجتهادات غير المألوفة، فليعتبر أننا ننقد شعرا لا أكثر -

- هذه الملاحظة لم أضعها هامشا لأهميتها)

لـكن مَـنْ هذا -ِمن بين تراكيبنا المتعددة/مستويات وعينا - الذى يصر على أن يعلن أن هذا "لـيس حبا"، وإنما هو "كنظام الحب"، وبالتالى فإن من يمارسه إنما "يلعب حبا" **Playing love**، فهو مستوى من الوعى أمين حين لا يدعى أنه يحب؟

إنـه الكيـان الداخلى الذى يتشوق إلى مـا هو غير ذلـك، أو ما هو مع ذلـك، أو ما هو بعد ذلك.

تعالو نسمع هذا "الوعى" الآخر، الذى قفز لنا من الداخل، ماذا يقول:

والعين التانية من جـُـوَّه بتقول عـْنـدَكْ:
بـاين على شكلى مش خايفهْ؟
دانـا خايفه أخاف.
والمية هاديهْ عشانْ بِــركَـــة،
مش نيل ولا بحــــــْـر.
وخضارها مش زرع مـْرعرع . دا الَّريم ايـّـاه.
مـشوارى طويـلْ.
خلّونى فْ حالي.
البـِنْـج حَـلَـالـِى.
موتـِى بيحلالى، يا خـــــالى.

***

ينجح هذا المستوى- مستوى "الوجبات السريعة"، طالما أن هذه العين الداخلية **موافقة، أو نائمة، أو مُستبعدة،** لـكنها هنا ليست كذلك: فهى تعلن أن الإقدام على مثل هذه الوجبات **"أن نـلعب حبا بدلا من أن نحب"**، ليس شجاعة صرفة كما يبدو لأول وهلة، مع أنه اختراق لحواجز مخيفة كثيرة. مصادر الخوف هنا متعددة، من أول الخوف من المجتمع، حتى الخوف من **الضمير**، حتى الخوف من **المرض**، حتى الخوف من **الرفض**، وما يسهل الإقدام على هذه الوجبات، هو إلغاء كل ذلك، أو أغلبه، ولا شك أن هذا الإلغاء يحتاج إلى شجاعة خاصة

ولـكن ثم خوف أكبر من كل هذا يشير إليه هذا الوعى الداخلى.

الخوف الأهم، وهو ما يخص هذه المداخلة هو "الخوف من الحب" الحقيقى، الخوف من أن تنقلب اللعبة جدا، فبدلا من أن "نلعب حبا"، "نحب"، وهنا يصبح الأمر أكثر تهديدا كما سنرى (ليس فقط فى هذه الحلقة، وإنما هذا ما آمل أن نصل إليه فى النهاية).

نفس الخوف من الحب الحقيقى التكاملى، والاقتراب المسئول، موجود فى كل محاولة عمل علاقة بشرية أصيلة، حتى فى العلاقات الروتينية الرسمية، وما لم تبذل الأطراف جهدا حقيقيا فى تعهد وتجديد العلاقة وتنميتها، فإن الخوف من الاقتراب الأصدق قد يكون مسئولا عن التمادى فى التباعد تحت أى حجة، أو يكون مسئولا عن تزايد الاغتراب فى أى صورة وتحت أى تبرير، هذا علما بأن تجديد مستويات التواصل نحو الأعمق هو وارد دائما فى كل مجال ومع أى بشر من أى نوع ما دام الله أكرمهم بشرا.

حتى نعرى طبيعة الخوف من الحب، سوف نقصر حديثنا على المقارنة بين "الحب كما خلقه الله" للبشر خاصة و"أن نلعب حبا"، وهو أمر وارد حتى فى العلاقات الدائمة كما ذكرنا، والتى فى الأحوال العادية تحافظ على دوامها بحماية من خارجها، أو وحرصا على مصالح متبادلة قوية،

وهكذا نعود - **التزاما بالقصيدة** - إلى لعبة **"الوجبات السريعة"** مقارنة "بفطرة الله التى ميز بها البشر" للتواصل النامى المتجدد (المخيف).

أحيانا ما تبدأ هذه اللعبة واضحة الشروط، محددة المعالم، لكن لا توجد أية ضمانات أنها ستقتصر على شروطها، فالمستويات الأخرى للوعى جاهزة، وهى مُستعِدة أن تلغِى، وأن تشوِّه، لكن ليست هذه قضيتنا الآن، الأهم أنها مهددة أيضا أن تتمادى **من "أن نلعب حبا" "إلى "احتمال الحب".**

طيب، وما الذى يخيف فى ذلك؟

فى محاولة الإجابة ونحن نقرأ القصيدة قد ندرك الفرق بين المستويين.

تواصِلُ العين الداخلية التعرية والتوعية لصاحبة الصفقة المعلنة نفسها، فتنبهها إلى ما انخدع فيه "الآخرون" من أن هذه الواجهة من الوجود التى أتمت الاتفاق للعبة الحب، هى منطقة، مهما بدت جميلة ولذيذة، إلا أنها فى النهاية ساكنة بلا موج ولا حركة ممتدة إلا فى مجالها المحدود، وأن الخضرة التى كانت توحى بالزرع قد تتكشف عن قشرة من الفطر ..إلخ، هذه الرؤية المبالغ فيها، والتى قد تفسد هذه اللعبة المحدودة، **هى لا تظهر إلا نادرا لأن هذه العين الداخلية لا تستيقظ هكذا إلا نادرا.**

عدم الاستيقاظ هنا هو نوع من تأكيد نجاح الانشقاق الذى فصل أصحاب اللعبة عن بقية مستويات وعيهم، وهو مفيد لهم (لهما) لأنه يعمق المستوى الفاعل بما يسميه إريك بيرن "التناسب" مع **"استبعاد التداخل" appropriateness & exclusion، بمعنى أن المستوى الذى يتمم اللعبة يكون هو الوحيد الذى يشغل مساحة الوعى فالأداء، لأنه الأنسب لإتمام اللعبة بشروطها، ويكون قادرا عادة على استبعاد كل ما سواه، وبالتالى يعطى للعب طعما مميزا يضاف إليه شكل حرية الاختيار، ومحدودية المسئولية، (إلا أنه أحيانا ما تحدث الإفاقة الصعبة بعد نهاية اللعبة مباشرة)**

تشير القصيدة هنا إلى خفوت هذه اليقظة الداخلية لتنسحب استسلاما بعيدا عن الجارى، وكأنها تشارك بانسحابها هذا فى السماح بلعبة الحب على حساب الحب، "خلونى ف حالى، البنج حلالى، موتى بجيلالى يا خالى"

إذن فهذه الوجبات السريعة تبدو (فى أحسن صورها، على فرض سماح المجتمع، وتماشيها مع منظومة قيم صاحبها) **لذيذة محكمة مفيدة، وهى تبدو أيضا حقا طبيعيا لجوع طبيعى، ومع ذلك يبدو أنها ليست هى ما تميز الفطرة البشرية السليمة، ولا غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله،**

فإذا كانت أغلب الحيوانات لا تجد بديلا عن مثل هذه العلاقات المؤقتة، ولو كرشوة لمعظم إناثه حتى يواصلن مهمة التكاثر (دون التواصل)، فإن الإنسان قد تجاوز هذه الرشاوى (المفروض يعنى)، وأصبح التواصل عنده متعدد المستويات معا،

حتى هذا المستوى الّلِذى الظاهر الذى رضي بلعبة الحب اضطرارا (**إيش رماك على لعب الحب، قال قلة الحب**)، هذا المستوى نفسه، يود لو أنه يكتمل ببقيته، فهو **"يعرض"** ضمنا على وعيه الداخلى أن يشارك فى العلاقة، بدلا من أن يبتعد استسلاما بعد أن ألقى فى وجه اللاعبين هذه الأحكام التى كادت تفسد تلك الوجبة اللذيذة،

هذا الداخل الذى ارتضى التخدير طواعية وهو يعلن **"الخوف من الحب"** الحقيقى، حتى بانسحابه، يعرف أن الحب الحقيقى له مواصفات أخرى، كما أنه يحتاج إلى تعاقدات أخرى، أهمها: **ذلك الاطمئنان إلى عدم التخلى**، وهو ما افتقده فخاف وتراجع حتى عن اليقظة الكاشفة.

عايزانى أصحَي؟
وجهنّم خوف مالْـيانِى،
كما إبر التَـلْـج المحميّة؟!
والناس حوالّ بتتمنظر، زى ما هيَّه!!!؟
من حقـــى أبعدهم عـنــى،
ولا أيّها حاجة تطمِّنّى.

***

هذا المستوى الداخلى، الذى بدا لنا فى الأول أكثر يقظة، وأمانة فى الرؤية، أصبح - بانسحابه- مشاركا ضمنا فى هذه اللعبة مع أنه بدا لنا فى البداية وكأنه يرفضها، أو على الأقل أنه يعلن أنها ليست كافية لإروائه، إنه بإعلانه **أنه لا يوجد ما يطمئن فى كل ما حوله**، وبالتالى بإصراره على **إبعاد الآخر الحقيقى (إن وجد أو وعد)**، إنما يعطى مشروعية لما بدا أنه يرفضه، مع أنه بذلك يعطيه مبرراته: **"من حقى أبعدهم عنى"، ولا أيها حاجة تطمنى"**

لكن هذه المشاركة من الوعى الداخلى يمكن أن تكون نوعا من المناورة لتشويه ما بدا أنه وافق عليه، فالتعرية التالية، هى نوع من السخرية، لأنه يعلن من جديد أنها **لعبة**

كنظام الحب، وليست حبا، (ومن قال أنها حبا؟) فهو يتمادى فى السخرية حتى تبدو الصفقة رسما كاريكاتيريا متحديا وهو يقول:

أعملها وكإنِّى كإنِّــى،
أتمايلْ، يتــقربْ مِـــنّى.
أرسْمها: عايزة، ومـــَغـْمـُوزَة،
أشاور لــُــه، يفتح لى كازوزةْ.

***

الشائع عن هذه الوجبات السريعة، أنها رغبة صريحة متبادلة بين اثنين، وهذا صحيح، **"ارسمها عايزة، ومغموزة"، أشاورله يفتح لى كازوزة"**، لكن فى سياق هذه السخرية، إذا ما تعرت هذه اللعبة أكثر فإنها تحمل احتمال طعن من الداخل قد يفسدها.

فإذا كان هذا الكيان الداخلى غير راض بهذه الصفقات، أو على الأقل غير قانع بها، فلماذا لا يستيقظ، وينشط ويغامر بعلاقة حقيقة؟

ها هو يرد علينا هكذا:

مانا لو حاضْحَى،
ما انَا لازمْ اخافْ
وأموت مالخوفْ
وارجعْ أصحَي ألقانِى باحِس،
وانا خايفة أحِسْ، وخايفــةْ أبـُـصْ

***

هكذا أعلن الدخل صراحة أن "الخوف من الحب" ليس خوفا من الحب ذاته، بقدر **ما هو تحسّبا للترك،**

ولو أتيحت لهذا الوعى الأعمق فرصة أن يقود مستويات الوعى معا للتضفر المتبادل المتجدد، للتكامل، بيقظة كافية، إذن لوجب الخوف أيضا،

لكن ثم خوف آخر من عمق التداخل فى العلاقة الحقيقة، ذلك العمق الذى يسمح بإعادة الولادة (البعث) من خلال تجديد الوعى "معا".

هنا تصبح البصيرة رائعة ومعطلة أيضا،
الموت هنا ليس فقط من شدة الخوف،

العلاقة الحقيقية هى موت وبعث، والبعث عموما تصاحبه زيادة فى حدة الوعى لانه وعى جديد متخلق بعد خوض غمار المجهول "معا"،

فالخوف الذى يمتد إلى البعث بعد الموت، هو خوف من أى جديد مجهول تفجره صدق العلاقة وحركيتها وأصالتها:

"وارجع أصحى ألقانى باحس"،
هذا خوف جديد غير خوف الترك الذى أشرنا إليه حالا،

خوف جديد لأنه يلوح بالاعتراف بآخر حقيقى، يُعتمد عليه، ويبقى فى وعينا حتى لو رحل

بديهى أن هذا نموذج بعيد المنال لدرجة الاستحالة أحيانا، وذلك نظرا لقصور نمو البشر فى المرحلة الحالية، ومجرد التلويح به دون ضمان تحقيقه واستمراره هو رعب ما بعده رعب،

وهو ما نقدم من أجله هذه الحلقات عن **"الخوف من الحب"**.

خايفة أطمع فْ وجـُوْدك جـَنـْبى
على ما اصْحـَى وامُوتْ وارْجَـعْ أصْحَـى،
حاتكونْ مش فاكر حتى انا مين,
أوْ كُـنـّا فْ إيهْ.

***

يقال إن ضمان التخفيف من رعب "الترك" (**الهجر**)، هو ألا تكون العلاقة ثنائية استبعادية بشكل مطلق (**إنت وبس اللى حبيبى**)، وبالتالى فحضور الناس (الآخرين) سواء بالعلانية، أو باعتبارهم "موضوعات مشارَكة"، أو "احتمالات بديلة"، هو مصدر لطمأنينة من نوع آخر، هذا ما تقوله الفقرة قبل الأخيرة،

لكن العين الداخلية تسارع بنفى حتى هذا الاحتمال أيضا، ربما لفرط الخوف من القرب حتى أنها تعمم الإنكار إلى الناس جميعا (**طب فين الناس؟**)، فلم تقصره على افتقادها لوجود آخر مشارك لا يتخلى:

بتقولوا ان الدنيا الواسعَـهْ:
عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة:
الاّ بالناسْ
(طَبْ فِين الناس؟)

***

حين يصل الخوف من الاقتراب من الآخر حقيقة وفعلا، يصاحبه الخوف من الحب المتعدد المستويات "معا"، حين يصل هذا وذاك إلى إلغاء الناس بهذا الحسم، وليس فقط التشكيك فى استمرار الآخر مسئولا (حاتكون مش فاكر حتى انا مين،.... أو كنا ف إيه) حين يصل الأمر إلى هذا المستوى من الرؤية، يعلـَن اليأس من الحب، حِتى لو كان يأسا ناتجا من الخوف منه، نتيجة لوضع شروط معجـِزة لاستمراره، وتهيئة ظروف لضمان تجديده بلا توقف.

تنتهى القصيدة بإعلان اليأس الذى يسمح بـ **لعب الحب بديلا عن الحب.**

ما فيش احسن مالضِّحْكِ العيرَة،
والحب اللى ما لوش تسعيرةْ:
. . . . .
وكإنى باحِبْ.

وبعد؟

بعد أن أنهيت هذه المحاولة البداية، هممت أن اقرر ألا **أنشرها أصلا.**

كانت مخاوف موضوعية ومهمة، لا ما نع من أن أعرض بعضها كالتالى:

1- سوف يعلن أغلبنا أنه لم يفهم، وقد يكون هذا وارد وهو حقه فعلا، لكن ما علينا، من لا يفهم، يترك الأمر كله، فقد لا يخصه، حتى لو كان عدم فهمه لأنه لا يريد أن يفهم، أو أنه يخاف أن يفهم.

2- سوف يفهم بعضنا ما لم أقصده، حين يقرأ جزئية دون أن يكمل بقية السياق

3- قد يكتشف آخرون مدى صعوبة تكوين علاقة، فيتمادى فى اللاعلاقة، أو فى علاقات اغترابية، أو يبرر لنفسه الوجبات السريعة (كل بطريقته، وتبريراته، وفتاواه الجاهزة أو الجديدة)

4- قد يترتب على فهم طيب أمين نسبى، تقليبُ غير طيب لعلاقة سلسلة متواضعة، كان يتمنى صاحبها أن تستمر مستورة والسلام

5- قد تبادر الأغلبية بقياس ما قلته وما لم أقله بمقاييس لم أتعرض إليها أصلا، لا بالرفض ولا بالقبول، فلكل لغته فى سياقه

ومحاذير وتخوفات أخرى عديدة

لكن إذا كنت سأعجز أو أعدل عن توصيل ما وصلنى من روعة فطرة الله كما خلقنا،

وأن أساهم فى المشاركة فى تكريم الإنسان كما كرمه ربى

إذا كنت سأخفى، وأستسهل وأكتفى بالنصح والإرشاد وتحصيل الحاصل

فلماذا كل هذا العنت وإضاعة الوقت، وقتى ووقت الناس الذين ينتظرون منى شيئا حقيقيا مختلفا؟

هكذا تراجعت عن التراجع،

وفوضت أمرى إلى الله

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر.

ما أصعب كل هذا؟

ولكن، هل ورطت نفسى فى هذه اليومية إلا لهاذا؟

ما رأيكم أفادكم الله؟

مرة أخرى: القصيدة التالية التى ستتناول من خلالها نفس الأبعاد، وأبعاد أخرى لمشكلة التواصل البشرى هى بعنوان **"قلب الخسّاية"،**

وهى موجودة فى ديوان "أغوار النفس" فى الموقع لمن شاء أن يطلع عليها مسبقا.

- أستبعد من هذه العلاقات الـــ "قوام قوام" علاقات الدعارة "مع أنها مثال جيد للعلاقات (اللاعلاقات) السريعة المؤقتة، مع فارق أنها بمقابل وبلا اختيار متبادل إلا فى حدود قوانين وأخلاق السوق، لهذا أستبعدها من هنا،

لكن حتى فى علاقات الدعارة مدفوعة الثمن، أحيانا ما ترفض المرأة فيها القبلات، باعتبار أن وجهها وشفتيها - بما تقوم به من احتمالات الحب والتواصل- ليست ضمن محتويات أو شروط هذا اللقاء، فهما خارج الصفقة، هذا ما أخبرنى به صديق له فى هذه الأمور عن بعض خبرته فى الخارج، حين رفضت المرأة الفاضلة أن يقبل صديقى شفتيها، مشيرة إلى أن عليه أن يلتزم بمنطقة السماح: نصفها الأسفل وما يعلوه حتى الرقبة !!!).

الترجمة الإنجليزية الحرفية للممارسة الجنسية هى "يعمل حبا " Making love

الإثنيـــــــن 08-10-2007

38- الخــــــــــــوف مـــن الحـــــــــــــب (2)

"مَنْ" يحب "مَنْ"...؟
(صفقات الظاهر، وأحلام التكامل!!)

مرة أخرى نتقدم خطوة فى محاولتنا سبر غور التواصل البشرى، مع تركيزنا على مايسمى **"الحب"**، آخذين العلاقة بين المرأة والرجل، كنموذج فقط، إذ يبدو أن القواعد والقوانين واحدة، مع اختلاف التجليات والسلوك والمجال والنوع والفرص!!

القصيدة المنتقاة اليوم هنا تحاول ان ترسم **تقاطعات** متحاورة بين **الذات الغاوية الظاهرة**، وبين **الفطرة الطفلية الطازجة الجاهزة المتخلّقة معا.**

فى خبرتى المحدودة، كدت ألاحظ فى الكثيرات **تناسبا عكسيا** بين فرط التجمل والاهتمام بالشكل الظاهرى، (والديكورات، والإكسسوارات، والميك اب)، وبين مدى **الانسحاب الداخلى، والعجز عن التواصل المتعدد الأعمق للتكامل.**

هذه السدود التى نبنيها داخلنا طبقة وراء طبقة، ليست سدا واحدا كما تصورناها من الكلام الشائع عن التحليل النفسى الفرويدى (الذى ليس هو ما قال به فرويد تماما)، المسألة ليست مسألة شعور ولاشعور، وحاجز بينهما، ودمتم. المسألة هى مستويات وعى يقابلها مستويات دماغ نيورونية (مخية)، مرتبة هيراركيا بحسب تاريخ التطور من جهة، وتاريخ النمو من جهة أخرى، ثم علاقات **داخلية، بالتبادل أو بالتناوب أو بالتعاون أو بالتسوية المؤقتة أو الدائمة،** وكلها - فى أحوال السواء جدا ومع استمرار النمو- تتوجه فى نهاية النهاية (بلا نهاية) **نحو جدل خلاّق، يظل الوعى الفائق يتكون من خلاله باستمرار باستمرار، إلى أن يتصل الوعى الخاص بالوعى العام** (فى حالة إن لم يكن قد فقد جاذبيته فأصبح نيزكا كافرا) **فالوعى الكونى بالموت توجّها إلى بارئه تعالى.**

لن أمل من تكرار هذه الأساسيات **لأنها تمثل الخريطة الكبرى التى أتحرك من خلالها حتى وأنا أتناول مسألة الحب، أو: وبالذات وأنا أتناول مسألة التواصل البشرى عامة، التى من أهم تجلياتها ما نسميه الحب.**

من هذا المنطلق يمكن أن ننظر فى عنوان هذه الحلقة: "من يحب من؟" ونحن نتسائل:

حين نحب أو نُحَب، **أى مستوى وعى من كل هذا هو الذى يفعل ذلك؟** وإذا اقتصرت الصفقة (أنا أستعمل كلمة الصفقة بمعناها الإيجابى أساسا، وأحيانا بمعناها السلبى، فتاريخ الحياة والتآمر والبقاء، كله صفقات!!!)، أقول: إذا اقتصرت الصفقة على مستوى وعى دون الآخر، فما دور المستويات الأخرى؟، حالا (أثناء ممارسة بنود لاتفاق)؟ ومستقبلا على المدى الطويل؟

وهل استبعاد المستويات الأخرى هو ضرورة أحيانا حتى يمشى الحال، أم هو خطر على طول الخط على مسيرة التكامل "معا"؟

وهل يمكن أن ترجع مضاعفات العلاقات البشرية التى تظهر مع مرور الزمن إلى الإفاقة المتأخرة نتيجة لاختزال العلاقة إلى مستوى واحد دون الآخرين؟

وما العمل؟
الذين يتناولون قضية التواصل بين البشر وكأنه تواصل بين اثنين أساسا، أو فقط، ثم يصنفون الحب على هذا الأساس، لهم وجهة نظر **سليمة**، لكنها فى نهاية النهاية **"محدودة"** (حتى بعض تصنيفات إريك فروم فى "فن الحب") مع أنك تستطيع أن تقرأ حدسهم بهذا التعدد دون إعلانه مباشرة، وهذا ما يجعل **بعض تصنيفاتهم مقبولة، ومفيدة.**

قصيدة اليوم تُظهر بعض هذا التعدد المتداخل فى محاولة عمل علاقة حب: حيث يظهر مستوى صفقة الغواية الخارجى، فى مقابل مستوى البحث عن الكيان الخائف الأكثر أصالة، ثم نرى حوارالمقاومة، وأيضا مؤامرات **الخوف، و الاستبعاد، و الاختزال، و الامل.**

لكن: دعونا نقرأ القصيدة كلها على بعضها أولا كما اتفقنا:

وعيون مكْحُولة مْنَدِّية.
تِسْحِر وتشِدْ.
منديلْها على وش الميّة
مِستنّى تمدْ:
إيدك، تسحبْها تروح فيها،
ولا مينْ شاف حدْ.
(1)
ماتكونشى يا واد الندّاهة؟
حركات الجنّية إِياها؟
أنا خايف مِاللى مانيِش عارْفُهْ.
أنا شايفْ إللِّى مانيش شايفُه.
وتلاحِظ خوفى تْطَمّنى.
وتقولّى كلام، قال إيه يعنى:
ماتبصّش جوّه بزْيادة،
خلّيك عالقَدْ.

شوف حركة عودى الميّـــادَة،
شوف لـــــون الخدْ
(2)
وأحس بهمْس اللى معاها،
أنــــوى أقرَّبْ.
وأشوف التانية جُــــوَّاهَـــا،
أحلى وأطيبْ.
والخوف يغالبنى من ايّـــاهـــا،
لأْ. مش خَـــاهــربْ.
والطفلة تشاور وتعــافر،
بتقـــرب، ولاّ بـتِتأخَـرْ؟
وانْ مدّيت إيدى ناحِيتها، بتخاف وتكِـشْ.
والتانيةْ تنط تخلــــيها: تــهـرَبْ فى العِـش.
دى غيامةْ كــِدب وتغطــيّة، ومؤامرة غِشْ.
(3)
وماصــدّقشى،
ولا اسلّمشِى،
أنا واثق إنها ما مَــتِــتْــشِى
أنا سامع همس الماسْكِــتْشِــي
مش حاجى، لو هيّه ما جَاتْــشِى.
(4)
- جرى إيه يا أخينا؟ عَــلي فــِينْ ؟
حَاتْــصَــحّى النايـِمْ؟ بِــضمانْ إيه"؟
جَــرَى إيه؟
مش عاجــبــك رسمى لِـحَــواجْــبِى، ولا لُــونْ الُروجْ؟
مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوجْ؟
ما كَفاكْشي زواق الباب؟
هيّه وكالة من غيْر بّوابْ؟
أنا مش ناقصة التقليبةْ دِيّــــة،
ولا فيش جوّايا "الْــمِش هيّة"،
ولاَ فيه بنْــوتـــة بِــمَــرايلْهــَا،
ولا فيه عيّـــل ماسك ديلهاَ،
(5)
إوعى تخطّى، أبْعــَد مِــنّى، حاتْلاقى الهِـوْ.
البيت دا ما لوهْــشى اصْحــِابْ.
دُولْ سَــافروُا قَــبــلِ ما يـيِـجــوا.
من يوم ما بنينا السدْ:
السد الجوّانى التانِى.
وانْ كان مش عاجبكْ، سدّى البرّانـِى.
تبقى فقست اللعبة،
ومانيـِشْ لاعبةْ.
(6)
دوّر على واحدة تكون هبْلهْ،
بـتْسوُرَقْ مِنْ حَصْوة نِبْلهْ.
تديلك قلْب الخسّاية!!
ومالكشِى دعوة بْجُوّايَا

.....
يا ما كان نفـِسى،
بس ياروحْ قلبى "ما يُحْكمشِى".

***

نقرأ معا:

النداهة، فى بلدنا هى جنية تظهر ليلا على سطح الترعة، فى صورة منديل حريمى جميل أو أى إشارة جاذبة تسترعى الانتباه، بحيث تغرى المار على شاطئ الترعة بالذهاب نحوها، **أولا:** من حب الاستطلاع، **وثانيا** : منجذبا انجذابا سحريا للمجهول الجميل الواعد من الظاهر (منديل على سطح الماء، يتموج خفيفا مع هسهسات حركة ماء الترعة)

وعيون مكـْحُولة مْـنَـدِّيــــة.
تسحِر وتشد.
منديلها على وش الميّة
مِستنّى تمــدْ،
إيدك، تسِحبْـها تروح فيـها،
ولا مين شـاف حدْ.

قلت فى البداية أننى لم أعد أفاجأ من التناسب العكسى بين مدى العناية بالمظهر الخارجى، وتمادى البرود الداخلى لكثيرات ممن تتاح لى الفرصة لفحص هذين المستويين فى خبرتى المهنية أساسا. بل إن المسألة تتعدى الديكورات والمظهر الخارجى إلى حضور الجاذبية الحقيقية، بما لا يتناسب مع حقيقة وعمق التجاوب فى النهاية. (تحذير من التعميم: أحيانا - ليست قليلة - تكون هذه العناية بالخارج، نوعا من احترام الجسد، ويكون الجمال الخارجى، حتى المصنوع منه بإتقان، إشارة إلى الجمال الداخلى، لكن هذا هو الأندر).

فى بداية هذه القصيدة، يبدو أن التركيز كان على السحر والشد، والغواية، ويبدو أن الوسائل كانت ناجحة لدرجة ثقة النداهة بسحرها القادر على جذب السائر على شط الترعة حتى تسحبه إلى غير رجعة (هذا ما يُحكى عن الجنية النداهة فى بلدنا، وهو بعض ما استلهمه يوسف إدريس فى قصته النداهة). وهو ما خالج صاحبنا من أن هذا الجذب الساحر، يحمل وراءه الاختفاء الغامض، المرعب، ومع ذلك: هو يواصل الانجذاب، وهى تواصل الغواية:

ماتكونشى يا واد الندّاهة؟
حركات الجنّية إِياها؟
أنا خايف مِاللـى مانـِيش عارْفُهْ.
أنا شايفْ إللِّى مانيش شايفُــه.
وتلاحِظ خوف تـْطَمّنى.
وتقولّى كلام، قال إيه يعنى :
ماتبصّش جوّه بــزْيادة،
خلّــيك عالقَــدْ.
شوف حركة عودى الميـّـادَة،
شوف لـــون الخدْ

يقترب صاحبنا من السطح، لكنه لا يكون منجذبا انجذابا خالصا لسحر الغواية، إذْ يبدو أنه يريد ما وراء ذلك، فتلاحظ هى أنه بقدر ما هو خائف، يقترب ويرجو ما تحت السطح، فتنبهه أن الصفقة ينبغى أن تقتصر على هذا المستوى (يمكن أن ترجع للحلقة السابقة: الوجبات السريعة **link**) نعم، هى تنبهه ألا يتجاوز الحدود، وأنه إن كانت ثمة صفقة فهى محددة المناطق (قارن هامش رقم "1" فى الجزء الأول "الخوف من الحب" **link**)، وأنه غير مسموح له أن يخطو إلى ما بعد السطح **(ما تبصش جوه بزياده، خليك عالقد)** ولتحقيق ذلك ى تذكره بجمال خارجها، وميادة عودها، ووردية خدودها.؟؟ إلخ،

هو يستمع إلى كل ذلك، لكن يأتيه همس من الأعماق، فيقترب، لا ليقبل الصفقة الظاهرية بشروطها، وإنما هو يقترب أملا فى التواصل مع الهمس الآخر الذى يناديه بلغة أخرى، لعلاقة أخرى :

وأحس بهمْس اللى معاها،
أنـــوى أقرَّبْ.
وأشوف التانية جُـــوَّامَـا،
أحلى وأطيبْ.
والخوف يغالبِنى من ايـّاهَـا،
لأْ. مش حَـاهــربْ.

يستجيب صاحبنا فعلا، لكنه لا يستجيب لنداء السحر الجذاب، وإنما هو يشعر بأن الأخرى تناديه من قاع الترعة، ربما **هى عروس البحر الطفلة الفطرة**، وهى "أحلى وأطيب"، فهو لا ينجذب إلى المنديل على سطح الماء، بقدر ما يأمل فى تلك الأخرى الأجمل والأطيب، لكنه يخاف (تماما مثلما كانوا يخوّفوننا من الاقتراب من الترعة ليلا حتى لا تخطفنا النداهة)، فيهُمّ بالتراجع خوفا من التى على السطح، **(والخوف يغالبنى من اياها)** التى هى مستعدة للالتهام بمجرد أن يمد يده، ولو كان يبحث عن الجميلة فى القاع وراء البرميل، والساحرة منتظرة متحفزة تلوّح بمنديلها **(مستنى تمدّ: إيدك تسحبها تروح فيها، ولا مين شاف حد)**.

ثم ها هو يتراجع عن التراجع **(لأْ مش حاهربْ)** ويبدو أن موقفه ورؤيته وحنينه إلى تجاوز هذا الظاهر المغرى، قد وصل إلى صاحبة الشأن فى الداخل، إليها صاحبة النداء الهامس،

ولكن هل ثمَّ سبيل؟ وصاحبتنا على السطح تقف شامخة ساحرة بكل هذه الغواية والقوة؟

والطفلة تشاورْ وتعـــافرْ،
بتقـــرِّبْ، ولاّ بـتـتـأَّخـرْ؟
وانّ مدّيت إيدى ناحيتها، بتخاف وتكشْ.
والتانية تنط تخلـــيها: تــهــرَبْ فى العـِش.
دى غيامةْ كـــِدب وتغطـــيّة، ومؤامرة غِشْ.

مثلما ذكرنا فى الجزء الأول **link** ، فإن الوعى الداخلى،

مهما بدا أنه يحتج على هذه الصفقات الخارجية ويعرّيها،

فإنه أضعف من أن يتجاوزها أو يحتويها، وهو بهربه هذا، يشارك فى إتمام صفقة الخارج، بطريق غير مباشر، وها هى الأخرى "تخاف وتكش"، وكيف لا، والتى على السطح بكل هذا العنفوان الاستبعادى "**(والتانية تنط تخليها تهرب فى العش)**، فهل يرضى صاحبنا بما تيسر من الظاهر، وهو مغر ولذيذ (راجع لذة الوجبات السريعة) **link**، وهل يقتنع أن الأخرى الداخلية لم تعد فعلا فى المتناوّل؟ هل يصدّق؟

لا؟ إنه يبدو أشد إصرارا، فهى مهما بعدت ما زالت هناك، لم تمـُتْ، ولن تموت :

وماصـدّقشى،
ولا اسلّمشِى،
أنا واثق إنها ما مَـتِـتْشِى
أنا سامع همس الماسْكِـتْشِـي
مش حاجى، لو هيه ما جَاتْـشِى.

نعم, لم يسلم، وواصل نداءه الصامت، كما واصل استماعه إلى صمتها الذى لم يسكت **"أنا سامع همس الماسكتشى"**، والأخرى – على السطح – تتصور أنه وهو يقترب، يقترب منها، من أجل غوايتها، لكنه يعلن شرطه بوضوح، أنه إن تقدم فإنه يتقدم للأخرى **"مش حاجى لو هيا ما جاتشى"**، ولا يوجد ما يشير إلى أنه يستبعد هذا الظاهر، وإنما يبدو أنه قبلهما معا.

تنبيه واجب هنا : إن المسألة هى ليست "إما أو "، اللهم إلا إذا أصر **"السطح"** على استبعاد كل ما عداه، إن علاقة الحب الحقيقية هى حب لكل المستويات، بكل المستويات، بما فى ذلك حب الغاوية السطحية، **ولو بابا إلى العمق، ولكن ليس على حسابها**،

لكن التى على السطح هنا لا تعترف إلا بنفسها، ولو وصل الأمر إلى تفضيل أن **"تلعب حبا" بدلا من أن "تحب" link**، ها هى تنبرى لتحول بينهما، بالمنع والتحذير والتشريط:

- جرى إيه يا أخينا؟ عَـلى فـِينْ؟
حَاتْـصَحّى النايـِمْ؟ بـِضمانْ إيه"؟
جَـ
إوعى تخطّى ِرَى إيه؟
مش عاجـبـك رسمى لـِحـَواجـْبِى، ولا لُـونْ الُّروجْ؟
مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوجْ؟
ما كَفاكشي زواق الباب؟
هيّه وكالة من غير بـّوابْ؟

ننتبه هنا إلى أن هذه الغاوية ليست راضية تماما عن هذا الانشقاق حتى لو حقق **لذة الوجبات السريعة**، وعلينا أن نتذكر أنه "إيش رماك على أن **تلعب حبا، قال قلة الحب".** هذه التى على السطح تريد ضمانا (بضمان إيه؟)، وهى مهما

قدم لها من ضمانات (بما فى ذلك ورقة الزواج، فى الأغلب) لن تسلّم - طالما هى منفصلة هكذا- **ولا تسمح لجميعها أن يشاركوا فى العلاقة المتعددة المستويات، أى فى علاقة حب.** وليس لعبة حب، فهى تتعجب من عدم رضاه بكل ما فعلت لإغوائه ليكتفى بهذا الظاهر (**ما كفاكشى زواق الباب، هيا وكالة من غير بواب؟**

وبرغم ذلك، فهى لا تخشى تحريك الداخل لمجرد الخوف من أن يحل هذا الداخل محلها، **هى تخشى أن ترتبك حسبتها التى اكتفت بالظاهر**، والتى هى قادرة ومستعدة أن تتمتع به مهما كانت مدته قصيرة، أو نهايته التهاما (**مستنى تمد :... إيدك تسحبها تروح فيها، ولا مين شاف حد**)، هى تخشى إذن أن تتقلب هى نفسها، أن تتألم وهى تحاول أن تتكامل، أن تضع فى الاعتبار هذا الاحتمال الآخر، هى تخشى الحب الحقيقى الذى يقلّب ويؤلم ويدهش ولا يكتفى بالإغواء اللذيذ السريع الأضمن

أنا مش ناقصة التقليبهْ ديّـــة،
ولا فيش جوّاىَ "الْمِشْ هيّة"،
ولاَ فيه بنّوتـــة بمَرايلْهـَا،
ولا فيه عيّـل ماسك ديلهاَ،

ولا يتحقق لها (التى على السطح) ما تريد إلا بمحو كل احتمال آخر، ليس فقط بإنكار عروس البحر الطيبة الحلوة بداخلها، وإنما بإنكار أن أحدا يريد هذه الأجمل والأطيب ليلعبا معا (**ولا فيه بنوتة بمرايلها، ولا فيه عّيل ماسك ديلها)**

لكن يبدو أن صاحبنا ينكر إنكارها هذا، فهو يستمر فى النداء الخفى من ورائها، لكنها تضبطه متلبسا فتسمعه، فتنبهه إلى التاريخ الصعب الذى اضطرها أن **تفضل الرضا بلذة الجزء عن المغامرة بجدل الكل**، فهى تنهره منعا باتا أن يتخطى حدوده، مذكرة إياه أن الباب المقفول ليس وراءه إلى فراغ الخواء بلا حدود، وما لا يدرى م سدود.، **أبْعـد منّى، حاتْلاقى الهـوْ.**

البِيت دا مالوهْشِى اصْحـَابْ.
دُولْ سَافروُا قَبْلِ ما يـِيجـُوا.
من يوم ما بنينا السدْ.
السد الجوّانى التـانِى.
وانْ كان مش عاجبكْ، سدّى البرّانـِى.
تبقى فقست اللعبة،
ومانيـِشْ لاعبةْ.
هنا وقفة مهمة :

أنا لا أميل إلى التركيز عليها نظرا لما شاع فى التحليل النفسى من **تبرير وتوقف عند التفسير بدلا من الانطلاق من الموجود**، لكنها وقفة شديدة الأهمية مهما كان احتمال سوء فهمها، أو سلبية استعمالاتها. إن العلاقات البشرية تنبنى

فعلا على أساس **سلامة لبنات التواصل الأولى** التى توضع **فى محلها، فى وقتها، لغرضها، والتى يبنى بها بيت الثقة فالكيان،** إن التى (أو الذى) تستطيع أن تطلق داخلها ليشارك فى (لا ليستقلّ بــ) عملية الحب، لا بد أن تكون قد اطمأنت طفلةً (أو بعد ذلك فى أى **ولادة جديدة** فى **أزمات النمو**) إلى أنها ليست وحيدة، إلى أنها جزء من آخرين **يريدونها ويعترفون بها فتريدهم وتعترف بهم،** هكذا تتاح لها الفرصة أن **تبنى نفسها "بيتا"** (وليس لنفسها بيتا) ، بيتا له أصحاب، هى أولهم، **وليست آخرهم،**

فهى بإعلانها هنا أن **"البيت دا ما لوهشى اصحاب"** إنما تعلن سبب هذا الهروب الكبير، وإحلال المنديل على سطح الترعة، محل جنية البحر الطفلة الفطرة الجميلة، أما أن البيت ليس له أصحاب فلأنهم كانوا أشباحا لم يحضروا واقعا مغذّيا أمانا أبدا، مهما تحركوا يلعبون لعبة تشبه الحياة، يلعبونها سرا مع أنفسهم، ويختفون قبل أن يظهروا **"دول سافروا قبل ما ييجوا"**

لكن هل يعقل أن يبنى طفلا ذاته (بيته) دون أن "ينتمى" أصلا؟ وكيف ينتمى وهو منذ وُجد لم تواجهه إلا الحواجز التى أقيمت لتحول دون التواصل الحقيقى **(القبول والاعتراف والأخذ والعطاء)** فحالت فعلا منذ البداية، بل قبل البداية، دون إلقاء بذرة الحب التى يمكن أن تؤتى أكلها كل حين "حبا حقيقيا متجددا" ؟ ذلك الحب المتعدد المستويات التى قررت صاحبتنا الاستغناء عنه **من يوم أن أقاموا السد (السد الجوانى التانى)** ، إذن: فالحاجز الذى تقيمه من الغواية الآن فيحول دون العلاقة المتكاملة ليس هو السبب الاساسى فى الإعاقة الحالية، وإنما السبب التى يرجع إلى الحاجز القديم **"السد الجوانى التانى"،** أما هذا السد البرانى، فكان المطلوب منه أن يقوم باللازم ليحقق المراد الجزئى فى وجبة سريعة، **أو فى وجبات رسمية راتبة، كنظام الوجبات المستخرجة من "الديب فريزرعلى طول المدى.**

أما إذا جاء أحدهم -مثل صاحبنا- واكتشف السر، وهو يستشعر ما وراء حاجز الغواية هذا، فقد رأى ما كان ينبغى له ألا يراه، وبالتالى فليذهب ليبحث عما يريد بعيدا عنها"، فها هى تنبهه - ساخرة - إلى أن من تقبل منه أن يلعب معها هذه اللعبة التى تبدو له أجمل وأولى، هى ليست إلا مُنشقّـــةٌ أيضا (عبيطة، هبلة)، حث أنها لا تعرف مايتنظرها، ولا تعرف حدود لذتها، ولا تعرف مخاطر رحلة تكاملها، فهى سوف تستجيب مسحورة (بتسورق) لأى إشارة واعدة، إذ من أين لها بحسابات المعلّمة الأخرى (التى تحتل السطح).

دوّر على واحدة تكون هبْلهْ،
بتْسوُرَقْ مِنْ حَصْوة نِبْلهْ.
تديلك قلْب الخسّاية!!
ومالكشِى دعوة بْجُوّايا

يـا مـا كـان نـفـِسى،
بـس يـاروحْ قـلبى "مـا يُـحْكمشِى".

وبـعـد

لست أدرى هل وصلكم كمّ الأمانة والصدق اللذان يبرران موضوعيا : **الخوف من الحب،** حتى الرفض، برغم الرغبة فيه رغبة لا شك فيها **"يـا مـا كـان نـفـسى،"** رغبة تموت بالسخرية قبل أن تظهر **" بـس يـا روح قـلبى مـا يحكمشى".**

يبدو أن من يريد أن يحب، ولا يكتفى بأن يلعب حبا ، عليه أن يغامر بأن يعطى ويأخذ **"قـلـب الخساية،** ولايكتفى بأوراقها أو رأسها.

ولكن هل يكون للخساية قلب إلا إذا أحاطته كل هذه الأوراق التى ذبلت وجفت من فرط قيامها بدورها الرائع فى الحماية والدفاعات؟ إن من يريد أن يلقى بهذه الأوراق الصلبة ليكتفى بقلب الخساية هو أيضا ليس محبا، وإنما هو قناص مستسهل.

وبـعـد (مـرة أخرى):

خيل إلى أن المسألة أصبحت أصعب. ليكن.

قلنا من البداية، حتى لو لم يكن لدينا بديلا: **"نستعمل الواقع (الخطأ)، لا نستسلم له، ونرفضه حتى نغيره".**

فهل نستطيع ذلك فى مسألة الحب هذه؟ (ربما مثلها مثل مسألة الديمقراطية والحرية والمال، وأشياء أخرى كثيرة)، **وإذا لم نستطع فهل يمكن أن نرضى بالموجود باعتباره النقص الواجب، أم نستسلم له باعتباره البديل الدائم طالما لا يوجد غيره.**

أمس : سألتكم هل أكمل فى هذه المواضيع التى لا يبدو لها حل فى الأفق القريب، ولم أنتظر الإجابة، فخرج من هذا الجزء رغما عنى ولقد عددت -أمس- أيضا- مخاطر هذا المستوى من التعرية، واعتذرت (لا ، فأنا عادة لا أعتذر، أصحح إن أخطأت، ولا أعتذر)

تـُرى هل أصبحتْ المسألة أسهل أم أصعب؟

وهل سنصل إلى معالم حل فى نهاية النهاية، ولو حتى لنتعرف على اتجاه أسهم نحو المسار الصحيح

آمل

ولا أعتقد

لكن دعونا نحاول،

وإلا - مرة أخرى - فلماذا هذه اليوميات هكذا؟ ولماذا الإنسان والتطور؟

الثلاثـــــــاء 09-10-2007

39- "طاغــور" يــرد "عليهــا" قبــل أكثــر من نصــف قــرن

الطفل " الخاص"

[أغنية قبل النوم]

-1-

طفلى طفلى
طفلى طفلى
طفلى ليس كمثل الأطفال
طفلى جاء على غير مثالْ
طفلى الخاص
ملكى الخاص
الضحكة غير الضحكةْ
والصرخة أحلى صرخةْ
واللفتة، والبسمة، والغمازهْ
الأرجوحةُ هزّازهْ
تعلو بابنى عبر سماءٍ، بين سحابٍ، وجبالْ !!
يهبط كملاكٍ فى حضنى
أخفيه بين ضلوعى: قرة عينى

-2-

طفلى طفلي
طفلى طفلى
طفلى ذَهَبْ،
طفلى عادْ
طفلى تماماً مثل الأولادْ،
أولاد "الناس"
أكذبُ مثلى مثلَ الناس.
إذْ لو أنى قلت حقيقة نفسي
أو قالت مثلى من هُنّ كمثلي
تشتعل الحرب بغير أوان
فى كل الأزمانْ
بين الناس الأطفال
فالأطفال الناسْ
أطفال الناسْ
أفضل دوْماً
من كل الناس

1980 -1983ديوان "البيت الزجاجى ... والثعبان"
1861 -1941 فيرد الطفل على لسان طاغور

لو أنى لم أكنْ طفلك، يا أمى الحبيبة، بل كنت جروا صغيرا، تُراكِ تنهيننى قائلة: مهْ، إنْ حاولتُ آكل من صحنك؟

تُراكِ تزجريننى، قائلة: إذهب أيها الجرو الشرير.

على رسلك يا أمى، على رسلك، لن آتى إليك حين تنادينى، ولن أدعك تطعميننى بعد الآن.

لو أننى لم أكن طفلك يا أمى، بل كنت ببغاء صغيرة، تُراكِ تقيّديننى، خشية أن أطير؟

تراكِ تتوعديننى بإصبعك قائلة: أيها الطائر القبيح الذى لا ينى ينقر قيده، فى الليل والنهار.

على رسلك إذن، يا أمى على رسلك، سوف أعدو هاربا إلى الغابة، ولن أدعك تضميننى بذراعيك بعد الآن.

الإربعــــــاء 10-10-2007

40-التحكُّــــمْ، والخــــــوف مـــــن فقـــــــدهً (2)

اللعبتان: الثانية، والثالثة

الثانية: "لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى، وساعتها..."

الثالثة: "أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حق...."

ضيوفنا الكرام هم نفس ضيوف **حلقة "التحكم والخوف من فقده"** (من برنامج **"سر اللعبة" بتاريخ 30-3-2005**)

السيدة: منى، كلية الفنون الجميلة

الأستاذ: فوزى، مدرس تربيه فنية

الأستاذة: سوزان، صحفية

والدكتور: هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

(ملحوظة: للمتابعة، خاصة لمن لم يشاهد اللعبة الأولى يمكن الرجوع للأرشيف ليومية 2007/10/3 **"يا خبر!! .. دانا لو سبت نفسى، يمكن")**

***

اللعبة الثانية:
لوعارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى، وساعتها...

أ/ سوزان: يا منى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها كنت حاكون على راحتى وعلى مسئوليتي.**

أ/ منى: يا أستاذ فوزى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها يتحمل اللى يجراله بقى.**

أ/ فوزى: يا دكتور يحيى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها ذنبه على جنبه بقى، يعنى هايشوفنى على حقيقتي.**

د/ يحيى: يا دكتور هانى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها أفرح بجد، حابقى مش مصدق.**

د/ هانى: عزيزى المشاهد لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها هاطلّع الطفل اللى جوايا.**

آراء بعد اللعب

د/ يحيى: حد وصلّه حاجة جديدة؟
أ/ فوزى: أنا وصلنى: حاجة مستعجلة جداً، حسيت إن نِفْسى حد يستحملنى فعلاً، أنا فعلاً حاسس إن مافيش حد بيستحملنى فعلاً مش عارف ليه، لو سبت نفسى ليه مش عارف هايستحملنى ولا لأ، شاكك فى ده.
أ/ منى: أنا وصلنى: جِلْو أوى إن حد يكون لِيهْ واحد يقدر **يحبه ويحتويه** بالقدر اللى يستحمله **باللى جواه.**

[**تنبيه د/ يحيى:** اللى وصله وصله واللى ما وصلوش ما وصلوش، ممكن إللى وصلّه يقول وصلنى من غير ما يقول إيه اللى وصلنى، هو حر]

ملحوظة قبل الملاحظات والتعقيبات

(تأكيد مبدئى: هذه المحاولة، مثل كل محاولة، ليست إلا اجتهاد فرضى، لا هو حُكْم دامغ، ولا هو علم مسلّم به. ويمكن لكل قارئ ان يصل بنفسه لنفسه (أو لغيره) إلى ما يرى، كما قد يتورط فيجد نفسه قد غرق فى رؤية -لنفسه- كان يود أن يتجنبها الآن على الأقل).

الملاحظات والتعقيبات

أولا: الملاحظات العامة

1- يلاحظ أن وضع الشرط الأول "*لو عارف إن حد حايستحملنى*"، قد سمح للجميع أن يركزوا على أصعب ما فيهم، أو أبعد ما فيهم، ذلك لأن الاستحمال لا يكون إلا لشىء صعب أو ثقيل عادة.

2- إن السماح بـــ "سيبان النفس"، فى حماية أو حضور من يتحمل ما يترتب عليه، بدا احتياجا بقدر ما بدا سهلا،

3- إن الإشفاق على هذا الذى تصدى للاستحمال كان دليلا على نوع من **العشم المسئول** مِنْ مَنْ تصدى لهذه المهمة (**يستحمل اللى يجرا له - ذنبه على جنبه**)

4- إن وجود هذا الذى يتحمّلنا سمح بإظهار حقيقتنا من ناحية (يشوفنى على حقيقتى) كما سمح للطفل داخلنا أن يظهر وهو أيضا جانب آخر من الحقيقة، وليس نكوصا

ثم نبدأ فى مناقشة كل ضيف على حدة.

ثانيا: المناقشة: واحد/واحدة

سوزان: يا منى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. وساعتها كنت حاكون على راحتى وعلى مسئوليتي.

أنْ تجمع سوزان بين المسئولية وبين أن تكون على راحتها بدا أمرا غير مألوف، أو غير متوقع، إذ نحن نتصور عادة أن الواحد إذا أخذ راحته فى حضور من يتحمله فإنه يترك المسئولية على هذا الذى يتحمله، لكن أن تجمع سوزان بين حملها المسئولية وبين أن تترك نفسها على راحتها فى حضور من اطمأنتْ لتحمله إياها، جدير بأن نتعلم منه أن الطمأنينة التى تولّد الثقة غير الطمأنينة التى تغرى بالاعتمادية، وفى نفس الوقت نلاحظ أنها لم تعقب بعد اللعبة، وكأنها ربما اكتفت، فى مساحة ما من وعيها، بما اكتشفناه حالا.

منى: *يا أستاذ فوزى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى وساعتها يتْحمل اللى يجراله بقى.*

منى فى اللعبة لم تزد عن الإشارة بلطف غامض إلى أن مَنْ يتصدى للقبول والتحمل عليه أن يكون على مستوى ما تصدى له **"يتحمل اللى يجراله بقى."**

ثم جاء تعقيبها بعد اللعبة، دليلا على فرحتها باحتمال وجود مثل هذه الفرصة التى تسمح لها بأن تترك نفسها بما بها (باللى جواها) لمن "يحبها ويحتويها: وجْمع **الحب مع الاحتواء** يبدو لى هنا إيجابيا خصوصا إذا انتبهنا للجملة على بعضها.

فوزى: *يا دكتور يحيى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى ..* ***وساعتها ذنبه على جنبه بقى ، يعنى هايشوفنى على حقيقتي.***

إعلان فوزى أن حقيقته قد تجعل مَنْ يستحمله مسئولا عن تصديه لذلك **"ذنبه على جنبه"**، يذكرنا بقول منى **"يتحمل اللى يجراله"**، لكن تعقيبه جاء أطول وأهم، فمن ناحية أعلن عن اكتشافه حاجته الشديدة لِمنْ يتحمله، ومن ناحية أخرى شكّ فى أن أحدا يمكن أن يتصدى لهذه المهمة، وبالتالى عاد يتشكك فى وجود من يتحمله .. **حسيت إن نِفسى حد يستحملنى فعلاً، أنا فعلاً حاسس إن مافيش حد بيستحملنى فعلاً مش عارف ليه**، لو سبت نفسى مش عارف حايستحملنى ولا لأ، **شاكك فى ده.**

يبدو أنه يوجد تناسب ما بين شدة الحاجة إلى آخر يتحمل، وبين الشك فى السماح بذلك، حتى إن وجدَ مَنْ يتصدى للتحمل. ربما تحرَّكت الاعتمادية داخل فوزى بشكل مهِّدد حتى أنكر وجود من يستطيع أن يقوم بهذه المهمة أصلا، وبالتالى، وبرغم شدة حاجته، (أو بسبب شدة الحاجة) فقد فضّل أن يستر نفسه باستبعاد من يتحمل حتى لا تنطلق اعتماديته بلا تحجيم

د/ هانى: *عزيزى المشاهد لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى ..* ***وساعتها حاطلّع الطفل اللى جوايا.***

د. هانى اكتفى بأن يطلق طفله الداخلى تحت رعاية هذا الذى سيتحمل، وربما هو يتصور أنه يمكنه أن يعتنى به بنفسه، وربما دلّ ذلك أيضا على أنه شخصيا لا يحتاج من يتحمله حتى يسيب نفسه، لكنه سيتخفف من مسئوليته عن الطفل بداخله

(ويجوز أن كل ذلك ناتج نسبيا من وصاية مهنته - طبيب نفسى صغير - على تلقائيته)

*د/ يحيى: يا دكتور هانى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها أفرح بجد، حابقى مش مصدق.***

د. يحيى بدت فرحته حقيقية، مع أنه يكاد لا يصدق أن هناك من يستطيع أن يقوم بهذه المهمة وهو يعرف مدى ما يمكن أن يكبده من عبء، لكنه لم يمنع فرحته حتى لو لم يكَدْ يصدّق.

***

اللعبة الثالثة

أسيب نفسى بتاع أيه!؟ .. ده أنا حق ....

أ/ فوزى: يا دكتور هانى أسيب نفسى بتاع إيه **.. ده أنا حتى مش عارف أسيب نفسى أصلاً.**

د/ هانى: يا أستاذة سوزان أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حتى بقالى كتير ماسبتهاش.

أ/ سوزان: يا دكتور يحيى أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حتى لو فكرت ماحدش هايغفرها ليا.

د/ يحيى: يا مدام منى أسيب نفسى بتاع إيه **.. ده** أنا حتى متغطى بالعافية ويا دوب.

أ/ منى: عزيزى المشاهد أسيب نفسى بتاع إيه **.. ده أنا حتى يدوبك الواحد بيعرف يمشى نفسه بالعافية.**

آراء بعد اللعبة

د/ يحيى: حد وصل له حاجة من اللى قاله او اللى سمعه أو الفكرة نفسها.

أ/ سوزان: أنا الفكرة اللى وصلتنى ان الناس دلوقتى مش بتغفر لبعضها.

[**د/ يحيى:** (تعقيب) زى مايكون قلة السيبان دى زى ما قال الأستاذ فوزى (اللعبة الأولى) بتحمى، بتحمينا من بعضنا، بس الظاهر بتحمينا لحد ما نبعد عن بعض.]

أ/ فوزى: دا اللى كان حيبقى تعليقى فعلاً، هو ده اللى حسيته فعلاً، إن الإنسان اللى مش سايب نفسه بيبعد عن اللى حواليه كلهم، وبالتالى كلنا مش سايبين نفسينا، فبالتالى بنبعد، يعنى أنا لو سيبت شغلى مش عارف أعمل إيه فى اللى مسئول عنى وعن اللى تحت إيدى واللى مشغلنى واللى واللى، مواويل كتيره حسبتها فى **ثانية** وأنا باتكلم.

د/ يحيى: ....(بعد) اللعبة الثالثة دى، أنا حسيت إن ده جيد، دا موجود ودا موجود.

أ/ سوزان: هى محتاجة حكمة فى إن الانسان يبتدى يوازن

أمـوره إمـتى يـسيب ومـع مـين.

د/ يحيـى: نـفـس الحكمة (اللـى بـتـتكلـمى عنـها دى) "إمـتى يـسيب وإمـتى مـايـسيبش" أنـا أظن دى (نـفـسهـا) قـلـة سـيبـان.... **الـسيبـان سيبـان!**

الملاحظات والـتعقيبـات

أولا: الملاحظات الـعامة:

1- إن مقـارنـة الـسمـاح الـذى عمّ الجميع أثـنـاء الـلـعبة الـثـانـيـة **"لـوعـارف إن حد حيـستحملنى، يمكن أقـدر أسيب نـفـسى،..."** مقـارنـتـه بـالـتراجع الـذى كـاد يـعم الجميع مـن هذه الـلـعبة الـثـالـثـة، **"أسيب نـفـسى بـتـاع إيـه"** يمكن أن نـستـنـتج مـنـه أن الـوقـوف عنـد لـعبة واحـدة أو الـتعجل بـالـتـفسير بـعد لـعبة أو اثـنـيتن قـبـل أن نـتـنـاول الـقضية مـن أكـثـر مـن جـانـب، هـو اخـتـزال غير مفـيـد (وهـذا مـا رددنـا بـه عـلى الـصديق محمد كـامـل فى بـريـد الجمعة الماضية يـوم 5 أكـتـوبـر 2007)

2- أظهـرت هـذه الـلـعبـة عنـد الـبـعض أن "الـتـحكم" لـيـس مجرد حمايـة آنـيـة، لـكنـه - مع طول استعمالـه- يـصبح أسلـوبـا راسخا فى الـتـعامل مع الـذات د. هـانى ، أ. فـوزى، **(بـقـالى كـتـير مـا سبـتـهـاش- مش عـارف أسيب نـفسى أصلا)** فـحتى لـو صدر قـرار "الـسيبـان" فى ظروف أفـضل مـن الـتى الجـأت الـواحد مـنـا إلى فـرط الـتحكم (دون أن يـدرى فى الأغلب)، فـإن الـتـعود على الـتحكم فى ذاتـه (بـلامـبررات كـافـيـة) يـصبح عـائـقـا ممتـدا ضد الـنـمو.

3- بـدا عند آخـريـن أن الـتـحكم مستمـر بـالـكـاد (د. يحيى ، أ. هـانى بـالـتـالى: **ده أنـا حتى متـغطى بـالـعـافـيـة ويـادوب - يـدوبـك الـواحد بـيـعرف يمشى بـالـعـافـيـة)** وهـذا يـشير إلى أنـه إذا أضيف إلى أى منـهمـا سماح جديـد، لـكـان أكـثـر مخاطرة، وبـالـتـالى تـقـفـز المقـاومـة **"أن الـسلامـة أولا"**، وأنـه لا داعى لـلـسيبـان الـذى بـدا أن الـلـعبـة تـغرى بـه المشاركين، هذا عـلمـا بـأن كـشف ذلـك فى ذاتـه يـقـلـل المقـاومـة (أسيب نـفـسى بـتـاع إيـه ... إلخ)

4- مـنـاقـشة مـا وصل مـن الـلـعبة بـعد الـلـعبة كـانـت أكـثـر ثـراء مما حدث فى الـلـعبة الماضيـة ، صحيح أن اثـنـين فـقـط هما الـلـذان شـاركـا فى المـنـاقـشة، لـكن الأمـور اتـضحت أكـثـر بـالأخذ والـرد

ثـانـيـا: المـنـاقـشة واحدا واحدة

**** أ/ سوزان:*** *يـا دكـتـور يحيـى أسيب نـفـسى بـتـاع إيـه .. ده* ***أنـا حتى لـو فـكـرت مـاحدش مـايـغفـرهـا لـيـا.***

اتـفـق مـا قـالـتـه **سوزان** أثـنـاء الـلـعب، مع تـعقـيـبـهـا بـعده **("مـا حدش حـايـغفـرهـا لـيـا"** ثم تـعميمـا بـعد الـلـعبة: **"الـنـاس دلـوقـتى مش بـتـغفـر لـبـعضهـا")** إلا أن تـعقـيـب د. يحيى: أشـار إلى

استجابة فوزى فى **اللعبة الأولى** حين قال عن التحكم **"إنه بيحمينى من علاقتى او بيحمى غيرى منى"**، حيث أضاف: (د.يحيى) "... زى ما قال الأستاذ فوزى، بتحمينا من بعضنا"، لكن د. يحيى أكمل بما لم يُقل حين نبّه **"..بس الظاهر بتحمينا لحد ما نبعد عن بعض".**

يلاحظ هنا أن هذا البرنامج لم يقصد به مجرد التسلية أو الترويح والمفاجأة، ولا حتى قصد به شرح ماهية النفس فقط، بل لعله بطريق مباشر أو غير مباشر كانت به جرعة غير نصائحية للوقاية، لهذا علينا أن نأخذ تعقيبات المسئول (د. يحيى) على أنها قد تقوم بهذا الدور أحيانا، وكأنه ينبه: أنه لا مانع من أن نحمى أنفسنا من بعضنا البعض بدرجة من التحكم، لكن ليس إلى درجة أن "نبعد عن بعضنا البعض" لدرجة الزيف والسطحية.

ومع أن تعقيب د. يحيى كان على كلام سوزان من أن "الناس مش بتغفر لبعضها، الذى لم تكن فيه إشارة إلى بُعْد الناس عن بعضها"، إلا أنه يبدو أن ما أضافه د. يحيى كان إشارة ضمنية إلى أن عدم الغفران هو نتيجة هذا البعد، بمعنى: **كيف أغفر لك أو تغفر لى وأنت لا تعرفنى وأنا لا أعرفك ونحن نحرص كل الحرص على كل هذه المسافة بيننا تحسُّبا وتحكُّما؟!!**

**** أ/ فوزى:** يا دكتور هانى أسيب نفسى بتاع إيه .. ده **أنا حتى مش عارف أسيب نفسى أصلاً.***

فوزى: جاء تعليق فوزى مباشرة بالموافقة على ماقاله د. يحيى: "ده إللى كان حايبقى تعليقى فعلا، هوا ده إللى حسيته فعلا (إن) الإنسان إللى مش سايب نفسه ، بيبعد عن اللى حواليه"-

إلى هنا وجاء كلامه متفقا مع رأى د. يحيى، لكن ما أكْمَلَ به كان بعيدا عن هذه الرؤية بدرجة لم أفهمها، حين تكلم عن أنه يسيب الشغل ..إلخ، هل يا ترى كان يمحو هذه الرؤية الأولى التى أقلقته فانحرف مسار الكلام بعيدا عن هذه الرؤية لنفسه إلى "أى سيبان" والسلام؟ يجوز!. خصوصا وأن استجابته فى اللعبة نفسها كانت على هذا المستوى **"دا انا حتى مش عارف أسيب نفسى أصلا"**، لكن ليس هذا هو كل ما هنالك، تعالوا نرى كيف أنهى تعليقه قائلا:

.."...مواويل كتيرة حسبتها فى ثانية وانا باتكلم"

أنتهزها فرصة هنا لأنبه على عدة مبادئ منهجية، ليس فقط للقارئ العادى، ولكن للزملاء (الأطباء أو المعالجين) ربما الأصغر أهم - وخصوصا الذين لم تتح لهم فرصة مشاهدة العلاج الجمعى مباشرة:

أُجْمِلُ بعض هذه المبادئ فيما يلى:

أ- إن مثل هذه الألعاب **تحِّرك "ما لا نعرف"** مما **لا يمثِل بالضرورة ما أُعْلَن بالألفاظ إلا أقله**، وأحيانا تكون

الألفاظ فى عكس ما تحرك فى الوعى فعلاً، وأحيانا تكون هامشية بالنسبة لما تحرّك.

ب- إن تحريك "الداخل" قد يصل إلى صاحبه "مجتمعا معا" دون تمييز التفاصيل **(مواويل كتيرة)**

ت- إن "الزمن" الذى يحدث فيه هذا التحريك قد لا يستغرق فعلا أكثر من "ثانية" وربما أقل، ونحن فى الحياة العادية لا نستطيع أن نضع ذلك فى الاعتبار أصلاً.

د- إن "حسابات" ما يحدث لا تتم شعوريا، ولا بالتفصيل، ولا يجوز أن نسأل عن **"حسبة أو حساب مواويل كتيرة فى ثانية"**، ذلك أن تلك الاسئلة المعقلـنَة المعطِّلة ليس لها إجابة، فمن ذا الذى يستطيع أن يحصر ما تحرك فى ثانية، ثم كيف يحسبها، والنتيجة (أن ثَمَّ تحريكا) هى المهمة، بما يترتب عليها.

....

حين أضاف د. يحيى رضاه عن مستوى النقاش فى هذه اللعبة الثالثة، ربما كان قد وصله بعض ما سبق مما يرصده الآن بعد أكثر من عام من عرض البرنامج،

لكن نلاحظ كيف عقّبت سوزان على كل ما دار بحكمة **"عادية"**، يمكن أن تقال من أى أحد بدون كل هذا الذى حدث، وذلك حين قالت **"هى محتاجة حكمة فى إن الانسان يبتدى يوازن أموره إمتى يسيب ومع مين"**. حين تختم مثل هذه الألعاب، سواء فى العلاج الجمعى، أم فى مثل هذا التجريب مع الأسوياء، بالأمثال أو الحكم المعادة أو النصائح الراتبة، **فإنه يجب الانتباه إلى أن هذا ليس هو المراد**، ولقد لاحظت فى كثير من البرامج التليفزيونية التى أُدْعى للمشاركة فيها أن كثيرا من المذيعين والمقدمات يحبون أن ينهوا البرامج بمثل هذا السؤال (السخيف ولا مؤاخذة) الذى دائما ما أستغربه: **"إيه النصيحة اللى تحب تختم بيها البرنامج"؟** (للشباب أو للمرأة أو لأى أحد..!!)، فأنزعج، وأرفض أن نمحو كل ما كنا نتناقش فيه بهذا التسطيح بالنصح والإرشاد.

المهم سوزان هنا حين قالت قولا عاديا معادا، لم يفوّتها لها، د. يحيى، فراح ينبه أن هذه الحكمة نفسها هى نوع من التحكم، وأنه يوجد شىء قبل ذلك وبعد ذلك وهو ما يُبحث فى الحلقة لعبة بعد لعبة لأن **"السيبان سيبان"!!**

أكتفى بالتعقيب على د. هانى ، د.يحيى، ، أ. منى بما ورد فى الملاحظات العامة.

وإلى اليومية القادمة، لبقية اللعبات

(مازال هناك سبع لعبات فى نفس الحلقة)

إنتظرونا بعد التقاط الانفاس!!

الخميــــــــس 11-10-2007

41-فـــى شـــــرف صحبــــة نجيــــب محفـــــــــوظ (3)

.... تحت سفح الهرم
مـا زلـنـا قـبـل الـيـومـيـات:

رجعت الحياة راتبة بنظامها الجديد، وراح الأستاذ يعيد تنظيم أوقاته على مواعيد الممرضة، وأخصائى العلاج الطبيعى، وحين تضطرب مواعيد الأولى أو يتغيب الثانى كان يقلق حتى الضجر، دون احتجاج صريح أو لوم لأحد، لكنه كان كمن ينبه بالتزام هادئ إلى حقه كمريض فى الرعاية فالنقاهة، ولم يكن كل المحيطين يدركون مدى رقته ولا بالغ حرصه على وقت الناس وضبط إيقاع يومه، التقطتُ كل ذلك بسرعة، وحاولت أن أثبِّت كل شيء، وأن أضبط جرعة الانتقال من الاعتماد على الممرضة، وأن أؤجل انقطاعها، وأن أطمئنه على أن أتعاب المستشفى تصلها وستصلها بلا تأخير، وأنْ .... وأن ..... ولكنه كان يريد أن يستوثق طول الوقت من أمرين: **الأول:** أنه ليس ثقيلا على أحد وأنه لا يأخذ من حق ضباط الشرطة وعائلاتهم ما خصص لعلاجهم، وأن التكاليف تأتى من مصدر آخر بعيد عن أن يعتدى على حق أحد، **والثانى:** أنه يأخذ حقه الطبيعى البسيط فى التأهيل والمتابعة الطبية والنقاهة.

أخذت أكتشف أوضح وأعمق من هو نجيب محفوظ فى روعته العادية، وصدق الإحساس بالآخرين، حتى وهو أولى الناس بكل رعاية من كل واحد كل الوقت، "إلا أبدا": **شخص عادى، يؤكد واجبه أولا، وينبه إلى حقه بجياء لا مثيل له، لا أكثر ولا أقل** !!

فى يوم آخر، أيضا: قبل اليوميات

كان منزعجا هذا الصباح، قال لى: "ماذا فعل يوسف (الصديق محمد يوسف العقيد) مع رجال المستشفي؟"، (انتظرت أن يكمل فأكمل) "أخشى أن يكون قد آذى شعورهم"، لقد أُبْلِغْتُ ما شغلنى" وحين استفسرت عن مزيد من التفاصيل قال:" إنه يبدو أن مشادة قامت بين القعيد وبين إدارة المستشفى حين طلبت الإدارة بعض التفاصيل عن المبلغ التقريبى المقرر للعلاج، فإذا بالقعيد أو رسوله يرفضون الإجابة محتجين على مجرد السؤال أو شئ من هذا القبيل، لم أفهم بوضوح الموقف

حتى بعد أن أضاف الأستاذ!!، "إن هذا الطلب لا ينبغى أن يضايق أحدا، أنا "كموظف" أفهم ذلك تماما، لابد أن يخاطب المدير مديرا مثله، وأن يخاطب وكيل الإدارة من هو فى مستواه من وكلاء الإدارات، وهكذا". وابتسمت وأنا أسمع هذ التعبير الدال الذى سمعته عنه دائما "أنا كموظف!!!" ، والذى أعتقد أنه أسهم فى إبداعاته الرائعة، كما أعتقد أنه له الفضل فى إدامة التصاقه بالناس، عامة الناس، طول الوقت، وربما كان له الفضل أيضا فى إحساسه بإيقاع الفعل اليومى الذى بدا لى أنه يقدسه لذاته, ما زال نجيب محفوظ شخصيا يقول بعد كل هذا: "أنا كموظف"، بعد نوبل، وبعد .. وبعد، وبعد..، يصف نفسه بهذا الوصف البسيط المتواضع "أنا كموظف" .... أعذرهم وأفهم موقفهم .. إلخ."

وعدته أن أذهب لشكرهم وللاعتذار، وإزالة سوء الفهم إن وجدته أصلا، وذكّرته أنهم حين طلبوا منه دعوة طيبة أثناء خروجنا، أجابهم أنه يدعو الله **أن يظلوا كما هم،** (يفضلوا كده) وأنهم وصلتهم هذه الدعوة غير المألوفة ، واعتبروها **شهادة تقدير رائعة** تعنى أنهم وصلوا إلى قمة ما ينتظر منهم ، وما يرجوه لهم، ليكونوا للناس ، سائر المرضى، كما كانوا له !.

فى اليوم التالى سألنى عما فعلت معهم وطمأنته من جديد، وأن ما بلغه لم يصل إلى درجة سوء التفاهم، فعاد يؤكد شرح وجهة نظره قائلا: "هذا هو الفرق بين الموظف والحر"، ثم يبدو أنه أدرك ما فى المقابلة من غموض، أو ربما خشى أن أتصور أن الموظف ليس حرا، فاستدرك: أعنى الفرق بين الموظف وغير الموظف"..، وفرحت بدقة وعيه واستمرار علاقته بانتقاء اللفظ المناسب واحترام المستمع، والحرص على توصيل ما يريد تحديدا.

وبدأت اليوميات: 1994/12/11 يوم مولده

كنت قد أخبرته أمس أننى حضّرت له مفاجأة، ودهش وسأل، وأجّلت الإجابة، ولمحت فرحةً مختلطة بدهشة ما تطلّ من بعيد خلف وجهه، مع أننى تخايلت وراء فرحته هذه ما يشبه التوجس الطيب، لكن الفرحة غلبت، وكنت قد اتفقت مع يوسف العقيد وجمال الغيطانى وزكى سالم أن نخرج صباح هذا اليوم "الأحد" إلى الشمس ليكون ذلك أول خروج له بعد الحادث، ليستعيد بالتدريج إيقاع حياته العادية ما أمكن ذلك.

لم يتردد فى الخروج برغم المفاجأة، وكنت أحسب أنه سيقاوم أكثر، لكننى لمحت وراء استجابته للمفاجأة التى ملأت وجهه فعلا بفرحة طفل يوم الإجازة، لمحت ظلا من توجس أمس، لكن ما إن احتوتنا السيارة حتى تنفس بعمق وكأنه لا يصدق أن هذا هو هواء الشارع من جديد.

ذهبنا إلى الهرم، وتذكر أيام رحلات التلمذة فى المدرسة الابتدائية (وربما مع الأسرة) منذ أكثر من ثمانين عاما، ها هى الذكريات تعود به إلى سن السابعة أو التاسعة!!!كما ألمح إلى زيارته المتحف المصرى مع المرحومة والدته، لم

يخطئ ظنى فى تحديد سن فرحته، رائع الاحتفاظ بالطفولة الدائمة هكذا، (تأكدت فيما بعد أن هذا هو من أعظم ما يميزه)، كان يلبس عباءة المرحوم حماى التى أحضرتها له معى ألفّه بها خشية البرد (نحن 11 ديسمبر) ولم يطل مكوثنا فى سفح الهرم، التقطنا صورا قليلة للذكرى، ثم توجهنا إلى ميناهاوس، وهو لا يكاد يصدق.

ما زلت برغم تصاعد دفء العلاقة وإزالة الحواجز، لا أعرف كيف يتحاور معه المريدون، فأنا – كما ذكرت- لم أحضر مجالسه معهم قبل ذلك أبدا، وكل لقاءاتنا منذ شرفنى بمتابعة أيامه كانت بالمنزل، كما كانت معظم أحاديثنا حول مواضيع النقاهة والرعاية مثل التى ذكرتها حالا. كنت أجلس بجواره فى الميناهاوس، أميل على أذنه كما تعودت، وقد سمح لى الأصدقاء أن أتولى ضبط جرعة الجلسة، ربما لظنهم أننى أعرف متى يُنهك، ومتى نتوقف ومتى نعود.إلخ. لم أجد ما أقوله فى هذا الموقف الذى لم أعتدْه، فرحت أحكى له (ولهم) كيف أننى ، ذات يوم عُدْتُ مريضا مهما فى هذا الفندق، وأنه كان ينزل فى "جناح مونتجمرى" والذى سمى بهذا الاسم لأن مونتجمرى نزل فيه أثناء الحرب العالمية الثانية، وكيف أننى حين ذهبت للحمام ووجدت أغلب أدواته ومحتوياته وحوائطه من خشب شديد الوقار والجمال، خيل لى أنها حجرة نوم، وأننى دخلت خطأ، فاتجهت للخروج دون أن أقضى حاجتي، لكننى شككت فى نفسى وتراجعت إلى ما يشبه (ولا مؤاخذة) المرحاض، وشددت "السيفون" فانْشَدّ!، فتأكدت أنه الحمام، ومع ذلك فقد أبت أجهزتى الفسيولوجية أن تصدق، وخرجت كما دخلت وأنا لم أخدش حياء كل هذا الخشب الأنيق، وضحك الأستاذ عاليا وجميلا، ولم أكن قد تعودت ضحكته المجلجلة هذه بهذا القرب بعد.

نظر إلى الأستاذ وهو يأخذ شهيقا عميقا كأنه يتأكد أنه ما زال هو هو هواء الخارج (خارج البيت) مع أننا كنا داخل الفندق، نظر مترددا فعرفت أنه يريد أن ينتهزها فرصة ويتخطى الحواجز، وفعلا: سألنى مترددا، بمناسبة هواء الحرية، (هكذا قال) هل تضر سيجارة واحدة لا أكثر؟ وحين وافقت لمحت وجهه يشرق وكأننى أمام تلميذ يطلب إذنا من المشرف لم يتوقع الاستجابة له، أسرع – ربما خوفا من أن أرجع فى كلامى- وأخرج سيجارة من علبة سجائر كان يحتفظ بها فى جيبه فى سرية تامة طول هذا الوقت، وفوجئنا وتساءلنا فضحك وهو يخبرنا أنه لم يجد داع للإعلان عنها خشية ألا يؤذن له، أشعل له السيجارة أحد الأصدقاء (أعتقد أنه الإبن زكى سالم)، وهو لا يكاد يصدق، وراح يأخذ منها نفسا عميقا بطيئا، ثم يديرها بهدوء بين أصابعه، وكأنه التقى بحبيبة بعد طول غياب فمضى يتأمل وجهها، ويملس على شعرها ليتأكد أنها هى، وأنها عادت، أحسست ساعتها أنه – بهذه السيجارة التى لم يدخنها منذ الحادث- قد تأكد من عودته للحياة الطبيعية.

فوجئت فى اليوم التالى بذكر اسمى فى الصحف مقرونا بوصف "طبيبه الخاص" وتتالى ذلك بوصف آخر هو "الطبيب المرافق" وغير ذلك من صفات طبية، كما ذكروا على لسانى أننى صرحت

بأنه يستطيع كذا، ولا يستطيع كيت **وكل ذلك لا أساس له من الصحة،** ليس هذا فقط، بل إننى شعرت أن به جَرْحُ ما لأستاذى وشيخى هذا، وأيضا حرج لى بشكل آخر، من حيث أنه يعطينى دورا أقل مما أتمناه فى صحبته، وأكبر مما أستطيع بخبرتى المحدودة، صحيح أن المرض النفسى ليس عيبا، وأننى خفت مرات متفرقة على أستاذى أن يكون قد تَقَمَّصَ شخوصه حتى عانى - مثلا - ما أتاح له وصف حالة "عمر الحمزاوى" فى الشحاذ بكل تلك الروعة والتفاصيل، **وقد ذكرت مخاوفى هذه فى نقدى الأول (1970) لروايته "الشحاذ حيث قلت " ما يلى:**

وإنما اخترت "الشحاذ" لأنها من الناحية النفسية تمثل وضوحا وصراحة فى الأعراض لا مثيل لهما.. فهى تصف نوعا من المرض النفسى وصفا لا أكاد أصدق أن إنسانا يستطيع وصفه إلا إن مر به وعاناه.

ولابد أن أعترف أننى أشفقت على كاتبنا الكبير أن يكون قد عاش بعض هذه الآلام، وجزعت حين خطر ببالى هذا الخاطر برغم ما داخلنى من راحة حقيقية، إذ أن هذا الاحتمال نفحنا نحن قراءه هذا الوصف الذى لايقدر عليه إلا هو . . إلا أنى - حبا فيه ثانية- استبعدت ذلك جدا، وراجعت نفسى وقلت لعله صديق صادق، اندمج معه كاتبنا العظيم، حتى قاسمه مشاعره، ثم استطاع ببصيرته أن يترجم خلجاته إلى ما أقرأنا من فن صادق .

ولكن الذى استبعدته تماما هو أن تكون هذه القصة برمتها محض خيال

فعلا رفضت وصفى بأنى طبيبه الخاص خشية تصور أننى أقوم بدور التطبيب النفسى، ولعل هذا النفى، بل وتبادل الأدوار، هو الذى حضرنى فى شعرى لاحقا فى أحد أعياد ميلاده حين أثبت فيه **أن شيخى هذا هو الذى كان يعالجنى- نفسيا - طول الوقت. "صالحتنى شيخى على نفسى" الأهرام 15-12-2003**

قلت فى عيد ميلاده الـ "92"

... زعموا بأنِّىَ قادرُ أشِفى النفوسَ بما تيسَّرَ من علومٍ أو كلامٍ أو صناعةْ
عفوا، ومن ذا يُشفى نَفْسِى حين تختلطُ الرؤَى،
أو يحتوينى ذلك الحزنُ الصديقُ فلا أطيقْ؟
حتى لقيتـــكَ سيِّدى،
فوضعتُ طفلى فى رحابكْ.
طفلُ عنيدْ.
مازالَ يدُهَشُ كلَّ يومٍ من جديدْ.
....
صالحتَـنِى شيخى على نَفْسِىَ حتى صرتُ أقربِ ما أكونُ إليه فينـَا،
صالحْتَـنِى شيخى على ناسىَ، وكنُت أشكُّ فى بـــلَهِ الجماعة يُخْدعُونَ لغير ما هُـم.
صالحتـنى شيخى على زخم الجموع فَخِفْتُ أكثر أن أضيع بظلٍّ غيرى.
صالحتنى شيخى على أيامنا المُّرةِ مهما كان مِنْها.

علَّمَتِنِى شيخى بأنا قد خُلقنا للحلاوةِ والمرارة نحملُ
الوْعَى الثقيلَ نكونُــه كَدْحاً إليه.
. . . .
. . . .
من وحى أحلام النقاهة- سيدى- نشطت خلايا داخلى:
" فحلــمــت أنِّىَ حامــلُ،
وسمعتُ دقَّـــا حانِيا وكأنه وعد الجنين.
جاء المخاض ولم يكن أبدا عسيرا،
وفرحت أنى صرت أمًّا طيبة،
لكننى قد كنتُ أيضا ذلك الطفل الوليد،
فلقفتُ ثَدْىَ أمومتى،
وسمعت ضحكا خافتا.
لا،.. ليس سخريةً ولكنْ.
.... وسمعت صوتا واثقا فى عمق أعماقى يقول:
"المستحيل هو النبيل الممكن "الآن" بنـــا".
لَمَستْ عباءتــــكِ الرقيقةُ جانبا من بعض وعْيي،
فــعــلــمــت أنـــَّكَ كـنْـتَـهُ".
وصحوتُ أندم أننى قد كنت أحلمْ.

حين قرأت له هذا الحلم شعرا لاحقا، وقال فيه كلاما طيبا، عرجت إلى رفضى لتفسير الأحلام الفرويدى، وتكرر فى لقاءاتنا اللاحقة لأكثر من عشر سنوات عرض نظريتى عن الأحلام حتى شعرت أنى أضجرته، لكن أبداً، كان دائما يستزيد بما يشجعنى حتى بدأت فى قراءة أحلام نقاهته نقداً ....، ولنا فى ذلك عودة فعودة.

* * *

على ذكر عيد الميلاد، سألته عن كيف اعتاد أن يحتفل بهذا اليوم؟ فقال لى إنه لا يحتفل عادة بعيد ميلاده، وإنه لا يعرف معنى لهذا الاحتفال، حتى مع الحرافيش، اللهم إذا تصادف أن جاء هذا اليوم يوم خميس بالصدفة، وهو يوم لقائهم، ثم لا شيء بعد ذلك، قلت له: حتى ولا "تورته"، قال: حسب التساهيل، زمان لم يكن هناك طقوس كهذه، وذكرت له وجهة نظرى فى فكرة الاحتفال بعيد الميلاد: ذلك أننى لا أرى لى فضلا فى أننى ولدت فى يوم كذا فيحتفلون بى ، وقلت له أننى سجلت رأيي هذا لعميد كلية طب قصر العينى (المرحوم) أ. د. هاشم فؤاد، حين آصر أن يرسل لى حتى عيادتى باقة ورد بمناسبة عيد ميلادى، وكان يعدّ بذلك لانتخابات دورة ثانية للعمادة، ويرسل لكل الزميلات والزملاء مثل ذلك، ولكن سيادة العميدة لم يهنئنى بحصولى على جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب قبل عام أو أثنين (على ما أذكر)، فكتبت إليه، وعاتبته أنه اطّلع على تاريخ ميلادى من أرشيف الكلية دون إذنى، فى حين أننى ليس لى الحق فى الاطلاع على ملفه لأ ردّ له التحية فى عيد ميلاده، وأنه حين فعل ذلك مع زميلات لى قد تخطى كل الحدود، فلا أظن أن أيا مِنهُنّ تريده أن يعرف سنها، ثم إنه لم يهنئنى بإنجازى أنا فى نفس العام، وهنأنى بفضل والدىّ فى ليلة شتاء ينايرية من عام ما (ولدت فى نوفمبر)، وهو أمر ليس لى فضل فيه، بل ربما لم يكن ينويه والدىّ أصلا لأنى رابع أخ إذْ سبقنى

ثلاثة إخوة ذكور، قلت ذلك للأستاذ وكان يستمع باسما، لكنى لمحت فى وجهه قرب نهاية حديثى ما يشبه الاحتجاج المهذب، بل الرفض، وفعلا، أحسست أنه يريد أن يقرص أذنى لأننى ذكرت والدىّ بهذه الاستهانة حتى ولو كان على سبيل الفكاهة، وخجلت، وحين تراجعت بعد ذلك عن رفضى لفكرة أعياد الميلاد خاصة للصغار، وذكرت ذلك للأستاذ لاحقا، سألنى كيف عدّلت رأيك، وكان يفرح بمثل ذلك كأنه يطمئن لمرونتنا حوله، فقلت له إنه بدا لى أن هذا الاحتفال يؤدى رسالةً ما للأولاد والبنات أساساً، فهو يبلغهم أن والديهم غير نادمين على قدومهم ، برغم ما يفعله الصغار بهم، فضحك واسعاً، فعرفت أنه عفى عن خطئى الأول وتجاوزى حدودى تجاه والدىّ، فأضفُت أنه حضرنى الآن - أيضا - وأنا أشرح له رأيي الجديد، أن هذا الاحتفال ربما كان **- أيضا- اعتذارا لهم عن أننا أنجبناهم قسرا فى هذا العالم دون استئذان،**

وترحمنا - الأستاذ وأنا - على عمر الخيام وأبى العلاء المعرى معا.

- تصحيح وتوضيح: سبق أن حددت فترة هذه اليوميات من [11-12-1994 حتى 17-8-1995] وهذا صحيح، لكننى وجدت أننى قد كتبت حوالى خمس عشرة صفحة بعنوان "قبل اليوميات"، ويبدو أن التاريخ الذى أثبته لليوميات، هو تاريخ بدء الكتابة، بمعنى أن الفترة السابقة لذلك لم أكن أكتب فيها شيئا، وحين بدأت الكتابة يوم 11 ديسمبر (يوم عيد ميلاده - كدت أضيف الآن "أطال الله عمره" أى والله !!!) الذى سوف يأتى ذكره حالا، قررت أن أكتب ما فاتنى من الذاكرة، وقد حدث خطأ فى الحلقة الأولى حين سجلت أن مكالمة أ.د. سامح همام كانت 11 ديسمبر، إذ يبدو أنها كانت 11 نوفمبر، لكل هذا لزم التنويه.

- نشرت القراءة الأولى فى مجلة الصحة النفسية (1970) ثم فى كتاب حياتنا والطب النفسى - القاهرة دار الغد (1972) ثم فى كتاب قراءات فى نجيب محفوظ. د. يحيى الرخاوى، الهيئة العامة للكتاب، 1992، ص 170 .

- نشرت فى الاهرام: 2003/12/15 [فى عيد ميلاده الـــ "92" صالحتنى شيخى على نفسى ..]

الجمعـــــــة 12-10-2007

42-حـــــــوار/ بريــــــــــد الجمعــــــــــة

عن التواصل والطفولة والبراءة

مقدمة

مازال الحوار يجرى بين نفس الأصدقاء تقريبا، وهو شئ طيب لأنه يجعل الحوار حواراً، لكنه يقلقنى فى نفس الوقت لأنه لا يساعدنى على التعرف على بقية الذين أكتب لهم، سواء بصفة عامة أم فى هذا الحوار الأسبوعى.

يكتب لى الابن كريم شوقى

- أنا بقيت استنى بريد الجمعة من الجمعة للجمعة، لأنه جميل إن حد كبير يسمع ويرد، يبقى فيه "خد وهات".

د. يحيى

شكرا كريم، ولو أنى آمل بعد قليل (أو كثير) أن المسألة تصبح "خد وهات" أكثر فأكثر، لأن حكاية "حد كبير يسمع ويرد" لا تطمئننى كثيرا، مع أننا نحتاج الاثنين معاً طبعا.

وبعد

أولاً: الخوف من الحب (عن التواصل: بين البشر)

حين كتبت هنا عن صعوبة "التواصل البشرى" بعنوان **("تعرية زيف واغتراب التواصل البشرى" بتاريخ 26-9-2007)** كنت فعلا مترددا وخائفا من أن أفتح ملفا لا أستطيع أن أغلقه، وأن أطرح أسئلة ليس عندى لها إجابة، وألوَح بعلاقة أرقى وأبقى تكاد تكون مستحيلة الآن، وقد حاولت أن أهرب فعلاً بعد هذا المقال الأول، لكننى فوجئت أن كل عملى فى مهنتى، ولا أقول أغلب عملى، هو يدور فى هذه المنطقة، وأن معظم كتاباتى شعرا وقصًّا وعلما هى فى هذه المنطقة أيضا، فأى مبرر أخلاقى أو موضوعى يبرر لى الهرب؟ هل لأنى عجزت عن أن أحقق ما أراه، أفْضَلَ وأبْقَى يحق لى أن أعزف عن قول ما أتصور أنه يوماً ما سيكون؟ ومع ذلك فقد كان الميل الأرجح هو أن أقفل هذا الملف حتى لا تنقلب المسألة كلاما على الورق! ومع ذلك عدلت عن تراجعى كما تشهدون.

حين نشرت مقَالتَىْ **الخوف من الحب (10-7 ـ 10-8)** تعّرت المسألة أكثر وأصعب، ولقد كنت صريحا منذ البداية حين أنهيت

المقال الأول 26-9 بالرد على سؤال وجهته إلى نفسى على لسان القراء:

هل حللت أنت شخصيا هذا الإشكال:

ورددت: "طبعا لا"
ثم أردفت على لسانهم:
- إذاً ماذا
ورددت:
- إذن هذا !

وفى المقال التالى عن "الخوف من الحب" 7-10 أنهيته بإعلان مخاوف ومحاذيرى بشكلٍ واضح، ويبدو أنها وصلت إلى كثير من الأصدقاء وخاصة د. أسامة عرفة والصديق محمد كامل. أما المقال الثالث 8/10 فقد انهيته أيضا بسؤال يقول:

تُرى هل أصبحت المسألة أسهل أم أصعب؟
ويبدو من تعقيباتك يا د. أسامة أنها أصبحت أصعب.

د. أسامة عرفة

. . . . صعّبتها علينا يا مولانا، ربنا أمر بالستر

د. يحيى:

بصراحة، نعم، ولا أعتذر، ولا اريد أن أتمادى أيضا، ألا تذكر يا أسامة أننى قلت فى المقال الأول فى سلسلة الخوف من الحب بتاريخ 10/7، أنه: " قد يترتب على فهمٍ طيبٍ أمين، تقليب غير طيب لعلاقة سلسلة متواضعة، كان يتمنى صاحبها أن تستمر مستورة والسلام. كنت، ومازلت أخشى يا أسامة ألا يصل كلامى إلا إلى عدد قليل على المستوى العقلى، أما على المستوى الواقعى فها أنت تحدد الندرة بوضوح شجاع.

د. أسامة

... (فعلا) مين ولآ كام واحد حايقدر على ده، أعضاء المجلس الموقر؟ ولا الراجل ولا الست الغلبانة بياعة الفجل على رأس شارعنا .... وبعدين الطرفين راضيين

د. يحيى

يا سيدى ربنا يملأها لهم بركة، وهل نحن قلنا حاجة! لكن ماذا أفعل فى حتم الرؤية وضغط الرسالة، ماذا أعمل؟

د. أسامة

. . . . شويّة عَمَى، على شوية عِشرة، على شويّة مودّة، على شويّة مناكفة، مش هوه ده الإيقاع إللى ممشى الدنيا لحد دلوقتى؟

د. يحيى

بصراحة مرة أخرى، **نعم ونصف**، ربنا يستر، لكن الحكاية يا

أسامة، وأنه مع مرور الزمن، وإذا لم تكن هذه الشويَّات متجددة "وصابحة" أولا بأول، تنقلب المسألة إلى: **شوية تفويت، على شوية تطنيش على شوية برود، على شوية انطفاء، على شوية انسحاب، والذى نبات فيه نصبح فيه وسلامتك وتعيش،** لا تضطرنى أن أقول إن هذه هى "دورة حياة الدودة **التواصلية**"، (مثل دورة حياة دودة البلهارسيا) ثم نحمد الله على الستر. ونتمنى للجيل القادم ما هو أفضل، طيب، ما المانع أن نقدم للجيل القادم بعض معالم بعض محاولاتنا الفاشلة، ليبدأ من حيث انتهينا، نلقى الكرة ملتهبة ناراً، وهم يحولونها إلى طاقة. ألا يجوز؟

د. أسامة

اقترح عقد ميثاق شرف ابتدائى للحب: مانستأذنشى بعض .. نحترم بعض شوية، التزام شوية مسئولية، .. وبعدين الحب بقى حسب التساهيل

د. يحيى

أيضا موافق خصوصا حكاية "نحترم بعض"، وأيضا حكاية المسئولية"، أنت تعرف طبعا يا أسامة أن تعريف الحب العلمى هو "رعاية ومسئولية"، وقد أضفت أنا توضيحاً له أنه رعاية **"متبادلة"** و**"تحمل الاختلاف"** و**"القدرة على الاستمرار"، ولم أضف على أن يشمل: "تجديد العلاقة وإعادة التعاقد"**، فزاد الأمر صعوبة، وكان علىّ أن أتراجع، لكن برغم كل ذلك لم أستطع أن أهرب من أن أقدم ما أعرف، حتى لو لم أكن قد نجحت أنا شخصيا فى تحقيقه.

د. أسامة

(أنا أيضا) .. لا أدرى يقينا لماذا لجأتُ **(أنا)** إلى كل هذه المراوغة، أو محاولة التملص مما ألقيَتُه فى وعيى، عذرا سيدى على مشاكستك فى محرابك

د. يحيى:

ياعم محراب من؟ ومشاكسة من؟ الحب لا يعرف المحراب، الحب أو محاولة السير فى طريقه يحتاج إلى كل ما نحاوله، وهو يلقى فى وعينا ما يقلِّبنا، وقد يلهمنا إلى حلٍّ ما، يوما ما، خاصة لو بدأنا بحكاية احترام حقيقة تعدد مستويات الوعى، وبالتالى "الاتفاق المتعدد المستويات". مما يحتاج لإفاضة لاحقة.

د. أسامة:

... أتفق تماما مع رؤية مستويات الوعى، وهيراركيتها (التى جاءت فى المقال "2" عن الخوف من الحب) وسؤالى هو: أليست مستويات الوعى المختلفة فاعلة نشطة بتلقائيتها حتى بدون وعى مستوى الشعور الظاهر.

د. يحيى:

طبعا، وهل يقدر أحد أن يمنع تلقائيتها، سواء وصلت إلى الشعور أم لا، عليك نور يا شيخ

د. أسامة:

.... وأن ما يصل لشعورنا الظاهر أو ما يظهر على شاشة

الوعى هذا ليس مجرد تسطيح، وبقية المستويات خارج الحسبة، وإنما فقط **هو المحصلة النهائية** لتفاعل مستويات الوعى المختلفة فيما بيننا ومع مستويات وعى الآخر سواء وعينا بذلك أم لا.

د. يحيى

الله يفتح عليك، بالضبط! ولكننى أضيف: "ياليت"!! (يا ريت: من بقك لباب السما)

د. أسامة

.. هل نحن نعى بكل العمليات التحتية لمستويات التراكيب المخية فى بقية الوظائف الحيوية حتى يكون من الضرورى الوعى بها أثناء التواصل مع الآخر؟

د. يحيى

طبعا لا، كلامك كله صحيح، حتى العمليات الحركية الظاهرة، تجرى متناسقة دون تدخل شعورى، بل إن التدخل الشعورى يفسدها. يا أخى، ألا تذكر صلاح جاهين "**..بس انت لو بصيت لرجليك تقع**".

د. أسامة

.. علينا (إذن) فى عملية النمو والتربية تغذية هذه المستويات المختلفة، وفتح المسام لها بطريقة غير مباشرة وغير معقلنة، وبلغة أقرب للعادية

د. يحيى

... أوافقك مائة فى المائة، بل إنك حين قلت "بائعة الفجل على ناصية شارعنا" تصورت أنها أقدر على تحقيق ذلك التواصل المتعدد المستويات. من أى واحد متفذلك منظّر. فى رواياتى الجديدة **"ملحمة الرحيل والعود" (الجزء الثالث: من ثلاثية المشى على الصراط)** توجد شخصية أمية اسمها "وردة" تعد شايا وقهوة ومشاريب فى ركن بجوار مزلقان أبو النمرس، وأظن أننى تعمدت برسم هذه الشخصية أن أقدم نموذجا لتواصل متعدد المستويات، يفوق كل شخصيات الرواية بما فى ذلك المثقفة، والأجنبية، والبرجوازية ....الخ، وربما أُضطر يا أسامة - وكلى أسف - أن أعود لنقد هذه الثلاثية مجتمعة بعد اكتمالها لأنها تدور حول إشكالة التواصل البشرى من ناحية، ثم أظن أنها ترسم سهماً ما لما أود توصيله وأؤجل الحديث عنه من ناحية أخرى.

من أصعب ما يؤلمنى أحيانا يا أسامة أن أضطر لنقد أعمالى الإبداعية بما أسميه "شرح على المتن"، لكن ماذا أفعل بالله عليك والنقد الحقيقى بالنسبة لإبداعى هُسْ هُسْ، دعنا نستمع لصديقنا الطيب "محمد كامل"، وقد بلغه ما نتحدث عنه بطريقته الطيبة الهادئة الأمينة، وهو لم ينف دهشته، التى والحمد لله، لم تصل إلى حد الانزعاج.

محمد كامل:

ياه !! .... يا خبر ابيض، ده الواحد مِنْ جوّه مكشوف

قوى، أنا كنت حاسس بغير كده، حسيت بكل ده وأنا بقرأ اليوم **(الخوف من الحب 1)**

د. يحيى
والله أنا آسف يا محمد...، يعنى.. ..، ليس تماما، طيب... خلّها: "أنا شاكر يا محمد"

محمد كامل
.. ومع ذلك يبدو أنها ليست هى ما تميز الفطرة البشرية السليمة، غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله

د. يحيى
لم أفهم ماذا تعنى بـــ "ليست" هى.. "تقصد ماذا"؟ لا القصيدة ولا المقال قدمتا نموذجا لما هى الفطرة البشرية السليمة على ما أذكر، وإنما اليومية كلها كانت تريد أن تعّرى الموجود، أما الفطرة السليمة، التى جاءت الأديان لتنميتها، فقد انقضَّت عليها السلطات الدينية وغير الدينية تفسدها مع سبق الإصرار.

محمد كامل
... نواميس الدين تنسق صراعاتنا الداخلية، وصراعاتنا الداخلية الأخرى هى ما تساعد على تنفيذ نواميس الدين

د. يحيى
...اسمح لى أن نؤجل الحوار فى هذه المسألة حتى تظهر جوانب أخرى لها، خصوصا فى هذه المنطقة الصعبة، لكن دعنى أعترف لك أننى فرحت بتعبيرك "أن نواميس الدين تنسق صراعاتنا"، تصور أن النظريات الأحدث للتركيب البشرى تقبل وتعمق صراعاتنا هذه، **حتى أصبحت فكرة أن تتجنب الصراع وأن يكون كل همنا هو "حل الصراع" أصبح هذا وذاك تسطيحا خائبا،** إن المطلوب هو إعادة فهم طبيعة الصراع وضرورته من منطلق النمو، وأنه ضرورى للحفاظ على الحركة والدفع إلى جدل خلاّق، وكل هذا هو ألف باء قوانين الفطرة التى خلقها الله ليكرمنا بها إذا نحن استوعبناها وكرمناها بما **"نُحاوله إليه"**، يارب يا محمد تنتظر معنا، وتحاول معنا، ونحن نكمل، من يدرى لعلنا نحصل على شعاع يهدينا للوجهة الصحيحة؟

محمد كامل
... (أنا) فى انتظار التكملة حتى تتشكل صورة تعليقى جيدا

د. يحيى
والنبى يا محمد دعك من "تتشكل جيدا"، إن أمانتك وتلقائيتك تكفيان، ألم تلاحظ أنى أحاول من كل جانب، ومع ذلك لم تتشكل الصورة عندى بعد بما يكفى أن أقول إنها جيّدة أو غير ذلك؟

المحاولة والجدية والاستمرار هى زادنا "إليه" يا أخى، تعالى يا محمد نخفف الجرعة قليلا باستدعاء الابن كريم شوقى

ليرد على السؤال الذى أنهيتُ به مقالى **(الخوف من الحب 1)**، حين **سألت القراء الزوّار مارأيكم دام فضلكم**، وكنت أطلب الرأى فيما إذا كنت أكمل التعرية، أم أخاف على الناس وأتراجع، نسمع كريم.

د. كريم

حضرتك طلبت رأينا فى أخر المقال.. أنا مش عارف رأينا فى إيه بالظبط: أنا عن نفسى باحب ألعب حب(بس من غير قلة أدب) عشان باخاف من المجتمع وعندى حبة ضمير .. أحسن حاجة فى لعبة الحب إنك وقت ماتعوز تخلع حتخلع ومش حتتعب كتير أو خلينى أقول مش حتتعب خالص .. مرة كنت بالعب حب ولقيتها قلبت جد وتعرضت لتجربة الترك وبادفع الثمن حتى هذه اللحظة .. عشان كده باخاف من الحب الحقيقى طبعا .. إمال حخاف من إيه يعنى !!!

د. يحيى

بصراحة الله نّور، ثم "برافو" عليها تلك التى قلبتها جد، ثم دفّعتك ثمن لعبة يظن الرجال أنهم هم الذين يتقنونها وحدهم .. إدفع يا بوكرم، ولو إنه يظهر عليك مازلت آخذا المسألة بروح رياضية، لكن ألمك ظاهر، يمكن تكبر.

كريم

أنا مصدقك تماما وباحترم اجتهادك أن الحب الذى خلقه الله و الحب المتعدد المستويات بس أنا أخاطر ليه ومين يستاهل أساسا ... إللى يحضر العفريت لازم يكون أده .. مش كدا ولا إيه عاوز رأيي؟: **"مافيش احسن مالضّحْكِة العيرَةْ، والحب اللى مالوش تسعيرة".**

د. يحيى

هذا هو الكلام، "واللى عايز الجميلة يدفع مهرها" لكن حكاية "اللى يحضّر العفريت لازم يكون قده" أظرف.

أمّا أن ينتهى رأيك كما انتهت الأغنية، فربما يكون عندك حق الآن، طالما أن هذه هى "البضاعة الحاضرة"، لكن: إبق معنا نحاول،.. من يدرى؟

ثانياً: عن الأطفال والبراءة والفطرة

بعد أن كتبت أسماء شُرَطًا تحت بعضها على عدة أسطر سجلتْ نهاية قصيدة فى "هجاء البراءة" قائلة:

أسماء

تغوص فى اشتياق
فى الطين والعفن

د. يحيى

يا أسماء لماذا لم تذكرى النهاية على بعضها **"جحافل البشر"، كالدود الجذور، تغوص فى اشتياق، فى الطين والعفن؟** "ياشيخه لقد أزعجتنْى هذه النهاية أكثر من كل صدمة القصيدة، ولكننى مازلت متمسكا بها،

صغيراً، كنت اصطاد السمك فى مصرف بلدنا، وكنا نفحت فى الطين (النتن) لنخرج دودة الأرض نجعلها طعما للسنارة، ومازالت الرائحة تزكم أنفى ، وحين كنا نفعل كانت جذور الشجر والأعشاب تقابلنا ، ومن يومها وأنا أصاحب هذه الرائحة وأحترم الجذور ، وأرى جمال ما هو فوق الأرض من زهور وأوراق وشموخ أشجار .. الخ نابعا من هذه الرائحة وتلك الجذور، وألهمنى ذلك أصل الإنسان الرائع وكيف يغوص فى اشتياق هكذا، إن الإنسان حين ينفصل عن هذا الأصل يصبح ماسخا بلا طعم يا شيخه .

أسماء

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
لعلى أجد أحلى ما فى الكون براءة الأطفال، ولكن هذه ليست براءة، هذه جريمة .. كلمة براءة فى حد ذاتها تخبرنا أن الدنيا لسه بخير، البراءة للكبير قبل الصغير.

د. يحيى

بصراحة يا أسماء عندك حق، وكل الذين اعترضوا على قصيدتى هذه **"فى هجاء البراءة"** عندهم حق. لكن الشعر شعر، ربما قصدتُ أن أمسك بكلمة "البراءة" وأعرّيها (وليس أن أهاجم البراءة نفسها)، لأن هذه الكلمة قد أسئ استعمالها مثل كلمة الحب، وكلمة البراءة حين تفرغ من الفطرة التى تحتويها، تصبح شظية شائكة خبيثه ذات بعد واحد، وتصبح ماسخة، وسلبية، وربما (قاتلة سلبا أيضاً)، واستعمال "كلمة البراءة" على "العمّال على البطّال" يَكْثُر عند الضعفاء والمدّعين الذين بهذا الاستعمال الملتبس يقتلون البراءة الفطرية التى خلقها الله، ويشوهونها،

الفطرة شئ آخر، نحن لابد أن نقبلها كلها بزخمها، ووعودها، وفجورها، وتقواها، وهنا تتاح الفرصة للصراعات التى لا تُحَل بإلغاء أحد شقيها - كما ذكرتُ حالا للصديق محمد كامل- وإنما بدفع بعضها ببعض إلى ما بعدها، وكل ذلك يا أسماء أفتقده ونحن نتحدث عن البراءة الساذجة، فينتهى بنا الحال إلى ذلك الاستعمال السلبى للبراءة ، وهو ما هجوته فى القصيدة، إننا نخنق البراءة الحقيقية (الفطرة)، ببراءة الابتسام المجاملاتى، أو حين نفرض على الأطفال السجن فى منظومات جاهزة وصلبة وجامدة، بقصد حمايتهم أو تقويمهم.

أسماء: (إشارة إلى صداقتى لطفلَىْ **قصيدة "العقلة والإصبع"**)

... هو حضرتك عاوزنا نفهم إيه من كلمة أحدهما الآن مهندس وزوجته منقبة..

د. يحيى

يا أسماء ، لماذا لم تكملى "والآخر استشارى جراحة عظام فى انجلترا؟" أنا لا أقصد إلا ما وصلك، أو ربما لا أقصد شيئا، هذين الطفلين (أحمد وعلى) كانا أصدقائى، مثل أحفادى الآن، وكنت قد اعتدت منذ حوالى ثلاثين عاما أن نذهب

"نـتـفـسـح مـعـاً" (لا أفسِّحهم) وقـد اصطحبتهما فى جولـتى بميكروبـاس مع بقية أسرتى الصغيرة سنة 1980، فى تـلـك الـرحلة الـتى سجلتها مع سيرتى الـذاتـيـة فى تـرحالاتـى الـثلاثـة **(الـترحـال الأول "الـنـاس والـطـريـق") – (الـترحـال الـثـانى "الموت والحنين") - (الـترحـال الـثـالـث "ذكر مـا لا يـنـقـال")،** وكـان آخر لـقـاءلـنـا نحن الـثـلاثـة مـنـذ حوالى خمس عشرة عامـا فى قـهـوة (الأمفـتريـون) فى مصر الجديـدة، حين وعدانى "بـعـزومـة" عـلـى حسابهما حين يـتـخرجـان، ثم تـفـرقـت الـسـبـل، واحـد إلى الخليج فـإنجلـترا فـأكبر الـشـهـادات فـاستـشـارى هـنـاك، والآخـر فى مـصـر إلى عمـرو خـالـد، إلى إطـلاق الـلـحيـة وتـنـقـيـب زوجـتـه، وانـقـطـعـت صـلـتى الـظـاهـرة بـين هـذا وذاك، وإن ظـلـت المـودة بـاقـيـة، وهمـا لم يـوفـيـا بـوعـدهمـا أبـداً حتى الآن. تـرى هل هـذا يـردّ عـلـى تـسـاؤلـك ؟

لا أظن، أنـا أغيظك كمـا أغظتنى

أنـا يـا أسماء – غضبـاً عنـك- مـازلـت طـفـلا أبحث عن أطـفـال أصـاحـبـهـم وأتـعـلـم مـنـهـم ومـعـهـم، أطـفـال يـكـبرون دون أن يـتـنـازلـوا عن طـفـولـتـهـم، إنّ كـل (أو مـعـظـم) أصـدقـائـى الأطـفـال يـتـجـاوزونـى ويـتـجـاوزون طـفـولـتـهـم ويـشـيـخـون، فـأنـتـقـل لـلـجـيـل الـتـالى، وهـكـذا.

أصـدقـائـى الأطـفـال جـدا، لم يـعـودوا أطـفـالا أصلاً، تـركـونى طـفـلا غـريـبـا مـعـك، هل هـذا يـرضـيـك؟

أسماء

آلمـتـنى جـدا هـذه الـكـلـمـات: "هل رأيـتم طـفـلا يـقـضـم رقـبـة عصفـور وهـو يـضـحـك؟"

د. يحيى

هل آلمـتـك لأنهـا حـقـيـقـة تـريـديـن إنـكـارهـا؟ أم لأنـك تـألمـت لـلـعـصـفـور الـبرئ بـراءة الـطـفـل، ولا ذنـب لـه إلا أن هـذا الـطـفـل لـيـس بـريـئـاً تمـامـا كـمـا نحب أن نـتـصـوره أو نـصـوّره؟ لا نـريـد أن نخلط بين الـبراءة، والـفـطـرة، والـبـدائـيـة، تـعـالىْ نـسـمـع الإبـن أسـامـة وهـو يـتـسـاءل..

د. أسامة عرفة

هل هـو الـطـفـل؟ أهى الـفـطـرة؟ فـطـرة المـيـلاد قـبـل أن نـطـمـسـهـا ...؟ كل مـولـود يـولـد عـلـى الـفـطـرة ثم يـأتـى أبـواه فــ ....؟

د. يحيى

... لمـاذا لم تُـكْمِـل يـا أسـامـة؟ هل خشيت عـلـى إخـوانـنـا أهل الـكـتـاب؟ مـاذا لـو أكـمـلـت..، فـأهـلـه يـهـوّدانـه أو يـنـصـرّانـه أو يمـجـسـنـاه (من المجوس) ألم يـكـن هـذا أشجع؟ ثم إنى أعـتـقـد أن الحديث الـشـريـف لايـقـصـد - ديـنـا بـذاتـه – وإنمـا المـقـصـود هـو "يمـؤْسِسَـانِـهْ" (من المؤسسة) أى يجعـلـونـه تـابـعـا لمؤسسة ديـنـيـة ولـيـس سـاعـيـا إلى الله، وحين انـقـلـب الإسلام أيـضـا إلى مـؤسـسـة، فـيـمـكـن أن نـضـيـف دون أن نحشر مـا نـضـيـفـه فى الحـديـث الـشـريـف: أو "يُـمَسْلِمَـانِـه"، هـذا يـتـفـق أكـثر مع قـراءة أمـيـنـة لـلآيـة الـكـريمـة الـتى تخـاطب الأعـراب ...قـل لم تـؤمـنـوا ولـكـن قـولـوا

أسلمنا ".. المفروض - يا أسامة- أن الأديان جاءت ترعى الفطرة لتنطلق إلى غايتها - وجه الله - إبداعا لذاتها وتعميراً للأرض وتراحما بين خلقه، إن من يحمل مسئولية الفطرة، هو القادر على تنميتها...

د. أسامة

... هل ما نحتاجه فعلا هو تنميتها أم فقط عدم تلويثها وهى قادرة على إدارة صاحبها

د. يحيى

بصراحة سؤالك صعب وجيّد يا أسامة، ولكن دعنى أعلن لك مخاوفى من حكاية "الإدارة الذاتية"، لابد لأى كيان مهما بلغ نقاؤه وسلامة أصوله لا بد له: **من مساحةٍ، وسماحٍ، ومعالِمٍ، وحدودٍ، وقوانينَ** حتى يمكن أن يدير أمره بنفسه، ناهيك عن إدارة صاحبه. علينا أن نبحث عن ما يسمح بكل هذه الظروف استلهاما من الأصول فى ظروف الواقع الجارى، وليس تطبيقا للحروف المعجمية الجامدة، وعلينا أن يكون المقياس هو ما ينفع الناس ويمكث فى الأرض لا ما يُرْضِى المعاجم ويكبّل الفكر.

حين نأخذ كلمة **"طفل"** نبحث عن معناها فى القاموس، حتى فى قاموس العلوم النفسية، نجد أن لها معنى محددا فى سن محددة، أما حين نقرأها فى سياق تنزيل متكامل واضح الأهداف، جلى التوجه، فقد تلهمنا معان ومعان، سواء ما ذهبتُ إليه فى قراءتى للطفل الذى قتله مولانا الخضر، واختلافه عن الصغار الذى بنى لهم الجدار، أو ما جاء عن أى طفل فى التنزيل أو غيره، إن إشكالة قتل هذا الطفل ظلت تؤرقنى كما قلت فى المقال، حتى اهتديت إلى ما ذكرتُ هناك، لكن تعالى نسمع أولا رأى محمد ابن أخى فى هذه المسألة.

محمد

لم أقبل تأويلك (لقتل الخضر الطفل أنه قَتْلٌ للطفل الناشز داخلنا)

د. يحيى

عندك حق

محمد

لكننى أقبل طلاقة العلم اللّدُنّى الذى أباح للخضر قتل الطفل الذى سيرهق أهله طغيانا وكفرا

د. يحيى

لعلك لاحظت يا محمد دفاعى عن كل مناهج العلوم والمعرفة دون استثناء، بما فى ذلك العلم اللدنى، وهو مفهوم يحتاج التأنى فى الأخذ به كما يحتاج إلى محكات - ليست تقليدية بالضرورة - يقاس بها. أما وقد جاءت هذه الأقصوصة بذلك فى القرآن الكريم فليس من حقنا أن ننكر ألفاظ الحدث، ولكن من حقنا أن نخاف من سوء تلقى العامة لمغزى رواية الحدث، دون توخى الحذر فى استعمال هذه الخصوصية.

إن فـتـح الـبـاب لـلـتسليم الـغـامض الـذى يـصل إلى قـتـل طفل لمجرد كشف عبدٍ صالح من خلال علاقـتـه الخاصة بـربـه أنـه سيرهق أبـواه كـفـرا، أقـول أن نـلـقـى بـذلـك فى وعـى الـنـاس ثم نـقـول لهم إيـاكـم أن تـعـمـلـوا هـكـذا مـثـلـه لأنـكـم لـسـتـم مـثـل هـذا الـعـبـد الـصـالح قـد لا يـكـفـى، ومـن أدرانـا أن قـاتـلـى الأطـفـال، والـكـهـول، والـنـسـاء فى قـرى الجزائـر، لم يخدعهم من أوهموهم أن عـنـدهـم مـثـل هـذا الـعـلـم الـلـدنى، وأن هـذا الـعـلـم أوحى لهم أنهم بـقـتـلـهـم كـل هؤلاء الأبـريـاء إنما يـفـعـلـون ذلـك حتى يَـحـوُلـُوا دون هؤلاء المساكين الـعـزّل أن يـبـلـغـوا عن المجاهدين تجسسا وفـتـنـة، من هـنـا يـأتـى الخطر لـلـعـامـة.

فـإذا وصلنى أنـا مـعـنى آخر لـلـحَـدْث فـقـرأتـُه قـراءة أخرى من خلال خبرة الجنون الـذى أواجـه فـيـه هـيـاج المخ الـبـدائـى "الـطـفـل المـتـوحش" عـلـى كـل مـا هـو إنـسـانى نـاضـج، وأرى انـفـصـال هـذا المخ عن هـارمـونـيـة الـذات، والـكـون، ومـن ثم إعـاقـتـه لأيـة مسيرة تـكـامـل نحو الـكـون إلى الله، إذا أنـا رأيـت أن هـذا المخ الـطـفـلـى الـبـدائـى، أصبح شـديـد الـقـوة والخطر حتى يـسـتـحـيـل مـعـه أن تـتـم عـمـلـيـة الـتـكـامـل، فـمـن حـقـى -طـبـيـا- أن اثـبّـطـه حتى أشـلـه (أقـتـلـه) بـالمـهـدئـات الـعـظـيـمـة (الـنـيـورولـبـتـات) ثم أعـود لأروضـه، وأنـا أحـيـيـه حتى لا يـعـود طـفـلا مـنـفـصلاً وإنما جزءاً من كـيـانٍ نـامٍ يـتـخـلـق، لا أخـفـى عـلـيـك أن بـعـض الأطـبـاء-ربما كـمـا تـعـلـم- ممن لـيـسـوا بـالـضـرورة من عـبـاد الله الـصـالحين، يـسـتـعـمـلـون هـذه الـنـيـورولـبـتـات طـول الـوقـت طـول الـعـمـر، فـهـو قـتـل آخـر مـع سـبـق الأصـرار، دون أمـل فى إحـيـاء، لـقـد رأيـت مـن خـلال كـل ذلـك: احـتـمـال أن يـكـون المـقـصـود هـو "قـتـل الـبـدائـيـة فـيـنـا" إذا هـددت بـالانـفـصـال، ورفـضتْ أن نـُزَكّـيـهـا (نـنـمـيـهـا)، وشئ قـريـب من هـذا، قـرأت بـه طـاعـة اسماعيل لابـراهـيـم عـلـيـهـمـا الـسـلام وهـو يـنـفـذ مـا أوحـى بـه إلـيـه ربـه فى روايـة الأضحيـة، ثم فِـدْيـتـه بـالأضحيـة مما لا مجال لـتـفـصـيـلـه الآن.

مـرة أخرى لـيـست أخيرة، **هذا لـيـس تـفـسيرا عـلـمـيـا لـلـنـص، أنـا ضد خلط الأوراق كـمـا تـعـلـم، وبـالـذات ضد الـتـفـسير الـعـلـمـى لـلـقـرآن،**

هـذه مجرد وجـهـة نـظـر من حقـك أن تـأخـذ بها أو لا تـأخـذ، ويـا حـبـذا لـو لـديـك وجـهـة نـظـر أخـرى.

محمد أحمد

الأرجح (عـنـدى) أنهم (الـوالـديـن) هـم الـذيـن سيطغون ويـكـفـرون بـسـبـب ابـنـهـمـا هـذا، ولـيـس الـعـكـس، لم يـصمـد الـنـاس لـفـتـنـة الأولاد إلا عـبـاد الله المخلصين.

د. يحيى

يـا محمد يـا إبـنى أنـت ذهـبـت الـنـاحـيـة الأخـرى جـدا، الأولاد فـتـنـة فـعـلا حتى الـكـفـر إذا عـبـدنـاهـم من دون الله بـشـكـل مـبـاشر أو غير مـبـاشر، لـكـن لـيـس مـعـنى أن يُـفْـتّـَن الـوالـدان عن الـتـوحـيـد شـركـاً بـأبـنـائـهـم أن نـقـتـل هؤلاء الأولاد لـكـى لا يـفـتـنـونهم، مـا هـذا يـا أخى؟! إن تـفـسيرك يجعل أن "مـوضـوع

الشرك" هو المسئول عن شركنا، فإذا كان الموضوع هو الأولاد، فلتتخلص منهم، ما هذا؟ إنك هكذا تتجاوز حتى مبرر القتل العادى للشخص العادى.
ثم دعنى فى النهاية أبلغك تعاطف صديق للحوار معك وهو يطلب منى أن أخفف غلوائى عليك وهو الصديق د. كريم شوقى.

د. كريم:
أنا مبسوط أوى بكلام د. محمد أحمد الرخاوى ونفسى، أستاذنا يحيى يخفف عنه شوية فى الردود لأن السبب اللى خلاه يسيب مصر لاستراليا هو غالبا السبب اللى حايمشينى من مصر، وأنا باتفق مع الدكتور محمد إن مصر بلد بنت "................"

وده رأيي بصراحة وأرجو ما حدش يزعل منى

د. يحيى:
... يا كريم! يا كريم ، لن أقبل شرطك هذا ، أنا من حقى أن أزعل ونصف أنت لا تستطيع لا أنت ولامحمد ولا الجن الأزرق أن يحجر على مشاعرى ، وأنا لا أزعل من أجل مصر ، لأنها لن تستفيد من زعلى شيئا، ويمكنك أن ترجع إلى يومية 7-9-2007 **"بدال ما يثور يفِنّ"** وكلها من أولها لآخرها تقول **"ما هو لازم إنى أزعل".**

أنا لا أختلف يا كريم مع محمد فيما يراه من اغتراب العلم الغربى والمنهج الغربى وفى نفس الوقت رؤيته للتخلف والجمود والوثنيه فيمن يجمدون الاسلام عندنا فى أصنام فكرهم، ولكن دعنا نؤجل هذا الموضوع إلى الأسبوع القادم وأكتفى الآن بالإشارة لك إلى أن ترجع إلى موضوع كتبته سنة 1999 ونشر فى الأهرام وتجده فى الموقع

ثالثاً: هوامش ضرورية
نبدأ بالدكتور زكى سالم بعد شكره عن رأيه الذى يمدح فيه: **"طريقة عرضك للحوار بيننا حول التصوف.."**

ثم إنه أردف **"... ولعلنا نتمكن من استمرار هذا الحوار المثمر".**

د. يحيى
طيب يا زكى ربنا يخليك، كيف نتمكن من الاستمرار، وأنت لم تفتح ملف أية قضية جديدة بذاتها، أو تكتب تعليقاً على ما بدا أنه الاختلاف بيننا، أو تعلّمنا بعض ما عندكم مما لم يُثَر أصلاً، أو تشارك بعض المحاورين الذين ساهموا فى فتح ملف التصوف عامة؟ أنا فى انتظارك، أنا وكل مريدى شيخنا غالبا، وذلك فى مسألة التصوف وغير التصوف، أنت الذى كنت تعتبر أن شيخنا هو المتصوف الأكبر، دون أن يعترف هو بذلك، وأيضا ضد إصراره على أن التصوف ليس حلا، باعتبار أن الحل الذى لا يصلح لأغلب الناس، أعنى لكل الناس، ليس حلا.

نحن فى انتظارك

أما عن إشارتك لما نشر فى أخبار الأدب هذا الأسبوع (الماضى) فيما يخص الاستاذ والأوراق، فشكرا لتنبيهى، ولكننى اعتدت ألا أصحح مثل ذلك، والكراسات التى أشار إليها د. جابر عصفور ربما هى الكراسات التى كان يدرب بها الأستاذ يده لاستعادة الكتابة، وقد سلمتها كأصل للأستاذ الدكتور جابر عصفور بصفته رئيس لجنة الحفاظ على تراثه، وأستأذنته فى الاحتفاظ بصورةٍ منها (لعمل دراسة محتملة لاحقا)، وقد أذن لى بذلك ونشر هذا بدقة فى صحيفة الحياة اللندنية منذ شهور، ثم إنه قد كلف أ.د. عماد أبو غازى أمامى بعمل "ميكروفيلم" منها لمن شاء أن يطلع عليها لاحقاً، أما أن هذه الأوراق تحوى آراء الأستاذ فى بعض الشخصيات التى عرفها، فهذا ليس له أى أساس، لا أنا قلته، ولا هذا طابع الأستاذ أصلاً، ولا أظن أن هذا ما قاله د. جابر عصفور مقارنة بما نشره سابقا فى الحياة، وعن نفسى أنا لن أرسل تكذيبا، فأنا لم أعتدْ ذلك وهذا الكلام الذى أنشره فى "الموقع الخاص بى"، هو متاح لمن يشاء، أو إن شئت أنت أن ترسل ما تراه منه ضروريا لمن ترى، فلك كل الحرية أن تفعل ما بدالك.

ثم أنتقل إلى الإشارة إلى ما وصلنا عن مقالاتى عن الأستاذ، فأفيدك يا زكى أنه لم يأتنى غير تعليقك الأول. وتعليق الابن "رامى عادل" الذى أتردد كثيراً فى نقل آرائه حرفيا ربما لفيض طلاقته، لكن دعنى أثبت جانبا مما قال، فله دلالته:

رامى عادل

.... محفوظ رحل عنا من غير أن يستأذننا، وعتابك (وصلنى معلناً) نهاية علاقتكم المتينة، (ولكن) هل عشتما (معا) كل هذا الحزن والأسى، وهل أعمل مشرطه بداخلك كما تفعل أنت معنا ....، وكأنك تخاطب الموتى .. البعث أين هو وأين نحن منه.

د. يحيى

لعلك يا رامى تقصد بقولك **"عتابى لأستاذنا إذْ رحل"** دون أن يستأذننا تقصد قصيدتى فى رثائه **("لِمَ قُلْتَها شيخى "كفى" الدستور 2006/9/6)** أحسب اننى قلت فيها ما يؤيد رؤيتك، أما مسألة أنه أعمل مشرطة فىّ يعالجنى، فهذا صحيح، وتجدها فى مقال أمس **"تحت سفح الهرم" الحلقة الثالثة فى شرف صحبة نجيب محفوظ)**، القصيدة بأكملها تجدها فى الموقع، وأنا لا أعتقد أننا - الأستاذ وأنا- عشنا الحزن معاً إلا على أحوال البلد، فقد كانت حكمته ترياقا له ولنا، أما قولى فى القصيدة **"عفوا ومن ذا يشفى نفسى حين تختلط الرؤى أو يحتوينى ذلك الحزن الصديق فلا أطيق"** فهذا صحيح، وهو يدل على أنه أعمل مشرطه بداخلى فعلا بكل مهارة ومسئولية وحذق، لكننى لا أدعى أننا عشنا معاً الأسى الذى تقصده والحمد لله.

ثم إن علاقتنا المتينة لم تنته حتى بعد رحيله يا أخى، وإلا فما هذا الذى تقرأه الآن وأمس، أليست هى هى علاقتنا المتينة؟ قال رحل قال..؟ من قال هذا؟

أما بقية خطاباتك يا رامى، فأعذرنى أننى لا أستطيع نشرها كلها لأسباب أنت لابد تعلمها وهى التى تجعلنى أضع نقطا كثيرة مكان ما أحذفه من رسائلك، وأضيف كلمات بين أقواس كثيرة هى التى أضعها حتى أستطيع أن ألاحق كلامك وأوصله للناس..

وكل عام وكل المتحاورين - والناس- بخير، ما أمكن ذلك.

- وهى الجزء الثالث من ثلاثية (المشى على الصراط) وهى موجودة بالموقع وستصدر هذا الشهر من الهيئة العامة للكتاب؟!

السبـــــــت 13-10-2007

43- العيــــــد .. والنــــــاس.. والحـــــب.. وربنـــــا !

لأن اليوم هو العيد، وكل عام وأنتم بخير كان لابد أن أعيّد عليكم، فقررت - استثناءً - أن أهديكم هذه الأغنية **"للأطفال داخلنا"**، التى تربط بين العيد وبين إشكالة التواصل بين البشر التى نواصل الحديث حولها، و**"العيدية"**: هى حقكم فى السبق، لأنها هى هى التعتعة التى سوف تنشر فى الدستور الأربعاء القادم، إن ما تحمله هذه الأغنية - لى أساسا - من احتمال عرض ما نتصوره حلاً لهذا الإشكال عن التواصل البشرى هو فتح باب أبسط وربما أرحب لما يمكن أن يكون.

وكل عام وأنتم بخير، ونحن فى محاولة مستمرة .

[أغنية للأطفال داخلنا]

الناس للناس
والعيد بالناس
والناس بالعيد
وجديدْ فى جديدْ
طب ليه مش عارف أبقى سعيد؟
....
أصلها مش لعبة: بُوسَهْ وحُضْن
ولا "إنتَ إزيك" لتّ وعجنْ
داحنا علينا نستحمل بعض،
وناخدْها جدّ .
ماذا وإلا، مش راح تبقى
غير ضرب وعض
أو حضن قوامَكْ رزْع وهبد
....
....
زى ما عايزْ إنك تبقى جنى وطّيبْ
لازم أفهم إنك بتعوزنى قوى قرّيبْ
يا كدا يا بلاش نلعب خالص لعبة "عايشين"،
وحاتبقى المسألة كرْ وفرّ. مش بنى أدمين
***
أنا محتاج لكْ واقف كدَهُهْ ماسك روحك
آه، وانت كمان عايز إنى اسمع بُوحَكْ

أنـا محتـاجِ لـكْ تـفضل بَـرَّا يَـا لـكنْ شـايـفْ
آه، وانـتَ كمـان عـايـز منى مـا ابقـاش نـاشف
***
أنـا محتـاج لـكْ: مش جوايـا، حـاعْمِلْ يِـدَهْ إيـه؟!!
آه وانـتَ عـايـزنى افضَلْ بـرّاك، وحـاموت فـيك لـيه!!!؟
***
يـالـلا نـقرّب
يـالـلا نجرّب
نـدخل خـايـفين - نخرج آمْنِينْ
نـدخل آمْنِينْ - نخرج خـايفيْنْ
طب خـانخاف لـيه لـو ربـنـا فـيـنا احـنـا لِاتْـنِيْن؟؟!!
***
ربـنـا دا خَـلَقْـنَـاَ لْـبعضيـنَا
نـتلم "عـليـه"، نـنفضَ "عـليـه"، فـوقْ يـا أخيـنـا
***
يـالاّ نجرب تـانى وتـانى،
طب لـيه لأّه مـا هُـو حـلوانى
قـال لـك مين دا الـلّى جوه الـقصر؟
قـال لـك هوّا: إلـلى بـَنَى مصر!
***
آه يـا حلاوة وبـقيـنـا حلوين
لأ مش خـايـفين وحـانـعمـلـهـا، لأ مش سـائـلين
***
لـكن نـرجعِ مـا طرح مـاحْنـا إلا حـتة
تـفـضل حـتهْ، حـتهْ زيـادة، وكـمـان حـتهْ
***
يـا خبر يـا جدعْ.
دا حْـنـا كْـبِـرْنـا ،
ومـا كـانـشى دلـعْ.

*****

قـال الـشـاب لأختـه: كـل سـنـة وأنـت طـيـبـة

قـالـت الـبـنـت: يـعنى مـاذا؟

قـال الـشـاب: مـاذا جرى لـك؟ يـعنى هـذا

قـالـت: طـيـب، لمـاذا ذكـرتـنى بهـذه الأغـنـيـة بـالـذات هـكـذا الآن؟ لـقـد تـألمـت بـدلا من أن أفـرح.

قـال: أنـتِ الـتى جـعـلـتـيـنى أحـفـظـهـا، ثم إنهـا الأغـنـيـة الـوحـيـدة الـتى جـاءت فـيـهـا سيرة الـعـيـد، ثم ألم تـلاحظـى أن فـيـهـا حـاجـة.

قـالـت: حـاجـة مـاذا؟

قـال: ألـيـست هـى لـلأطـفـال داخـلـنـا

قـالـت: حصل

قـال: إسـألـيـهـم، يـقـولـون لـك "حـاجـة مـاذا"؟

قـالـت: أسـألْ مَـنْ

قـال: الأطـفـال داخـلـنـا

قــالــت: مـا الـفـرق بـين الأطفـال داخلـنـا، والأطفـال خـارجـنـا، لـقـد تـلـخـبـطـت

قـال: إيـش عرفـنى، الـظـاهـر إن الأطفـال داخـلـنـا لـيـسـوا أطفـالا

قــالــت: إذاً مـنْ هم

قـال: ألم تـلاحظـى "المسافـة"، و"إحـاطة ربـنـا"، و"الحركـة" "داخلـنـا" و"خـارجـنـا" و"حـوالـيْـنـا"

قــالــت: مـاذا تـقـول، أيـن هذا كـلـه؟

قـال: فى الأغنية

قــالــت: أنـت تخّرف.

قـال: بـل أكـثـر مـن ذلـك: ألم تـلاحظـى مـسـألـة "اجـتـمـعـا عـلـيـه، وافـترقـا عـلـيـه".

قــالــت: هـذا حـديث شـريف، إيـش أدخـلـه فى الأغـنيـة

قـال: ألم تـرددى "ربـنـا دا خـلـقـنـا لْـبعضـيـنـا، نـتـلـمّ عـلـيه نـنـفـضّ عـلـيْـه، ... فـوقْ يـا أخـيـنـا"

قــالــت: فـوق أنـت وبـطـلّ تـدخّـل المسـائـل فى بـعضـهـا

قـال: .... والأكـثـر مـن هـذا، هـل أخـذتِ بـالـك: "نـدخـل آمْـنِـيِنْ... نخـرج خَـايـفـيِنْ" وبـالـعـكس.

قــالــت: هـىّ مـاذا؟ محطة مـيـكـروبـاص!!

قـال: أنـا تـأكـدت الآن أن الحـركـة هـى الأصل

قــالــت: وافـرضْ دخـلـنـا ولم نخـرج؟

قـال: يـبـقـى الـبـقـيـة فى حـيـاتـك

قــالــت: طـيـب إفـرض خـرجـنـا ولم نـدخـل؟

قـال: يـبـقـى الـبـقـيـة فى حـيـاة الحب

قــالــت: طـيـب، نـعـمـل مـاذا؟

قـال: نـبـنى أنـفـسـنـا، مـثـل الـذى بـنى مـصـر

قــالــت: نحن فى الـعـيـد، طـيـب هـات حـتـه.

قـال: "حـتـة" مـاذا؟

قــالــت: حـتـة حلاوة

قـال وهو يـغـنى: "تـفـضـل حـتـهْ، حـتّـه زيـادْة، وكـمـانْ حـتّـة"

قـالـت وهى تـغـنى: "يـا خبرْ يـا جَـدَعْ دا حْـنـا كْـبـرْنـا، ومـا كـانْـشِ دلـع"

قـال: هل رأيـتِ كـيـف يـكـون الـنـمـوّ والـتـطـور!؟

قــالــت: إخـرس خـالـص، سـوف "تـبـوظـهـا"، الحمد لله أنـك لم تـلـعـن أبـو الحـكـومـة هـذه المـرّة

قـال: نحن فى الـعـيـد حـرام عـلـيـك

قــالــت: يـعـنى ألـيـس حـرام عـلـيـهـم مـا يـعـمـلـونـه بـنـا، حتى فى الـعـيـد، هـكـذا؟!

الأحـــــــد 14-10-2007

44-التحكُّـــــــمْ، والخــــــــوف مـــن فقـــــــدهً (3)

اللـعبة الـرابـعة

"سيـبان بـسيـبان ..، أنـا ممكن إنى ...... (أكمل)"

اللـعبة الخامسة

حتى فى الحلـم، أنـا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... لَـحْسَن.. (أكمل)

فى الحلقـة الأولى والـثـانيـة (بـتـاريـخ 3-10 / 10-10) عرضنا اللـعبات الـثلاث الأولى لحلقة (لعبة الـتحكم والخوف من فقده)

وكـانت اللـعبة الأولى (يـوميـة: 3 -10)

(1) يـا خبر دانـا لـو سبت نفسى يمكن ....

ثم الـثانيـة والـثالـثة (يـوميـة: 10 -10)

(2) لـو عارف إن حد حايستحملنى يمكن اسيب نفسى وساعتها ....

(3) أسيب نفسى بتـاع إيـه .. ده انـا حتى ....

***

ولـعل المتابع معنا يذكر كيف لاحظنا ما يمكن تـلخيصه فيما يـلى:

(أ) إن المشاركين اكتشفـوا فى أنـفسهم، وعنهـا، أكثـر مما كـانـوا يـتـوقـعون، ومما كـنا نـتصور

(ب) إن الأقـنعة الـتى نـغطى بها أنـفسنا لـيست شديـدة الإحكام كمـا نـتصور.

(ج) إن مـا نـتصور أنـه **"لا إرادى"** (يحدث من وراء ظهورنـا) هو إرادى نـسبيـا.

(د) إن الـتحكم بـدا ضروريـا حتى على حساب أشيـاء كـثيرة نـعرف بـعضها فقـط

(هـ) إنـنـا لـكى نخفف **"من الـتحكم"** نحتاج أن نطمئن أن هنـاك من يـسمح لـنـا، ومن يـتحمل معنـا، أو يـتحملنـا.

(ز) إن **"الاعتمـاديـة"** مخيفـة بقـدر مـا هى **"حق طبيعى"**

(ح) إن الخوف على الآخريـن من "الـسيـبان"، يمشى جنبـا إلى جنب مع "الخوف على الـذات"، مـنه أيـضا

(ظ) إن السيبان الإرادى - جزئيا - هو استعادة لمساحة أكبر من الحرية

(ط) إن **ضمان** التراجع عن "السيبان" هو مشجع للسيبان كمرحلة مؤقتة، أو طور متناوبْ

(ك) إن التحكم فى الذات هو دفاع طبيعى جيد، لزوم التعامل مع الآخر وحماية الذات أيضا

(ل) إن التغير الذى يحدث فينا فى "محاولات الكشف" هذه، قد يكون مكثفا فى زمن قصير جدا، وهو غير واضح المعالم، لكنه محتمل دائما.

***

مازلنا مع نفس الضيوف فى نفس الحلقة **"التحكم والخوف من فقده"**

السيدة: منى، كلية الفنون الجميلة
الأستاذ: فوزى، مدرس تربيه فنية
الأستاذة: سوزان، صحفية
والدكتور: هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

(**ملحوظة:** للمتابعة، خاصة لمن لم يشاهد اللعبة الأولى يمكن الرجوع للأرشيف ليومية (3-10) **"يا خبر دانا لو سبت نفسى .. يمكن .."**، يومية (10-10) **"من لعبة التحكم والخوف من فقده"، وكذلك الحلقة بالفيديو فى الموقع)**

***

اللعبة الرابعة: سيبان بسيبان .. أنا ممكن إنى .....

أ/ سوزان: يا دكتور يحيى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أسيبها على الأخر.**

د/ يحيى: أستاذه منى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أعمل اللى عمرى ما اتصور انى كنت أعمله**

أ/ منى: يا دكتور هانى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أخذ راحتى من كل حاجة بقى. أتكلم براحتى ، أغلط براحتى، أعمل اللى أنا عاوزاه.**

د/ هانى: يا أستاذ فوزى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى يفلت مني.**

أ/ فوزى: عزيزى المشاهد سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أطربق الدنيا على دماغى أنا.**

حوار بعد اللعب

د/ يحيى: انا شايف ان مساحة الحركة فعلا أوسع مما كنت اتصور .. الحمد لله .. حد وصل له حاجة جديدة؟.

أ/ فوزى: أنا وصلنى شك

د/ يحيى: شك فْ ايه

أ/ فـوزى: شك فى نـوعية الـسيبان الـلى أنـا محتاجها فعلاً يـعنى فى لحظة كدة شكيت: طب إيـه الـسيبان الـلى أنـا عاوزه مـثلا؟ أعيش آكل واشرب ومـا اشتغلش مثلا؟ ومش عـاوز يـبقـى فى ضغط كده فى الحياة والـدنـيا تـبقى سهلة كلـها ومفيش مذاكرة ومفيش إمتحانات ومافيش شغل؟ طب إيـه نـوع الـسيبان الـلى انـا عاوزه؟ أقـول رأيي فى نـوع الـسيبان ولا مش هو ده الـسيبان الـلى هو مطلوب يـعنى؟ شكيت فى نـوع الـسيبان الـلى أنـا عاوزة.

د/ يحيـى: انـت بقى وشطارتـك

أ/ سوزان: أنـا وصلنى إحساس مخالف أو معاكس ....، وصلنى فعلاً فى الـلحظة دى **(إنى)** أنـا حسيت إن الـسيبـان ده حاجة خطيرة ممكن تـبـوَّظ كل نـظام، لما الـواحد يـعبر عن إحساسه بحرية تـامـة وسيبان تـام، أنـا حاسة إن كل الحاجات حاتخش فى بـعضهـا.

د/يحيـى: بـينى وبـينك هو حاجة خطيرة فـعلا، بـرغم الحركة والـفرحة والمساحة، هـو بـايـن فى عمقـه حـاجة خطيرة، بـس حلـو بـايـن (عليـه).

أ/ سوزان: هوّا حلـو، هو لـذيـذ **(إنى)** أنـا أكـون عـلى حريـتى، بـس أنـا أعتـقد إن أنـا حاخش فى نـطاق الأخريـن، يـعنى أبـتدى أجرح حريـة الأخر ممكن.

د/ يحيـى: إنـتِ عارفـة حكايـة "حريـتى تـنتـهى عند بـدايـة حريـة الأخر"، أنـا مـا بـاحبـهاش أوى، هى طبعاً جميلة جداً إنما فـيـه علاقـة أعمق من كده شويـة.

أ/ سوزان: دى بـتبـقى الحب.

د/ يحيـى: (قصدى) يـعنى أنـا **(أقـدر)** أقـتحم حريـة الأخر على شرط أسمح لـه إنـه يـقتحم حريـتى، حايحصل دوائـر تـتـداخل بـطريقـة فـيهـا نـور، وفـيهـا تحمّل وفـيهـا ألم، انما "سيب وانـا اسيب"، وخلاص؟ يـبقى حنبقى ايـه؟،... عارفـه حكايـة حريـتك تـنتـهى عند حريـة الآخر دى: بـتبـقى عاملـه زى بِـلْىْ الـطساسات، أو بـلـيـاردو كُوَرْ الـبـلـيـاردو، يـروح يخبطوا فى بـعض ويـروح بـاعديـن، يخبطوا فى بـعض ويـروحوا بـاعديـن أنـا مـوافق عـلى الجانـب الإيجابى **(فى ده)**.

أ/ سوزان: والجـانـب الـسلبى؟ يـعنى حرامـى مـثلاً يـدخل فى حريـة الأخريـن يـسرق وقـتهم، يـسرق ممتـلكاتهم هاتـبقى كـارثـه

د/ يحيـى: لأ أنـا مـابـتكلـمش على السرقـة دى، أنـا بـتكلم إن فـيه علاقـة حميمة تـسمح أن يـقـتحم الـواحد حريـة الآخر، حتى يـصبح أكـثر حريـة (لـلاثـنين) من خلال ده.

أ/ سوزان: **(يـعنى)** بـسماح منّك؟!

د/ يحيـى: مش ضرورى **(ظاهر)**، إفرضى إنى جبـان وهو بـيحبنى أوى.

أ/ سوزان: دا كـده بـيقـتحمك.

د/ يحيـى: بـيقـتحمنى لـيَّا، الـنتـيجة إنـه يـقتحمنى لـيا، فـأقـتحمه لـه، فـنكبر إحنـا الإتـنين، تـبقـى مساحة حريـتنا أكبر زى

ما لعبنا سيبان بسيبان، لقينا الدنيا رحرحت، لكن مافقدناش حريتنا

أ/ سوزان: إحنا حسينا بالسعادة ساعة السيبان. أنا باقول القانون هوا اللى بيحكمنا، إحنا ساعات بنرفض القانون.

أ/ فوزى: يا دكتور إنت أثّرت فىَّ، فيه سؤال برضه من كلام حضرتك دلوقتى: هل التحكم فى النفس جبن؟

د/ يحيى: لأ ممكن يكون منتهى الحكمة، ثم يا أخى أولا إحنا هنا مابنصدرش أحكام ولا حِكَمْ ولا بنستشهد بأشياء تكتم على حركة الوعى/البرنامج ده فكرته الأساسية "لتحريك الوعى" وليس لإلقاء المعلومات أو التغطية أو الوصايا، هو لتحريك الوعى، فأنا ماقدرش أقولك ده غلط ودا صح، عمالين نشتغل بحيث كل واحد فى النهاية يبقى مسئول عن السيبان وعن قلته.

أ/ منى: أنا وصلنى من حكاية **"سيبان بسيبان دى"** أنها ممكن تعمل نوع من الهرجلة وعدم الإنضباط.

د/ يحيى: بس كان واضح إن الوعى بمساحة الحركة والقدرة عليها ده بيخلى التحكم أجمل وأسهل، غير لما ييجى من برة طول الوقت، طول الوقت/ لما باحس كده أنا رايح فين أقدر أقول "لأه"، كفاية كده، "مش دلوقتى".

***

الملاحظات والتعقيب

1- نلاحظ أنه أثناء اللعب بدا أن مساحة الحركة قد تخطت حدود المتوقَّع (عموما) (**سوزان: أسيبها على الآخر**) - **(د. يحيى: اللى عمرى ما اتصور أنى كنت حاعمله)** - (**منى: آخذ راحتى، من كل حاجة بقى)**

2- كما لوحظ أنه مع تمادِى الانطلاق ظهرت بوادر الحذر (هانى: أنا ممكن أنى يفلت منى)

3- وحين ينطلق الداخل أكثر نتيجة لهذا السماح. بما فى ذلك من احتمال عدوان أو تحطيم، يظهر ميكانزم الارتداد إلى النفس (**فوزى: أطربق الدنيا على دماغِى أنا**)

4- لم تكن آراء تلك التى عرضها اللاعبون بعد نهاية اللعبة مباشرة/ بل كانت أقرب إلى مناقشات ساخنة نسبيا، وصريحة، وشارحة أحيانا.

5- ذكر "فوزى" فى المناقشة ما يدعِّمُ ما أشرنا إليه فى الحلقة السابقة، من: أن ما يتحرك فى وحدة الزمن الصغيرة (أثناء اللعبة أو بعدها) هو أكثر مما نتصور، فقد مرّ أمامه شريط التساؤل عن "إيه السيبان اللى أنا عايزه" من أول تحقيق الحاجات الأولية (الأكل والشرب) حتى حرية إبداء الرأى، مرورا بالمذاكرة والامتحانات، وأيضا فوزى تساءل عن "نوع السيبان".

6- طالت المناقشة بين سوزان، ود. يحيى لدرجة غير مألوفة، (وغير مفيدة غالبا لشدة المباشرة فيها) إلا باعتبار ما يمكن ان يصل للمشاهد من تلك المناقشة النظرية، يجوز!!

7- بدأت **سوزان** بالشعور بالخوف من السيبان، **"حاجة خطيرة ممكن تبّوظ كل نظام"**، ومع ذلك فقد اسمته **"يعبر عن إحساسه بحرية"**، لكنها ألحقت بذلك: **"أنا حاسه كل الحاجات حاتخش فى بعضها"**.

ثم فى نهاية النقاش عقبت عن الشعور بالسعادة ليس بالنسبة لها فقط، وإنما للجميع "إحنا حاسينا بالسعادة ساعة السيبان" (ثم أعقبت) أنا بأقول **"القانون اللى بيحكمنا، إحنا ساعات بنرفض القانون"** كانت وكأنها تلحق نفسها بتذكر القواعد المحكمة.

8- ما بين بداية مناقشة سوزان وتعقيبها النهائى، دار الحوار حول الحرية، فنبه د. يحيى كيف أن ما هو مخاطرة يمكن أن يكون هو هو حلواً، (شئ اشبه بـ: **مافيش حلاوة من غير نار**)، فتُوافِقُ سوزان بسهولة تبدو إشارة أقرب إلى ما هو حرية الطفل **"هو لذيذ أن أكون على حريتى"** ثم تتحفظ خشية جرح حرية الآخرين.

وهنا ينبرى **د. يحيى** - محقا أو مخطئا - يعلن موقفه الشخصى، فهو يرفض تلك المقولة الشائعة أن: **" "** ويشبهها بعلاقات كرات البلياردو.

الإشكال الأخطر لم تحلّه المناقشة بوضوح وهو علاقة **"التحكم" ... "بالحرية"**. وما هى الحدود التى يمكن أن توضع لضبط تناسب الجرعة بينهما، مع الوضع فى الاعتبار كف إيذاء الآخر.

9- الذى لم يتضح فى المناقشة هو مسألة اقتحام حرية الآخر بإذن خفىّ منه، فى مقابل السماح لهذا الآخر ان يقتحم حريتى لى، سعيا إلى علاقة أعمق، **هذه مسألة ليس لها حل سهل**. إن **"الحرية الظاهرة"** التى تضع الحدود المعلنة ليست هى كل الحرية، كما أن حرية الداخل الغامضة، ليست مضمونة بحال، نستعمل كلمة الحرية هنا ليس **"بمعنى التنازل عن التحكم"**، وإنما أيضا بمعنى احترام **"حريتى الأخرى"**، التى تنشط فى مستوى آخر، غير الوعى الظاهر، فى هذه الحالة عادة ما لا تنتهى الحرية عند حدود حرية الآخر، بل تتجاوز هذه الحدود، إلى حرية محتملة أعمق، حرية تنادى هذا الآخر بتجاوز حدود الظاهر، وفى تعبير د. يحيى **"أنا اقتحم حرية الآخر على شرط اسمح له أن يقتحم حريتى"**، لكن لم يظهر بوضوح أن هذا الاقتحام هو اقتحام للحرية الظاهرة فحسب، وليس للحرية المطلقة بكل مستوياتها، والذى قد يحل هذا الإشكال - الذى ليس له حل - هو السماح المتبادل باقتحام حريتى الظاهرة أيضا، نتيجة المغامرة كما يصورها د. يحيى هى أنه **"حايحصل دوائر تتداخل بطريقة فيها نور، وفيها تحدّ، وفيها** ألم" وربما هذا هو ما التقطته سوزان دون تفسير **"...بتبقى الحب"** قبل أن يشرح د. يحيى وجهة نظره هذه، لكن سوزان تتراجع خوفا من حكاية الاقتحام هذه، بأنها "سرقة" ما دامت دون إذن صاحبها.

يرفض الدكتور يحيى أن يعتبرها ببساطة سرقة، لأن هناك سماح ضمنى متبادل، بل إن د يحيى يضع احتمال أن تكون مغامرة تكسر **"ترددى الخارجى وأنا اسمح للآخر باقتحامى"**، كما سمح لى باقتحامه، يبدو هذا فى شرحه "(هو) بيقتحمنى لى (ليّا) النتيجة إنه يقتحمنى لى فأقتحمه له، ...... احنا الاثنين (نتحرك) تبقى مساحة حريتنا (أوسع)، زى (ساعة) ما قلنا **"سيبان بسيبان لقينا الدنيا ..."**

10- لا يصل هذا الموقف "عادة" للذين يتعاملون مع التركيب البشرى على أنه **"تواصل على مستوى واحد"**، المستوى الظاهر فحسب، إن تنظيم قواعد ما يسمى "الحرية" بالنسبة للمجموع إنما يتم على مستوى **"ألفاظ القانون"** أو **"كلمات المواثيق المكتوبة"**، وبديهى أنه لا القانون ولا المواثيق تسمح بهذه المخاطرات الحميمة التى تسمح بأن تنتقل عملية **"اتخاذ القرار"** من مستوى حرية، إلى مستوى آخردون صراع مباشر، حتى تتحقق حرية أشمل من خلال **توالى وجدل قرارات المبادأة من مستوى إلى مستوى بنشاط متصل**، إن هذا المستوى الاقتحامى ظاهرا، يبدو نوعاً من مساعدة الآخر فى كسر فرط تحكمه فى ذاته، خوفا من خطر السيبان، الذى قد يظهر الإرادات الأخرى.

11- يأتى تدخل **فوزى** هنا ليعلن هذا الاحتمال فى سؤال يقول **"هل التحكم فى النفس جُبْن؟"** فيأتى تحفظ د. يحيى بالإمتناع عن إصدار الأحكام ليؤكد أن الهدف من اللعب أساسا هو تحريك الوعى.

12- ثم يأتى تعليق "منى" تحذيرا من هذه المخاطرة من حيث أن تخطى الحواجز "سيبان بسيبان" هو ليس إلا نوعا "من **الهرجلة وعدم الانضباط"**.

13- يضيف د. يحيى ما يشير إلى أن إشكالة حركية **العلاقات المتعددة المستويات** هذه، ليست فى الالتزام بما هو **"حَدّى و حَدّك"**، وإنما هى أعم وأعمق، فهى ترتبط **بمساحة الحركة، والقدرة عليها** وأن هذا يجعل التحكم **"أجمل وأسهل"**، **"غير لما ييجى من برّه طول الوقت، طول الوقت"**، بمعنى أن يصبح التحكم هو نتيجة للسماح وليس استجابة للقهر، ربما يكون هذا تفسير ما اختتم به د. يحيى المناقشة **"لما باحس بكده"** (بمساحة السماح والقدرة على الحركة معا) **"أقول أنا حاروح فين بقى، لأ كفاية كده دلوقتى"**.

تعقيب ختامى

طبعا هذه المنطقة كلها من أصعب ما يمكن، فالاستسهال جاهز، والتبريرات بلا حصر، لكن إذا كنا نريد أن نحترم الطبيعة البشرية كلها بكل مستوياتها، فعلينا أن نواصل السعى إلى احترام تعدد المستويات، وذلك بالسماح بالإنصات إليها معا، بديلا عن اختزال الوجود البشرى، إما إلى المستوى **"اللفظى/القانونى/الاجتماعى/الظاهر"** أو استقطاب التركيب البشرى إلى صراع تقابلى، لابد أن ينتصر فيه أحد طرفيه، فينفض الاشتباك على حساب النمو الخلاّق.

إن تفاعل حريات أربع أو ست أو أكثر مع بعضها فى مساحة كافية من السماح والمسئولية، يمكن أن يكون هو الذى يسمح بحركية فطرة الكيان البشرى فى محاولاته للتواصل الواعى المتداخل، الذى تنمو معه الحرية الحقيقية بقدر ما تتسع مساحة السماح المسئولة.

اللعبة الخامسة

حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... لَحْسَن.. (أكمل)

أ/ منى: يا دكتور يحيى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أنفذّه فى الحقيقة.**

د/ يحيى: يا دكتور هانى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أحلم باللى مش عاوز أحلم بيه وأشوف أكتر ، يمكن ماستحملش.**

د/ هانى: يا مدام سوزان حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أبقى محتاج كل شوية، أبقى محتاج الحلم زى مايكون الحلم بقى إدمان يبقى موجود .كده ماسيبش نفسي.**

أ/ سوزان: يا أستاذ فوزى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أصدقه.**

أ/ فوزى: عزيزى المشاهد حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أصحى من النوم.**

حوار بعد اللعب

د/ يحيى: حد وصل له حاجة جديدة.

أ/ فوزى: انا فعلا أكتشفت إنى ماباسيبش نفسى على راحتها إلاّ فى الحلم بعكس اللعبة.

أ/ منى: فى الحلم أنا مقدرش أتحكم فى نفسى، أسيب نفسى بالعافية.

د/ يحيى: إيش عرفك؟

(**عموما**) اللعبة فقست حاجة علمية صغيرة، ... **إن الحلم إتهيأ لك إنك انتَ مش (بتشكله)،** إنما اللعبة سرقتْنا احنا الخمسه علشان تورينا **إن جُوّه الحلم فيه إرادة ما،** وحدود ما، ومساحة.

امتلأت المناقشة بعد ذلك بشرح وجهة نظر د. يحيى فى مسألة الأحلام، وكيف أن فى الحلم إرادة ما، وقد فضلنا ألا نثبت هذا التنظير المطوّل، إذْ ليس من المألوف فى اللعبة، ولا هو مفيد، أن يجرى التنظير بهذه الإطالة، مقارنةً بما يمكن أن يصل إليه المشاركون من إضافة للوعى من خلال تفاعلهم، هذه الإطالة فى التنظير بدت لى الآن أشبه بالمحاضرة فحذفتها.

نكتفى هنا بالتعليق على اللعبة نفسها دون التوقف عند المناقشة فنلاحظ:

1- أن **مُنَى** اعتبرت أن الحلم **"واقع آخر"** له حق المثول مثل واقع اليقظة، وعلى ذلك فقد خشيتْ منه أنه إذا تجاوز حدوده، أن يخرج إلى حيز التنفيذ فى حالة الصحو!! وهذا احترام ضمنى للحلم **"كواقع آخر"**!

2- **د. يحيى** اعتبر فى استجابته أن الحلم هو عملية كشفُ لمساحة لابد أن نخطو فيها بقَدَرْ، حتى لا تصل الرؤية - فى الحلم ومن الحلم - إلى أكبر من قدرة بصيرتنا أن تتحملها.

3- **د. هانى** احترم دور الحلم فى تحقيق الجانب الآخر من وجوده أو كيانه أو غائيته، فوضع حداً لذلك، حتى لا يحل وعى الحلم محل وعى اليقظة الواقعى ويأخذ مساحة ويتكرر بدرجة أكبر من القدرة على استيعابه أو الجدل معه.

4- **سوزان** اعطت الحلم قوة الحضور الواقعى أيضا، تلك القوة التى قد تصل إلى درجة قبوله واقعاً صادقا آخر " .. لحسن أصدقه".

5- **فوزى** أراد أن يسمح للحلم أن يتمادى براحته، تحت مظلة النوم، حتى لا يكون هو (فوزى) السبب فى إجهاض الحلم ولو بقطع النوم.

التعقيب

لو أننا أهملنا كل هذه الإستجابات التى تشير إلى "طبيعة الحلم كعملية" قبل أن يكون محتوى، فلربما تركز اهتمامنا فى أن نسأل عن حلم بذاته، وماذا فيه، وكيف، ثم رحنا نبحث عن تفسيرات تقليدية له، إذن لما أمكن أن نخرج من كل ذلك بإضافة معرفية لها قيمتها فى فهم **ظاهرة الحلم فى ذاتها**، كما تم الكشف عنها من خلال هذه اللعبة البسيطة باعتبار أنها حياتنا الأخرى التى لها حضورها وقوانيها ودورها فى الإيقاع الحيوى والوجود.

إن الاتجاهات التى يتبناها **"فرض د. يحيى عن الأحلام"** تشير إلى **أن الحلم ليس هو أساسا الذى نحكيه عندما نستقيظ، وإنما هو النشاط التشكيلى الدورى الذى يجرى فعلا أثناء طور النوم الخاص** به، أنه **يتم بنوع من الإرادة لا مجال لتفصيله هنا**، وقد جاءت هذه الاستجابات كلها تتكلم عن الحلم كممثل لهذا النشاط دون أية إشارة إلى محتوى حلم بذاته له أحداث، ومسرح، وصور، وتسلسل.

يمكن أن نستلهم من هذه اللعبة ما نكرر التركيز عليه من ضرورة إعادة النظر فى الوقوف عند الحلم المحكى، وبالتالى الاستغراق فى تفسيره سواء التفسير الشعبى، أو التفسير الدينى، أو التفسير التحليلى النفسى (الفرويدى خاصة).

ويمكن الرجوع إلى شرح بعض ذلك فى الموقع فى (**حركية الوجود الحيوى وتجليات الإبداع - فصل الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع")** وقد عرض أيضا بالشرائح فقط للأسف، شرائح ليست محكيه **"الحلم والإبداع (مثال: الشعر) والجنون".**

وبـعــد

إننا لو سألنا أى من المشاركين كيف اسُتُدِرج إلى الإجابة هكذا **باعتبار أن له دوراً إراديا** - على مستوى ما من الوعى - فى توجيه مسار الحلم، أو تشكيله، أو وضع حدود له، أو ضبط جرعة السماح التى تنطلق منه، **لأنكر الجميع أنه له أى دور فى أى من ذلك، لكن اللعبة أظهرت بطريق غير مباشر طبيعة دورنا فى صناعة وتشكيل الحلم الحقيقى،** وليس فقط الحلم المحكى (الذى نؤلفه نحن أيضا ولكن مما تبقى من حركية التشكيل على سطح وعى الحلم لحظة الاستقياظ وقبلها وبعدها)

المأزق والتحدى والاعتذار

طبعا، وجدت صعوبة شديدة أثناء إعداد هذه اليومية، وأنا أحاول أن أحدد المتلقى الذى أوجه له الخطاب عن ما وصلنى من مغزى هذه الاستجابات التلقائية البالغة الدلالة، هل أنا أقدمها أساسا للزائر العادى غير المتخصص، وهل هذه اللغة مناسبة؟ حينئذ قفز لى تبرير يقول: "ومن قال إن محتوى الموقع (أو مجلة الإنسان والتطور - أو حتى هذه النشرة اليومية) هى أساسا للزائر غير المتخصص، فسألت نفسى، فهل أنت تقدمها لزائر متخصص (فى الطب النفسى أو علم النفس أو ما شابه)؟ وإذا بى أنفى ذلك أكثر وأنا أتصور أن الصعوبة تزداد، أضعافا مضاعفة، فقد تعلمت من واقع محاولاتى المتعددة الأشكال أن الشخص العادى هو أقرب إلىّ كمتلقٍ من أى متخصص إلا ما ندر.

وحتى الآن، أنا لم أجد حلاً لإشكالى هذا إلا أن أعتذر لهؤلاء وأولئك

ثم أروح أكرر واشرح أكثر كلما أتيحت لى الفرصة،
وأستمر.
هل عندكم حل آخر؟

الإثنيـــــــن 15-10-2007

45-بعــــــض وصـــــف بعـــــض مصــــــــر (1)

من ملف القيم والأخلاق فى مصر الآن

منهج للبحث العلمى يقوم به الشخص العادى لفحص القيم السائدة والواعدة:

1) نبدأ بالكلمة التى تصف القيمة المعنية (سلبية أو إيجابية أو واعدة) أو غير ذلك،

2) ننطقها، نتأملها، ونحسن الانصات لرنينها داخلنا،

3) ثم نتلفت نتابعها بأى قدر من الحدْس والأمانة : فيما حولنا وفيمن حولنا،

4) ثم نرجع إليها لنعيد النظر فيها، ونتحاور، أو لا نتحاور

5) ثم نتحمل مسئولية النتائج

ولكن لنبدأ من البداية (يمكنك أن تقرأ هذا الموضوع على أنه من باب الفكاهة! أو كما تشاء)

فى ثلاث يوميات متتالية (23 - 24 - 25 سبتمبر) قدمنا عناصر كتاب، أو **"معجم"** ما أسميناه **"بعض وصف بعض مصر"**، وقد أشرت فى أول يومية (23-9) **"بعض" وصف "بعض" مصر!!** 2007 (1) إلى **"بعض"** المصادر التى يمكن أن تكشف لنا **"بعض"** ما يجرى **"هنا والآن"**، لعلنا نسارع بتحويره، أو تعديله، أو حذفه، أو مواجهته، أو تطويره، أو كل ذلك لإطلاقه إلى ما يعِـُد به، وفى **اليومية التالية** (24-9) **"بعض" وصف "بعض" مصر!! 2007 (2)** عرضت الفهرس الذى بلغ تسعة عشر فصلاُ، وكان الفصل **الثامن** بعنوان **الأخلاق فى مصر**، أما **اليومية الثالثة** (25-9) **"بعض" وصف "بعض" مصر!! 2007 (3)** فكانت عن بعض معالم الفصل الأول بعنوان **مصر: أين هى الآن**؟ ماذا هى؟ إلى متى؟ ثم حدث ما جعلنى أبدأ الآن هنا بتبين معالم الفصل الثامن عن **"الأخلاق"**.

كنت أقلّب فى آخر عدد من **أعداد "الإنسان والتطور" الورقية (إبريل 2000 - يوليو 2001)** فوجدت ملفا كاملا عن **"إشكالة الأخلاق"** وقد تناول موضوع الأخلاق عامة، وصعوبة تعريفها وتصنيفها كما كان التركيز على ما سُمِّى بـ **"الأخلاق الجامعية"**، بمناسبة حادث بشع حدث فى كلية **الآداب جامعة**

القـاهرة قسم علم الـنفس آنذاك، وقد حاولـوا أن يغطوا دلالـة هذا الحادث بعقد نـدوة عن **"ميثاق الأخلاق الجامعية"**، وقد ضم هذا الملف موضوعات متعددة يمكن الـرجوع إلـيها لمن شاء فى موقعها.

وحين تـوقفت عند موضوع فى هذا الملف بعنوان **"منظومة الـقيم تـتغير"**، انـتبهت إلى الـفعل المضارع **"تـتغير"**، وربطته بـالـعنوان الـفرعى لـلكتاب المزعوم مـاذا **"يحدث"** لـلمصريين الـيوم، فـانـتبهت أكثر لإصرارى على استعمال الـفعل المضارع **يحدث**.

نحن لسنا فى حاجة أن نعدد **ما حدث، وما طرأ، وما جرى،** بقدر ما نحن بحاجة إلى مواكبة الـتغيير الجارى: الـتعرف عليه أولا ثم الـنظر فى تـنويعاته وتشكيلاته المحتملة.

منذ صدرت يـومية الإنسان والـتطور هذه منذ ستة أسابيع، ونحن نصر على الـدعوة لـلمشاركة، وقد وجدت نفس هذه الـدعوة مـوجودة بشكل صريح تحت هذا الـعنوان الـذى أشرت إلـيه حالا فى آخر عدد فى الإنـسان والـتطور 2001، دعوة لـلقارئ أن يـدلى بـرأيه فى تقسيم يعرض الـقيم الـسائدة بشكل نقدى، فقدّرت- بعد هذا الـتطور الـتقنى - الـذى سمح بصدور هذه الـيومية، أن أعيد طرح المـوضوع على زوار المـوقع، وبخاصة أصدقاء هذه الـيومية، وذلك بـأن أقدم الـفرض والـتقسيم المقترح لمنظومات الـقيم فى شكله المُجدول، وذلك بعد تحديثه بما استجد من آراء ومراجعة خلال هذه الـسنوات المنصرمة.

أما حكاية **الـشخص الـعادى والـبحث الـعلمى**، فأنا لا أذكر مَــن الـقائل (لـعله أينشتاين) ما معناه: **إن الـعلم أشرف وأعمق من أن نتركه لـلعلماء**، ومن كتاب (**سبع تجارب قد تُحوّل وجه الـعالم لـــ روبـرت شلدرايك**) وصلتنى فكرة كيف يمكن لـلشخص الـعادى أن يقوم بـبحث علمى منضبط، فراجعتُ الـفرض الـذى جاء تحت هذا الـعنوان: **منظومة الـقيم تـتغيّر**، وقلت نقوم معا بـبحث علمى بـالمنهج الـسالف الـذكر فى المقدمة.

الـفـرض

يقـول الـفرض المقترح

أ) ثمة أخلاق وقيم حسنة الـسمعة (مثل الـتضحية، والـبراءة، والـثبات على المبدأ، والحرية المعلنة،.... الخ)، يمكن أن يـكون عمرها الافتراضى، *بما هى كما هى "هنا، والآن"* قد انـتهى، وبـالـتالى فهى تحتاج إلى تعديل او تطوير أو إلـغاء أو إحلال وهذه تمثل **"المجموعة الأولى"** الـتى أسمينـاها **"فضائل تحتاج إعادة نظر"**.

ب) تـوجد **"مجموعة ثـانـية"** تمثل عادات وشعارات راحت تُـتَداول وتـتزايد حتى كادت تصبح جزءاً من نسيج وعينا الجديد دون أن نـنتبه بـدرجة كافية إلى أنها رذائل اصلاً، وقد أسمينـاها هنا **"رذائل كادت تصبح فضائل مستحبة"** (وذلك مثل الـشطارة جدا، والاحتكا، والـتعصب ...إلخ)

جــ) كما تـلوح **"مجموعة ثـالـثة"** (تبدو الأهم ومع أنها الأكثر نـدرة)، تـشمل قيماً جديدة جيدة، واعدة، وإن كانت

غامضة (غير مألوفة) لكنها تتخلق حاليا، خصوصا بين الشباب، حتى لو لم نلاحظها بوضوح، حتى لو كانت شديدة الندرة، وهى تحتاج أن نرصدها، ونرعاها، وننميها، ونحيطها، ونختبرها، وننتظر منها وعودها، مهما طال الزمن، حتى لو بدا ذلك أقرب إلى التفكير الآمِل، وقد أسيناها **"فضائل وقيم تتخلق"** (مثل فضيلة الدهشة وفضيلة الجمال وفضيلة الإبداع... إلخ)

****

وفيما يلى الجدول المبدئي الذى تراءى لى منذ سنة 2000 عن كل مجموعة، وذلك بعد أن تمت إضافات ليست قليلة، وجرى تحديث محدود:

المجموعة الأولى:فضائل (كاد) ينتهى عمرها الافتراضى (لإعادة النظر)
1- الثبات على المبدأ
2- 'أنصر أخاك ظالما أو مظلوما'
3- البراءة المثالية البدائية (نكوصا)
4- الفخر بالوساطة (وبالوصول)
5- مسايرة الجماعة (جدا)
6- الفخر بالنشر (للنشر)
7- الجوائز (فى ذاتها لذاتها)
8- احتكار جنات الله تعالى
9- "تقديس" تراب الوطن (لا المواطنين)
10- التضحية المثالية.
11- اللقب العلمى (دون علم حقيقى)
12-التميّز الفئوى الطبقى (العنصري)
13- السلامة أولا
14- الوسطية التوفيقية (التلفيقية)
15- حقوق الإنسان (المكتوبة)
16- الديمقراطية (خاصة بالإنابة)
17- التضحية (جدا)
18- النفس المطمئنة (الساكتة الساكنة)
19- العلم/"دينا" (وتكفير ما ليس كذلك)
20- الحب الإمتلاكى
21- الحب التلاشى
22- فرط الذكورة الفحولية
23 - جمال الأنوثة الغنِجَة (النِّسْوَنَة)
24 - الاستشهادات بكلام المهمّين (حالا أو تاريخا)
25- التحدث بالأمثال والحكم السائرة
26 - النصح والإرشاد (بشكل مباشر)
27- النقد بسبّ الغرب (عمّال على باطال)
28- النقد بسبّ سلبياتنا (عمّال على بطال)
.... إلخ

المجموعة الثانية : رذائل (عادات) كادت تصبح فضائلا (للمواجهة)
1-الغش الفردى (بوعى أو بدون)
2- الغش الجماعى (الأسَرى خاصة)
3-الشطارة (طول الوقت)
4- التهرب من الضرائب
5- البحث العلمى المصنوع
6- البحث العلمى الزائف
7- الاقتباس (دون إذن)
8- الشللية (جدا)
9- الاستسهال
10- حذق التزوير
11- الدين الَحـْرفى (التعصب)
12- العزوف عن القراءة
13- الاحتكار فى التجارة
14- التفنن فى "اللاعمل"
15- الكسل
16- التشهيل
17- التأجيل (إن شاء الله سلبا)
18- التفويت
19- الطَّنْبلة (التطنيش)
20- الاستهلاك (والفخر به)
21- فن ملء الوقت "باللا شئ"
22- التوقف عند السببية الحتمية
23- العزوف عن السياسة
24- الاستغراق فى التاريخ
25- الاستسلام لحرفية التراث
26- التسليم الأعمى للأرقام الجامدة
27- تصديق الرواية الشفاهية بلا نقد
28- التخلى
.... إلخ

المجموعة الثالثة: فضائل وقيم تتخلق... (للرعاية والتنمية)
1- فضيلة الحيرة الطازجة
2- " المخاطرة المبدعة
3- " الحس النقى (المتفتح)
4- " الإتقان
5-" الوعى الممتلئ (الممتد)
6- " الجهل المعرفي
7- " الإنصات
8- " التلقى المبدع
9- " "تأجيل الحُكْم"

10- " الاقـتـحـام المسئول
11- " الحوار بـالجسد
12-" الـعمل الـبدنى (والـيـدوي)
13- " الحركة (**جسدا وتـرحـالا**)
14- " الـصمت المتكلم
15- " الـدهشة المـتجددة
16- " تحمّـل الـغموض
17- " احتـواء الـغموض
18- " الحيرة الخلاقة
19-" ذكـاء الـسؤال
20- " وضع الـفـروض
21- " نـقد الـفـروض
22- " نـقد الـذات
23- " الـقـدرة عـلى تـغيير الـرأى
24 - " صنع الجمال
25- " الـتمتع بـالجمال
26 " الإبـداع المنتـَــج
27- " إبـداع الـتلقى
28-" تـقمص الآخر(**لـقـبـولٍ أصدق**)
.... إلخ

تـنبيه

إن كـل قـيـمة من هذه الـقـيم، سلـبـية أم إيجـابـية، يمكن أن تجد لها تـعريـفـاً فى معجم، أو مـوسوعة، أو شرح فى/مـَــن "الـنت"، أو فى كـتـاب مـتخصص مـثـل "فـن الحب" أو "قـبـول الآخر"، أو "الأسس الـنفسية لـلإبـداع" .... أو غير ذلـك ومـثل ذلـك،

ومـع كـل الاحترام لـكل الـتـعريـفـات والاجـتـهـادات، إلا أن هـذا لـيس مـبحثـنـا تمـامـا، ولا هو مـنـهجنـا أصلا.

هـذا بحث علـمى يـقـوم بـه الـعـامـة الجهـلة أمـثـالى

مـرة أخرى (بـعد أن عرضنـا مـا تـيـسر) نـعيد الـتـذكـرة بخطوات الـبـحث:

1) نـبدأ بـالـكـلـمة الـتى تـصف الـقـيمة المعنـية (سلـبـية أو إيجـابـيـة أو واعدة) أو غير ذلـك،

2) نـنطقـهـا، نـتـأمـلـهـا ونحسن الانـصات لـرنـيـنـهـا داخلـنـا،

3) ثم نـتـلـفـت نـتـابـعـهـا بـأى قـدر من الحدْس والأمـانـة فـيـمـا حولـنـا وفـيـمن حولـنـا،

4) ثم نـرجع إلـيـهـا لـنـعيد الـنـظر فـيـهـا، ونـتحاور، أو لا نـتحاور

5) **ثم نـتحمل مسئولـيـة الـنـتـائج**

الـنـتـيـجـة

• كل واحد منا يتحمل -أمام الله ونفسه والناس والتاريخ - نتائج ما وصل إليه !!

• كذلك يتحمل - غصبا عنه- نتائج ما وصل غيره إليه (فالبحث جارٍ دون إذنه)

• فإذا قضينا ونحن نكدح للحق تعالى، ...... فسنلاقيه

• وإذا توقفنا دون الكدح قبل أن يأتى أجلنا، فلنتحمل مسئولية جريمة التوقف

وبعد

أليس فى هذا محاولة لقراءة **"ماذا يحدث"**، وليس فقط **"ماذا حدث"**؟

أليس فى ذلك احتمال تحديد دور كل منا **"فيما يحدث"** بالمشاركة أو العمى أو المواجهة ..إلخ؟

أليس فى هذا فرصة أن نساهم **أن يحدث ما يحدث** بطريقة أفضل ؟

ألا يحتمل أن تتجمع الجهود (لا التفسيرات ولا التنظير) **فيتخلق بشرٌ** قادرون على فعل حقيقى نواجه به ديناصورات الإنقراض، ومصاصى الدماء، ومجرمى الخراب الشامل؟

دعونا نبدأ ولا نتوقف

(ملحوظة)

• يستحسن أن ترسل لنا تعليقك لندعو الله أن يكتبه لك فى حسناتك، فى الدنيا ثم فى الآخرة إن شئت.

• أو نرد عليه ذات يوم جمعة، وكله بثوابه،

• أو (ربما نجمع التعليقات ونخرج منها بشىء ما)

الثلاثـــــــاء 16-10-2007

46- من ملـــف القيــم والأخــلاق: بـحــث علمـــى شعبــى !! (2)

عرضنا أمس موضوعا مزدحما، ومنهجا عبثيا (إن كنت قرأت الموضوع على أنه من باب الفكاهة، كما أوصيتك فى البداية) ، أما إن كنت مثلى أخذت المسألة - ولا مؤاخذة - مأخذ الجد، فلنتقدم خطوة نحو التحقق من الفرض الذى طرحناه أمس،

(**ملحوظة:** إذا أزعجتك مشقة مواصة هذا البحث العلمى معنا، من حقك أن تتوقف، أو **تعتبره امتدادا لفكاهة أمس، أى والله، كل واحد يعمل ما يريحه**)

إليك أولا هذا الأساس الجوهرى لما يسمى المنهج العلمى، يوضح معنى ما هو **"فرض"** أولا:

الفرض **ليس سؤالا مطروحا**، (هذه مرحلة قبل الفرض)
الفرض العلمى: "إجابةٌ محتملةٌ"

أكثر من 80 % ممن ناقشت رسائلهم (ماجستير أو دكتوراة- قبل أن أتوقف عن ممارسة هذا الإثم، سامحنى الله) لا يجيبون إجابة صحيحة أو مفيدة عن ثلاثة أسئلة مبدئية هى:

(أ) ما الذى كان يشغلكَ وأنت تستعد لانتقاء بحثك؟

(ب) ما هو الفرض الذى بدأتَ به؟

(جـ) هل تحقق فرضك أم تفرعت منه فروض أكثر ثراء، وما هو الأفضل؟

وكانت إجابات أغلبهم:
عن السؤال الأول أنْ: هِــــهْ !!؟!
وعن السؤال الثانى أن: كنت أبحث عن إجابة لسؤال كذا أو كيت (ولا يذكر عادة أنه وضع **إجابة محتملة**، يعنى فرضا)
وعن السؤال الثالث (يجيب عادة وهو فرح فخور): نعم تحقق جدا (وكأنه لا يكون بحثا إذا لم يتحقق)، ثم هو لا يجيب عن بقية السؤال الثالث عن احتمال تولد فروض جديدة، ولا حتى بـــ ، **هِـــــهْ !!؟!** = التى هى إجابة السؤال الأول.

حتى نتجنب كل هذه الأكاديمية الملتزمة الرائعة، دعونا نبدو أكثر جهلا بما تيسر من محاولة معرفة متواضعة، **ونضع الاحتمالات التالية** بعد أن نعيد قراءة أطروحة أمس:

• يمكن أن نتحقق (كل على حدة) من القيم التى ذكرناها، هل موضعها هو المناسب هو القائمة التى وضعت فيها؟ وذلك بعد أن يحدد كل منّا معالم كل قائمة استلهاما من عنوانها، ويمكن أن نحذف القيمة التى نتأملها من خانتها، ويمكن أن ننقلها إلى خانة أخرى، ويمكن أن نخترع خانة جديدة (رابعة أو خامسة..إلخ)، ويمكن أن نكتشف تكرارا مملا ..إلخ.

• يمكن أن نتراجع عن هذا التقسيم تماما، ونذكر من اقترحه بما يستحقه (من لعنات، أو تشخيص، أو دعوات).

• يمكن أن نضع تقسيما بديلا جدا، مريحا جدا: مليئا بالترهيب والترغيب، والأصول واللا أصول، والكلام "البيئة" (اللغة الشبابية) والكلام الذوق (المِتْربى)

• يمكن أن نستشهد بنصوص جاهزة رائعة، مقدسة أو مأثورة، لا نفهم معناها عادة، ولا نتحمل حقيقة مسئوليتها.

• يمكن أن نقفل هذا الملف تماما، بل ونكف عن زيارة هذه اليومية من باب أن **"الاحتياط واجب" (ناسين أن الله سبحانه سوف يحاسبنا على ما عرفنا، وعلى ما لم نعرف، مادامت كانت أمامنا فرصة أن نعرفه، باعتبار أن العقل والوعى ليسا ديكورا، أستغفر الله العظيم)**

كل هذا هو بعض التمهيد لعرض بعض أوجه البحث العلمى للشخص العادى (كما خلقه الله!)

هذا وبالرجوع إلى الجدول بالضغط على سهم ==> المقال السابق، يتبين للزائر أن الجدول يحوى 84 قيمة (28 فى 3 - لا أعرف لماذا توقفت عند العدد 28 فى كل قائمة، فى الأغلب لأن السبعة فى أربعة بثمانية وعشرين!!! فوّت هذه من فضلك وتحمّل الغموض، كما أتحمله أنا!!)، ثم إننى سوف أكتفى بتناول القيمة الأولى من كل قائمة، كعينة، وللزائر أن يختار ما يشاء بعد ذلك:

المجموعة الثالثة فضائل وقيم تتخلق... (للرعاية والتنمية)	المجموعة الثانية رذائل (عادات) كادت تصبح فضائلا (للمواجهة)	المجموعة الأولى فضائل (كاد) ينتهى عمرها الافتراضى (لإعادة النظر)
1-فضيلة الدهشة (**بصفة عامة**)	1- الغش الجماعى (الأسَرى خاصة)	1- الثبات على المبدأ

قبل الدخول فى البحث

لأننا لسنا أكاديميين، فلن نلتزم بمنهج واحد لبحث كل القيم، فكل قائمة لها ظروفها، **والبحث العلمى الشعبى**، له الحق أن يتحرك كما يشاء، لأن أحدا لن يناقشه، **ولأنه لا يسعى للحصول على شهادة**، ولا مؤاخذة، ولكن هو يصر أن يحصل على حقه فى الحياة، **كما خلقه الله**، وهو -سبحانه- الذى سيحاسبه، ويعلم لماذا لجأ لهذا المنهج دون غيره، وهو يتناول "هذه

القيمة"، فى حين لجأ لمنهج مختلف، وهو يتناول قيمة أخرى، فى قائمة أخرى، وسوف تتجلى فى وعيه، وهو على نفسه بصيرة، مقولة: "إن أصابعك ليست مثل بعضها البعض (يعنى: **هى صوابعك زى بعضها؟، وإيش جاب أحمد للحاج أحمد؟ وإيش جاب لجاب: العايقة لأم حجاب؟** (مع أن أم حجاب قد أصبحت مؤخرا عايقة أكثر جدا !!) وخلاص،

وإليكم المناهج الثلاث على التوالى:

(1) طرح التساؤلات
(2) مواجهة التبريرات
(3) الموافقة المشروطة

أولا

بالنسبة للقيمة الأولى فى المجموعة الأولى، **"الثبات على المبدأ"** سوف نتبع فى تناولها منهج

طرح التساؤلات: (تساؤلات ناقدة غير مألوفة، ولا مرغوب فيها):

1. أى مبدأ هذا الذى لا بد لى من الثبات عليه، (والهتاف له: **يحيا الثبات على المبدأ**)

2. ولماذا هذا المبدأ بالذات؟

3. ولماذ أثبت عليه جدا جدا؟

4. وهل أنا الذى أثبتُ عليه أم أنهم هم الذين ثبّتونى فيه؟

5. ولماذا أدعو الآخرين لمبدئى، مع أننى متسك مائة فى المائة بقيمة "الثبات على المبدا"؟

6. وهل يحتمل أنه انتهى عمره الافتراضى فعلا؟

7. فإذا كان انتهى عمره الافتراضى فهل ثـَمّ بديل ؟

8. ويا للمصيبة لو المبدأ البديل لم أثبت عليه أيضا، هل سأظل طول عمرى أنتقل من مبدأ لمبدأ.

9. ثم ما هى الحدود التى تميز بين ما هو مبدأ، وما هو مذهب، وما هو أيديولوجيا وكلام من هذا؟

(اظن يكفى هذا مؤقتا، وننتقل إلى المجموعة الثانية)

ثانيا

المجموعة الثانية: ونتبع فى تناولها منهجا آخر وهو: **مواجهة التبريرات**

المثال: الغش الجماعى (الأسرى خاصة، فى الامتحانات كمثال)

هذا المنهج يطلب منك أن تحاول أن **تبحث عن "نقد"، حتى الرفض إن شئت،** للتبريرات التالية:

1- هذا ليس غشا، أنا أسترد حقى منهم (من الحكومة، أو الظالمين، أو أى سلطة كانت)

2- هم الذين اضطرونى إلى ذلك

3- مثلى مثل غيرى، إشمعنى أنا لا ؟

4- والـدى سوف يـنهرنى لـو لم أغش مـثل ابـن زمـيله وكـيل المجلس المحلى

5- " والـدى، وكـل الآبـاء والأمـهات، يحبـون أولادهم جدا جدا، وهم يخففـون عنهم بـذلك

6- المدرس (والـنـاظر) يـُطَنْــبِلْ (أى:"يطنش" بـس بـالـعربى) لـتحسين نـتيجة مـدرسته

7- "مـا هو الحكومـة بـتغش"

8- أبى يـفخر بى أنـى أتقـنت الـغش أكـثر من غيرى

9- ربـنا سيسامحنى لأنـه يعرف مـا فعلوه بى، ومـا يفعله كل الـناس مثلى.

ثـالـثـا

المجموعة الـثـالـثة: ونـتبع فى تـنـاولها المـنهج الـثالـث وهو: **المـوافـقة المشروطة**

حاول أن تصدق الاحتمـالات المقترحة الـتـالـية، فـإن لم تـصدقهـا، فضع عكسهـا، أو بـديـلا عنهـا، أو شرطا لـقبـولها، أو أنـت حـر، إفـعل مـا بـدا لك وسوف نـتـاول أول قـيمـة **"فـضيلـة الـدهشة"** كـالـتـالى:

1- يـاه !! صحيح أنـا تـوقفت عن الـدهشة، مـذ كـنت طفلا، كـل شىء أصبح واضحا جدا، أريد أن أستعيد حقى فـيهـا

2- ربمـا تـكون الـدهشة هى الـتى تـنقصنى حتى أشعر من جديـد أنـنى أعـيش بحق

3- لـو ثـبت أن الـدهشة فضيلة، ربمـا يـثـيبنى الله عليـهـا مـهمـا كـانـت نـتـائـجهـا

4- أنـا مستعد أن أقبـل أن أعـاود الـدهشة على شرط ألا أنـدهش جدا (مش قـوى كـده)

5- صحيح، إن هذه الـفضيلـة تجعل كل قديم، جديـد بـاستمـرار، يـعنى يـتجدد فـأتجدد، يـا حلاوة !!

6- أى ثـروة يمكن أن أحصل علـيهـا بمجرد أن أصدق أنـنى مـازلـت قـادرا على الـدهشة !! الحمد لله

7- يـبدو أنهم حرمـونـا من الـدهشة بـعد أن خـافـوا مـنهـا وتـنـازلـوا عنهـا، طيب وأنـا مـالى؟ (يـتفـلقـوا) !!

8- يـبدو أنـنى لـو سمحت لـنفسى بـتـواصل حقـى فى هذا الاتجـاه سوف أعـرف نـفسى قـربى أكـثـر

9- يجوز أن الـسمـاح بـالحق فى الـدهشة، هو الإيمـان بـالـغيب، فـقد خلقـنـا الله بهذا الـيقين الـذى جـاءت الـرسل علـيهم الـصلاة والـسلام لـيعلـمـونـا كـيف نمـارسه، ولـو صح ذلـك فـسوف أفـهم مـا لم أفـهمـه عن هذا المـوضوع طـول عمرى !!

وبـعـــد

لمـاذا تـوقـفتُ بـالأسئلـة فى كل مـنهج عند الـرقـم 9 ؟؟

ربمـا نـفس الإجابـة الـتى جعلـتنى أتـوقف عند الـرقـم 28 فى عرض الـقيم فى كل قـائـمة (أنـظر أول الـيومـية)

وكل عـام وأنـتم بخير.

الإربعـــــــاء 17-10-2007

47 - لغة الطبقة "البيئة"، والقيم اللاأخلاقية فى الأمثال الشعبية

مقدمة

من بين المصادر التى يمكن أن تؤدى بنا إلى بعض ما نتصوره قد **"حدث للمصريين"** خلال لا أعرف كم سنة !!! وكلام من هذا، أن نقف وقفة موضوعية أمام مايسمى **"اللغة الشبابية"** السائدة حاليا (أو لغة **الطبقة "البيئة"** عموما) . إن الموقف الفوقى من هذه اللغة يعمينا عن دلالتها التى قد تشمل بعض الإيجابيات الخليقة بالنظر والمراجعة.

منذ حوالى عامين: فى ندوة كنت مسئولا عنها (مع د. نبيل على) عن "اللغة والثقافة العلمية" فى المجلس الأعلى للثقافة قدمت ورقة عن **"حركيه اللغة بين الشعر والشارع"** عرضت فيها رأيي من أنه من المناسب أن نقارن دور الشعر بقدرته على شحن الألفاظ القديمة المعتادة من خلال تشكيلاته البديعة وموسيقاه وصوره، أن نقارن هذا الدور- **من حيث المبدا**- بما يقوم به الشارع المصرى عامة، والشباب خاصة، هذه الأيام وهم يقتحمون أصنام الألفاظ ليخلّقوا منها لغتهم السريعة الغريبة (علينا) يحركون بها جمود الألفاظ الباهتة، ويرفضون تصنيمها أو خوائها.

العجيب فى أمر الرافضين لهذه اللغة الجديدة أنهم يضمون مختلف الفئات من الصفوة حتى المحافظين مرورا بأهل الفن (الراقى) والمثقفين المكتبيين والأكاديمين طبعا، وغيرهم. يحدث هذا واللغة الفصحى تتدهور تحت سمع وبصر كل هؤلاء، ولا يثير فيهم هذا التدهور رفضاً فموقفاً حاسما مثلما تثيره اللغة الشبابية/البيئة اياها.

ثم خذ عندك هذا الأسى الذى يصاحب هذا الرفض دون تحفظ لهذه اللغة الجديدة، حين يترحم الرافض أوالناقد على لغة زمان، وذوق زمان، ورقة زمان، وأدب زمان.

فى ملف الأخلاق الذى أشرت إليه أول أمس (الإنسان والتطور 2000- 2001) قدمنا عددا من الأمثال الشعبية التى بها جرعة من الأخلاق السلبية التى لا نتوقف عندها عادة ونحن نضرب الأمثال أو نستشهد بها، وها نحن نقوم بإيجازها وتحديثها لنربط بينها وبين اللغة/البيئة/الشبابية.

إن المثل الشعبى ليس له مؤلف كما نعلم، وإن كان يمثل جزءا من التراث الشعبى، فهو إفراز لمرحلة من الوعى الشعبى ليست قصيرة فى العادة، **وفرق بين التراث الشعبى، والوعى الشعبى، وكلاهما من مصادر المعرفة المتعددة المناهل. ففى حين يرتبط التراث الشعبى بالأمثال العامية والملاحم الحكية، وبعض الأساطير، يمثل الوعى الشعبى حركية ثقافة العامة وهى تتحرك وتتخلق ويعاد تشكيلها باستمرار**، نحن نتعلم من **التراث الشعبى** الذى ألفه الناس عبر التاريخ مما قد يكون ممتدا حتى الان **ماذا كان**، ونتعلم من النظر فى **الوعى الشعبى** هنا والان **"ماذا يحدث"**، والربط بين المصدرين قد يفيد فى الكشف عن بعض ما "حدث" و"ما يحدث" فى آن، فإذا كانت الأمثال الشعبية تعطينا مثلا لما كان سائدا من توجهات ومواقف وطباع وأخلاق لفترة ليست قصيرة حتى استقر المثل الشعبى واستمر وطال عمره إلى أن وصَلَنَا، فإن اللغة الشبابية تعطينا حركية الشارع الآن بين الشباب خاصة، ولا سيما من ينتمون إلى الثقافة التى أطلقوا أو أطلقنا عليها لفظ **"البيئة"**، بما فى ذلك **ثقافة الإدمان**.

قبل أن أنتقل لفحص بعض عينات اللغة الشبابية كعلامة على ما "يحدث للمصريين"، قلت أعرض بعض الأمثال الشعبية التى شاعت من قديم، والتى أفرزها الوعى الشعبى المصرى خلال حقبة من الزمن لا نستطيع أن نحددها لا توقيتا ولا مدة. أعرض هذه الأمثال التى بها دعوة لعدد من المواقف والتصرفات والأحكام اللاأخلاقية يتضاءل معه ما نتهم به اللغة الشبابية، أو لغة "البيئة"، السائدة بيننا اليوم.

بديهى أننى لا أدافع عن هذه اللغة الجديدة على طول الخط، لكننى أحاول أن أتذكر، وأذكِّر، أن هذا الموقف الفوقى **لحركية وعى الشارع وهو يتحدى، ويخلق لغته، ويصنع ثقافته،** لن يفيد لا فى فهم ما يجرى، ولا فى الإسهام فى الإحاطة به وتوجيهه إن لزم الأمر، أو استطعنا.

بعض الأمثال الشعبية اللاأخلاقية

الشائع عادة عن الامثال الشعبية أنها حكم رصينة، ونقد ذاتى وتهذيب وإصلاح، دون إغفال دورها فى تصوير سلبيات فترة معينة من الزمن، أو ترجيح قيم سادت فى مرحلة ما من مسيرة الواقع، ترجيحا لا يعنى بالضروره الموافقة، ولقد سبق أن نبهنا مراراً فى باب "مثل وموال" الذى انتظم فتره طويلة فى مجلة الإنسان والتطور أن **الاستشهاد بالأمثال ليس دعوة لتطبيقها بما هى كما هى. بل قد يصل الأمر إلى أن يكون الاستشهاد بالمثل هو تنبيه لتطبيق عكس ما يقوله المثل، وقد يكون كشفا لأمر يجرى بشكل ملتبس، فيعريه المثل.** ومع ذلك، فكثيرون منا يتصورون أن للأمثال قيمة أخلاقية إيجابية فى ذاتها، فى حين أنها قد تفيد فى كثير من الأحيان معان سلبية، بل وقد تساعد على الحفز إلى ممارسة هذه القيم السلبية، مثل الدعوة إلى قبول الذل، أو التأكيد على التمييز الطبقى أو العنصرى، أو تشويه صورة الذات الوطنية أو القومية، أو إهانة المرأة وتحقيرها.

إن **الوعى الجماعى** قد تبلغ به القسوة مبلغا لاأخلاقيا مما ينبه إلى أنه ليس كل ما يجمع عليه الناس، أوأغلب الناس، هو أفضل، أو أصدق، أو أرحم. بل لعل العكس يكون أقرب للصواب أحيانا كثيرة. نتذكر - مثلا - محاكمة الحلاج، والقاضى يتذرع بحكم العامة، بعد أن استدرج الحلاج حتى "يبوح"، لكى يصدر فيه ما قرر ودبر من حكم بالإعدام متذرعا بحكم العامة، نذكر كيف ينهى عبد الصبور مسرحيته الرائعة " مأساة الحلاج" بتذكيرنا بقسوة المجموع. (أنتم حُكِّمْتُم فَحَكَمْتُم). نتذكرالآن ونقارن كيف تطور تشويه الوعى العام بألعاب المال والدعاية لتشكيل وعى أغلب الناس لتخليق **قيم استهلاكية**، حتى يكاد يصل الأمر إلى تخليق **غرائز استهلاكية** جديدة تتناقلها الأجيال لترويج سلعة، أو تعميق أيديولوجية، لا تخدم إلا طبقة منفصلة عن كل ما هو أخلاق، بل عن كل ما هو فطرة ، أو قوانين بقاء (هذا، ناهيك عن تشكيل الوعى العام لتبرير الظلم والقتل وتمادى الإبادة).

سوف نقدم فيما يلى عددا من الأمثلة التى اعتبرناها تمثل **"الجانب الآخر"** من الأمثال الشعبية، أعنى **الجانب اللاأخلاقى** بشكل أو بآخر، وذلك تمهيدا للنظر بعين موضوعية لما نسميه اللغة الشبابية/ البيئية، فيما بعد (فى هذه اليومية غالبا).

1-"أصل الشر فعل الخير"

هذا مثل يبدو شديد الغرابة، ماذا يريد أن يقول؟

هل هو يَنْهى عن فعل الخير أم يشكك فى جدواه؟ هل يريد منا أن نقتل بعضنا بعضا خوفا من أن ينقلب الخير شرا؟

أين هذا المثل من المثل الذى يمثل عكسه تماماً وهو الذى ينبهنا ألا ننتظر العائد السريع لفعل الطيب. ذلك المثل الجميل الذى يقول **"إعمل الطيب وارميه فى البحر"**.

2-"إضرب البرئ لما يقر المتهوم"

المثل ينبهك ألا تتردد فى ضرب البرئ، برغم أنك تعرف أنه برئ، وليس حتى متهما يمكن أن تثبت براءته، أو أنه يضرب حتى يقر بذنب لم يرتكبه، هذا المثل يوصى بضرب البرئ وهو يعترف أنه برئ منذ البداية، لماذا؟ حتى يقر المتهوم خوفا من أن يأتى عليه الدور فيعذب كما رأى البرىء يعذب أمامه ؟ ياه !! برغم أننا لا نعرف حجم ولا مدى ما يجرى من تعذيب فى سجوننا وأقسامنا هذه الأيام، لكننى أتصور أن التعذيب قد يقتصر على المتهم، أو حتى يمتد إلى أهله لتعذيبه عن بعد، لكنه متهم على أية حال، ولكنه - التعذيب - ربما لا يركزّ هكذا بوضوح على البرىء كما يقول المثل (لست متأكد).

3- "إطعم مطعوم ولا تطعم محروم"

سبق أن فسرنا هذا المثل تفسيرا إيجابيا،(الإنسان والتطور: العدد الثالث والعشرون لسنة 1985). وقد بدا ذلك التفسير للكثيرين تعسفا. عرضنا آنذاك تبريرا أو تفسيرا يقول: إن هذا المثل قد لا يوصى بإطعام المطعوم دون المحروم، ولكنه ينبه إلى درجة ما من الحرمان تجعل كل ما يُلقى إلى المحروم

يختفى فى دوامة طلب المزيد، حيث أن المحروم لا يقدّر ما يُعْطَى، وهو لا يشبع مهما أعطى، فى حين أن من سبق أن تذوق طعم ما يعطى يمكن أن يقدره، فيرتوى به إذ يكتفى بالقدر المناسب.

كثير من القراء والاصدقاء اعتبر هذا التفسير تعسفا وتبريرا لحرمان المحروم، وتدعيما للموقف الظالم بأن **من عنده يُعطى ويُزاد، ومن ليس عنده يهمل، ويُنكر،** ولو حتى مات جوعا واحتياجا.، هذا التفسير الأخير، الذى هو تصحيح للتبرير المتقدم، لوصح ، **فإنه يكون مثلا سيئا قاسيا ظالما قبيحا لاأخلاقيا، بلا شك.**

4- اللى بعيد عن العين بعيد عن القلب

إن العلاقات الحقيقية بين البشر لا تشترط بالضرورة حضوراً عيانياً ماثلاً للآخر أمام "حواسنا" طول الوقت، لكن المثل هنا يشير إلى اعتبار أن عواطفنا عادة ما نحتفظ بها لمن يَمْثُلُ أمام حواسنا، دون غيره، إن **العلاقة الحقيقية هى رحلة مستمرة بين الداخل والخارج،** بين الماثل فى وعينا والمثير لأحاسيسنا وبالعكس.

المثل بهذه الصورة ينبه إلى **نوع من العلاقات مرتبط باللحظة الراهنة،** والصفقة الجاهزة، مع إنكار أى التزام ممتد أثناء الغياب عن الحضور الفعلى أمام الحواس **"عينى عينك"،** وأننا ننسى الغائب بما يؤكده مثل آخر يقول: **"الغايب ما لوش نايب، والنعسان غطوا وشه"،** ليستحوذ "الحاضر" على المكاسب المادية، والوجدانية معا دون الغائب والنائم حتى لو كانوا أصحاب حق، أو أصحاب الحق!!!

5- اللى يشبع بعد جُوعَهْ إدعو له بثبات العقل

يشير هذا المثل إلى أن شدة الحرمان قد تكون من القسوة بحيث إذا زال هذا الحرمان بالإشباع، وهو لا يزول عادة، لا يحتمل المحروم أن يشبع، أو هو لا يكاد يصدق، حتى أنه يفقد توازنه خاصة إذا ما لُوِّحَ له بارتواء ما، ارتواءٍ لم يكن ينتظره أى ليس فى حسبانه.

لا يخفى من هذا المثل ما فيه من إنكار حق الجائع أن يشبع، إن المثل يستبعد أن يشبع مَنْ طال جوعه حتى يجمد ويتوازن، بل إنه **يرجح أنه إذا شبع يُجَنّ:** إما لأنه لم يتوقع الشبع أصلا فهو لن يشبع مهما أكل، وإما لأنه لا يمكن أن يشبع لأنه محروم. وبالتالى هو مثقوب لا يمتلئ، (كما فى المثل قبل السابق) .

هناك مثل مواز لا يمكن أن يذكر بألفاظه الأصلية يقول "زى اللى عمره ما شاف لحمة شاف "لحم" امه اتهبل". الهبل هنا هو ما يقابل ما يقوله المثل الحالى: **"إدعو له بثبات العقل".**

6- إن جاك النيل طوفان حط إبنك تحت رجليك

هذه دعوة صريحة إلى النجاة على حساب أى آخر، حتى لو كان هذا الآخر هو ابنك شخصيا.

لا يمكن التغاضى عن ما فى هذا المثل من واقعية مرة، وهو يذكرنا بيوم القيامة، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكن الفرار يوم القيامة شىء، وأن يستعمل الواحد ابنه كأداة لنجاته، إذ يضعه تحت قدميه ليطفو هو ولو قليلا، ولو مؤقتا. **هذا هو المعنى السلبى الذى يشير إليه هذا المثل.**

7- رب ابن ابنك، وابن بنتك لأ

هذا المثل لا يشير فقط إلى تفضيل الإبن على البنت، ولكنه أيضا يشير إلى علاقة الملكية التى تربط الإبن بأبيه، وبعصبه، دون البنت. ويا ليت المسألة كانت قاصرة على التمييز فى العطاء، أو الإرث، أو الفرص، لكنها تشير إلى "استخسار" التربية. والتربية قد تشير إلى الرعاية والإنفاق، كما قد تشير إلى القدوة والنصيحة، والمثل ينهى بشكل واضح عن الامتداد غير المشروط فى جيل لاحق، وأن شرط الرعاية التربية هو انتماء الذكور انتماء عصب مباشر، هذا معنى قديم يتردد بكل لغة يقوله شاعر الفصحي:

"بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا، بنوهُنَّ أبناء الرجال الأباعد"

ومع شدة قبح مثل هذا الشعر (والقبح بالقبح يذكر) نلاحظ أن زوج البنت وأهله هنا أصبحوا يمثلون **"الرجال الأباعد"**

8- على ما تتكحل العمشة يكون السوق خرب

تتكرر الأمثال العامية التى تهين القبح بقسوة أيضا، وهى تنكر أصلاً ذلك الجمال الكامن فيما يسمى قبحاً، وكأن من حرم الجمال قد أذنب فى حق قائل المثل. ثمة أمثلة موازية تقول: **"إيش تعمل الماشطة فى الوش العكر"**، وبدرجة أقل: **"الحلو حلو ولو قام من النوم، والوحش وحش ولو غسل وشه كل يوم"**....إلخ

9- لبّس الاسمر احمر واضحك عليه

يقال إن الإنجليز وهم يحتلون السودان، كانوا ينعمون على بعض الكبراء بحلة حمراء وهات يا كذب عليهم حين يصورن لهم أن مجرد تغيير الملبس هو تكريم لهم وإيهام بمساواة ما. وواضح ما فى هذا المثل من تمييز عنصرى، وامتهان، واستعلاء، واستهانة. على أن لهذا المثل تطبيق معاصر يجرى حالا حين يلبس الناس "اللى فوق" بعض الشعوب الإفريقية بعض مظاهر المدنية، مثل فرض لغة فرنسية عليهم، أو تصوير ما يمارسونه من قبلية مقاتلة على أنها ديمقراطية حديثة، أو تصدير بعض قشور الإنجازات التقنية للاستعمال الاستهلاكى الضحل، كأن الشكل الحضارى يتحقق بمجرد استعمال أدوات تشبه ما يستعمله المتحضرون.

وهناك تطبيق أخفى يتم فى مجال نشر الأبحاث العلمية، حين يصورن لنا أن النشر فى مجلات عالمية هو اعتراف بقيمة البحث العلمية، ومن ثَمَّ فنحن علماء مثلهم، يا فرحتى!، والدليل هو أنهم سمحوا لنا أن ننشر عندهم!! والأمر ليس كذلك تماما فى معظم الأحيان.

أيضا، يحدث مثل ذلك فى تولية بعض علماء العالم الثالث أو الرابع مناصب قيادية أو شبه قيادية فى المؤسسات والجمعيات العالمية، إما لأن الدور قد جاء على قارة إفريقيا مثلا، وإما لأن هناك حاجة إلى الظهور بمظهر المساواة، وكلام من هذا.

وهنا تصبح الصورة المكافئة المعاصرة للمثل تقول: **"البس الإفريقى أو الأسيوى، منصبا رئاسيا، واضحك عليه".**

تقوم أيضا شركات الدواء بتزيين بعض الوجوه، **وتقديمهم لأنفسهم وللمجتمع العلمى والمجتمع الطبى العالمى**، باعتبارهم روادا فى مجالهم، وبعد أن يصدقوا أنفسهم، هات يا ضحك عليهم، وعلينا، وهات يا نصب.

10- لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفاى

يتضمن هذا المثل دعوة صريحة للنفاق والصمت الجبان، وهى ليست دعوة للتحلى بالصمت الحذر، أو للتحفظ فى الكلام، فإن الذى يسك على قفاه لمجرد أنه نطق برأى أو إشار بمشورة لا يكون سكوته حكمة، وحسابات.

11- جور الغــز، ولا عدل العرب

كلمة الغز كانت فى الأصل تطلق على الأتراك، ثم امتد معناها إلى التمييز الطبقى بصفة عامة.

لاأخلاقية هذا الموقف لا تقتصر على التمييز الطبقى، أو التفرقة الإثنية، ولكنها أيضا تكمن فى تفضيل الرضا بالذل من سيد لأنه سيد بأصله، عن العدل من عامة الناس. إن شيوع ثقافة الذل والرضا بالظلم من أى سلطة سواء كانت سلطة السادة، أو الطبقة الأعلى، أو المستعمر، أو أى شيخ أو كاهن. قبول الظلم هو أمر قبيح ينبغى أن يرفض بغض النظر عن مَنْ هو الظالم.

12- إن قابلك الاعمى خد عشاه، مش حا تكون أرحم مالـلى عماه

هذا مثل يبدو لى فى منتهى القسوة، وهو يبرر التمادى فى ظلم الأضعف، بل إنه يتطاول حتى على رحمة ربنا، وقد أزعجنى حتى أنى رفضت أن أضيف مزيدا من الشرح يبين مدى قبحه.

الخلاصة:

لعلنا نلاحظ ونستنتج من خلال كل ما تقدم

أولا: إن الوعى الشعبى قد يكون شديد القسوة، وعلينا ألا نستسلم بسهولة لما يخرج منه حتى لو تعمَّق وتأصَّل واستمر فى "مَثَلِ" أو "لغة جديدة" أو أسطورة أو غير ذلك.

ثانيا: إن الزعم بأن أهل الزمن الفائت قد يكونون أقل قسوة، وأكثر حكمة، هو زعم مشكوك فيه.

ثالثا: إذن: إن أى لغة فيها وفيها، خصوصا اللغة التى يفرزها الوعى العام، فى فترة بذاتها

رابعا: إن تسجيل معالم القيم السلبية فى مثل عامى متداول، أو قول شائع، فى فترة بذاتها، لا يعنى الإقرار بالمحتوى، إنه نوع من إعلان واقع ما، وبالتالى هو يتضمن بالضرورة دعوة لدراسة دلالات الذى يجرى حولنا، أو الذى وصل إلينا سواء كان مثلا شعبيا أو لغة شبابية أو رطانا مستوردا.

خامسا: ومع ذلك فإن قسوة الوعى العام التى لا يمكن إغفالها، لا يمكن اتهامها فى ذاتها لأنها قد تكون رد فعل دفاعى فى فترة من الزمن.

سادسا: إن هذا المدخل يدعونا للنظر فى دلالات لغة الشارع الجديدة بشكل أخر غير الرفض والحكم الفوقى على طول الخط.

وهذا ما سنعود إليه لاحقاً إن شاء الله وامتد العمر.

الخميـــــس 18-10-2007

48- قــــــراءة فــى أحـــــلام فتـــــرة النقاهـــــــة (2)

(تذكرة بالحلقة الأولى) (الحلم 1)

نص الحلم (2)

دخلنا الشقة .. الفتاة فى المقدمة وأنا فى أثرها والبواب يتبعنا حاملا الحقيبة، الفتاة على صلة بى مؤكدة وكأنها (ولكنها) غير محددة. تركنا ترتيب الأشياء ودلفت الى الشرفة المطلة على البحر ساجا فى آفاقه غير المحدودة منتعشا بهوائه الرطيب منتشيا بهديره المتقطع، وإذا بصرخة تنطلق من الداخل فهرعت نحوها فرأيت الفتاة منكمشة مذعورة والنار تشتعل فى أعلى الباب وقبل أن أفيق من الصدمة دخل رجل صلب الملامح كأنما قدت من صخر وبإشارة من يده أنطفأت النار وتحول ذاهبا وهو يقول:

- ربما انقطعت المياه بعض الوقت،
- وغمرنى الارتياح فلم ابال بشئ.

غادرت الحجرة قاصدا السوبر ماركت لأبتاع بعض التموين المناسب.. ولما رجعت وجدت باب الشقة مفتوحا والبواب واقفا فدخلت إلى الحجرة قلقا فوجدتها عارية إلا من بقجة منتفخة بالملابس ملقاة على الارض وذراع بيجامتى يتدلى من فتحة فى رابطتها ولا أثر للفتاة فسألت:

ماذا جرى؟

فأجابنى البواب

- حضرتك أخطات الطريق وهذه ليست شقتك فأشرت إلى ذراع البيجاما وقلت:

- هذه بيجامتى

فقال الرجل بهدوء:

- يوجد من نوعها آلاف فى السوق

وملت إلى الاعتقاد بالخطأ متذكرا أنه توجد ثلاث عمارات متشابهة فى صف واحد وهبطت السلم بسرعة وفى الطريق رأيت الفتاة فى طرفه المفضى إلى ميدان مكتظ بالسيارات والبشر، فجريت نحوها حتى أدركها قبل أن تذوب فى الزحام.

القراءة

الفتاة فى المقدمة، وهو فى أثرها، والبواب يتبعهما حاملا الحقيبة،

دخل الجميع الشقة بهذا الترتيب،

لا يبدو فى الأمر أى احتمال أن يكون ثَمَّ نداءُ من جانب الفتاة يجذبه إليها، كما كنا نسمع عن جذب النداهة للمارة على الترعة،

إلا أن: الصلة **مؤكدة**، لكنها (كما قرأتها) **غير محددة**،

فضلت أن أتصور أنها **"لم تتحدد بعد".**

حضرتنى هذه البداية بمثابة نفى لأسطورة النداهة بعد أن شوهتها العلاقات المعاصرة الفاترة الخالية من السحر والجذب الغامض، ذلك النداء السِّرى، المُغْرى، القوى، الواعد، برغم خطر المجهول، لابد وأن يختفى مع هذا التتابع المصفوف، برغم الفتاة فى المقدمة.

ومع ذلك فثم يقين **بعلاقة ما** ، برغم غموضها. يقينٌ دون جذب أو وعود.

الجذب كان للراوى دون الفتاة وإلى الطبيعة، مهملاً أو متجاوزاً فتور نداء الفتاة الذى لم يظهر حتى الآن، الجذب كان إلى المطلق، إلى البحر *"ساجا فى آفاقه غير المحدودة"، منتعشا بهوائه الرطيب، ساجا فى آفاقه غير المحدودة"*، هذا التجاوز إلى المطلق كَشَفَ أكثر فأكثر فتور النداء الغائب إلى الأخرى (الآخر) تلك التى حلت محل النداهة، **لتلغيها.**

ظلت الفتاة فى الداخل بعيدا عن كلٍّ من البحر وعنه، حتى أعلن الحريق انفصالها المذعور.

اجتمع الحريق فى معبر التواصل (أعلى الباب)، مع انطفائه بأمرٍ من ذلك التصلب الصخرى المتمثل فى الرجل صلب الملامح، والذى أطفأ الحريق بإشارة من يده، فاستغنى - ربما بتصلبه - عن ماء الحياة الذى انقطع حتى قبل أن نحتاجه لإطفاء الحريق.

ينتهى الفصل الأول هذه النهاية التى سحبت صاحبنا من حواره مع المطلق، وفى نفس الوقت جمّدت الحركة، ولوَّحت بزوال خطر التواصل مقابل انقطاع الماء والتصنيم، فهو الانشقاق النمطى الساكن الذى يتغذى باللا مبالاة كأنها الراحة **(وغمرنى الارتياح، فلم أبال بشىء)**،

فإلى السوبر ماركت،

ليعود، فلا يجد من نفسه المتميزة، إلاَّ آثاره التى لم تعد متميزة،

هذا البحث عن معالم الذات التى تصبح بلا معالم خاصة **(يوجد من نوعها آلاف فى السوق)** يرجع فى سعيه للآخر، إلى بحثه الأول عن ذاته، ليست تلك التى كادت تذوب إيجابيا فى المطلق

(البحر ساجا فى آفاقه) والتى أجْهَضَتْ ذوبانها صرخةُ مسِخ النداهة العاجزة الفاترة الفاشلة، ولكن ذاته المغتربة اللامبالية، الرتيبة التى عادت تتسوق فى السوبر ماركت، لتصبح مثلها مثل الآلاف التى فى السوق، بل ويصبح المحيط هو هو حيث العمارات متشابهة أيضا.

....

لكنها ليست النهاية، فطالما أن ثمة حياة، فثم نداء ونداء ونداهة، لكنها تبدو أكثر نشاطا، وأجمل وعداً وسط زحام الواقع **بالبشر والسيارات**، شوقا إلى آخرٍ حقيقى محاورٍ متوجه هذه المرة إلى شرفة أجمل، وبحر أكثر رحابة، وأوسع آفاقا.

هذا الانجذاب إليه "معا، تتابعا أو سحراً، أو انتشاراً هو ما يميز سعى الإنسان المتصل إلى الاستجابة لندّاهة لا تفصله عن المطلق، ولا تختفى فتبهت ذاته فتصبح بلا معالم مثلها مثل أى ذات، ملقاة فى شقة فى عمارة مثل العمارات،

لكنها نداهة أخرى **تسرى بين الناس، وسط الزحام، تظل تعد جاذبة وهى تنادى، وهو يتبعها،**

لينتهى الحلم: لا هو يلحق بها

ولا هى تختفى
لا هو يهملها إلى الشرفة حين يجذبه المطلق
ولا هى تنكمش من حريق فاصل، ينطفئ بأمر متصلب، جنبا إلى جنب مع انقطاع المياه

......

إن ما يحافظ على العلاقات البشرية الحقيقية، ليس تحقيق التواصل بقدر ما هو استمرار السعى وسط الناس، مع الاحتفاظ بالمسافة تضيق لتتسع.

فإن كان ثَمَّ توجهٍ إلى المطلق، فليكن "معا إليه".
وإلا
فالحريق، فالجمود، فاللاماء، فالضياغ، فالنمطية
ها هى الحياة تُواصِلُ حفز سعينا إلى بعضنا البعض، وسط الزحام "إليه".

***

ملحوظة: لم نعد بأن نواصل لا نقد **"الأحلام"**، ولا "فى شرف صحبة نجيب محفوظ" بانتظام متلاحق، لكن شيخنا حاضر يوم الخميس دائما،

أطال الله عمره.

- قرأت كلمة "وكأنها" على أنها "ولكنها"، لأنها وصلت إلى وعيى الناقد هكذا، وهذا ليس من حقى، إلا أن السياق لم يسمح لى أن أقبل الكلمة كما طبعت، رجعت إلى النص الأصلى بخط اليد الذى كان ينشر فى نصف الدنيا مع الحلم، قبل مرحلة

الإملاء، فوجدت أن الكلمة هى كما نشرت مطبوعة، وليست كما قرأتها بوعيى النقدى، وبالرغم من ذلك أصررت على قراءتى متصورا أن الأستاذ - أو أى واحد - يمكن أن تحل كلمة محل كلمة بصفتها أخطاء كتابية - تماما مثل الأخطاء المطبعية- وعادة ما لا ينتبه الكاتب إليها إلا عند المراجعة، ولم تكن هناك أية فرصة أن يراجع محفوظ ماكتب، ليس فقط بسبب الخط الذى استعاد بعض معالمه بصعوبة شديدة، وإنما بسبب النظر، ولست متأكدا إن كان الحاج صبرى أو أحدنا كان يقرأ له كل ما كتب قبل أن يرسله للنشر أم لا، على أننى كثيرا ما كنت أرجع إليه إن لاحظت مثل هذه الملاحظات، وكنت أبدى له وجهة نظرى، وكان كثيرا (وليس دائما) ما يوافقنى على أنه كان يقصد ما وصل إلى.

الجمعــــــة 19-10-2007

49- حـــــــــوار/ بريـــــــــد الجمعـــــــة

د. رفـيق حاتم
ضيف واحد كريم، واعتذار للأصدقاء الطيبين

ابتداء: أود أن أقدم اعتذارى هذا الأسبوع عن مواصلة الحوار مع كل من تفضل من الأصدقاء، خاصة المنتظمين، ممن أرسل رأيه أو تعليقه هذا الأسبوع، ذلك لأنه قد وصلنى من إبن عزيز، يعيش فى فرنسا، وقد تَفَرْنَسَ دون أن يَتَخَوْجَنْ، فهو مازال مصريا مُقَطَّمِياً حتى النخاع، وهو دائما معى مهما طال غيابه، وزاد انشغاله، ومهما تباعدت رسائله، حتى أننى كثيرا ما أُبلغه ما أريده عن طريق إبنة صديقة (هى ابنتى أيضا من زوجة أخرى هى: قصر العينى)، وقد تصادف أنها تزوجته دون علمى، والأهم أنها أم حفيداتى صديقاتى الثلاث ياسمين، وفرح، ونسمة. (ولهذا حديث أخر مهم)

وصلنى بريد د. رفيق الذى كنت أنتظره منذ ورطت نفسى هذه الورطة، كنت أنتظره لأسباب لن أطيل فى شر حها الآن، وإن كنت قد تطرقت إلى بعضها فى حوارى مع الابن د. أسامة عرفة، لكننى هنا أكتفى بذكر سبب واحد -ولو كان فى ذلك إعادة-، هو أننى كنت، ومازلت، حريصا أن أعرف مَنْ أخاطِبْ، وأن أتابع ما يجرى فى ثقافة غير ثقافتنا، من خلال رؤية وممارسة شهود عيان، أتيحت لهم فرصة الغوص إلى الداخل (داخل النفوس) لعلهم (الأطباء النفسيين أبنائى وبناتى) يحدون من غلوائى، فأتعلم، أواصل محاولاتى بشكل أفضل.

المهم، هذا هو الإبن رفيق حاتم، أهلا بك يا رفيق (أعرف أنك ستسمح لى بتقطيع خطابك، فقد اعتدتّ ذلك أيام كنت معنا فى "الإنسان والتطور"، وقد لاحظتُ أنك لم تنس تقاليد هذه المجلة التاريخ، سواء من حيث "الحوار المصنوع"، أو فى باب **"مقتطف وموقف"** قد نظّمت تقديم خطابك باعتباره **"موقفاً"** من **"مقتطف"** محدد)

هات ما عندك يا رجل، أوحشتنا.

د. رفيق

كل سنة و أنت و كل من تحب او لا تحب طيبين

د. يحيى
وأنت بالصحة والسلامة يا شيخ، أين أنت؟!! حلوة حكاية "أو لا تحب هذه"، صحيح !!، معك حق، لماذا لا نتمنى لمن لا نحب أن يكونوا هم أيضا طيبون حتى العام القادم ، هل نعاقبهم لأننا لا نحبهم، أم نعاقب أنفسنا، وحتى لو كانوا أشرارا، فليكونوا طيبين، فتقل شرورهم، لقد فرحت يا رفيق أن ابنتى "د. أمانى" أبلغتك حكاية هذه النشرة اليومية، وأنت تعرف موقف أمانى الأمين الواضح، وعواطفها الصادقة المحبة، لكنها عادة لا تكتب، ولا تعقّب، وربما احتراما لميولها هذه، طلبت منها أن تبلغك رغبتى فى أن تتابعنا أنت بالأصالة عن نفسك، والنيابة عن من يهمه الأمر..

د. رفيق
أنا أتابع ما تكتبه بانتظام و سعيد بما تبذل من جهد لشحذ الهمم و العقول.

د.يحيى
شحذ الهمم؟ يعنى! أما شحذ العقول، فأحسب أنك لم تنس علاقتى بشحذ العقول، فالعقول الحديثة المغرورة يا رفيق- كما تعلم- قد شُحِذَتْ أكثر من اللازم حتى أصبحت مسنونة حادة تقطع كل ما عداها لتحتكر المعارف والوسائل جميعاً_ أنت تعرف أن هدفى هو "تحريك الوعى": مستويات الوعى معا، أو بالتبادل للتضفر، وهذا غير شحذ العقول اياها أو حتى شحذ الهمم، أنا أقبل طبعا رؤيتك، وأعلم أن ما وصلك هو بعض ما أحاوله، لكنى خشيت على القارئ أن ينسى حكاية "تحريك الوعى"، التى أنا متأكد أنك على أتم إحاطة بها، أنا كتبت يا رفيق حتى اليوم 47 مقالا أو رأيا أو رؤية فى هذه النشرة اليومية، فهل يا ترى قرأتها جميعا برغم انشغالاتك، وماذا استرعى انتباهك بوجه خاص؟ فعلقت عليه؟

د. رفيق
هذا تعليق على مقالة الصوفية والفطرة والتركيب البشرى.

المقتطف: ... ربما هذا ما يشير إليه الجنيد فى قوله ".. **إثبات ذات الله من خلال العدم أفضل من إثباتها من خلال الوجود"**، العدم هنا ليس العدم السلبى الذى نعرفه، لكن العدم يعنى أنه إعدامنا للثابت الذى يحول دون حركية المعرفة المتواصلة، **هو العدم الذى يتخلق منه ضده ليصبح وحدة أكبر فعدماً أنشط، وهكذا، هذا الامتداد المتصل هو أقرب عندى لقراءة معنى "..الإيمان بالغيب، لا الانعدام فى الغيبوبة"، ومن ثم مواصلة السعى إليه.."**

د.يحيى
إذن، أنت تعلق على تعليقى أنا ، تعليقى على بعض ما اقتطفتْه من كتاب مارى شميل "تاريخ التصوف الإسلامى..إلخ"، وهو الكتاب الذى ملأنى عرفانا بفضلها، واحتراما لها، هذا، ولعلك تابعت **حوارى (المصنوع) مع د. زكى سالم حول حكاية العدم عند الصوفية**، ولكن دعنا

نقصر حوارنا على المقتطف الذى اخترتَه، فماذا أثارك فى تعليقى على ما اقتطفتُ وشرحتُ؟

د. رفيق

أثارت عندى هذه المقالة تحريك غير متوقع يتعلق بمعنى الإيمان بالغيب. فحتى الآن كان الإيمان بالغيب متعلق عندى بالتسليم السلبى انتظارا للفرج، وعدم الأخذ بالوسائل المتاحة لتحقيق المراد.

د. يحيى

جاءك كلامى؟ ألم أقل لك أنك سيد العارف بحكاية **"تحريك"** هذه وليس مجرد **شحذ**

د. رفيق

عند قراءة المقال قفز فى ذهنى مفهوم متعلق بالعلاج النفسى إذ يرتبط التحسن أو زوال الأعراض بعملية إحداث أو حدوث **تغير غير متوقع و غير محسوب من خلال مفردات متاحة** بشكل من الأشكال Faire Advenir. مثلا...

د. يحيى

شكرا يا رفيق، ولكنك تعرف أننى لن أترجم ما لم تقم بترجمته أنت، فلا أنا أستطيع، ولا أنا أعرف تحديدا ما تقصد إلا من السياق، ولكن لأدعك تكمل أولا ..

د. رفيق

عند علاج المريض الذهانى من العرض الضلالى (مثلا) باستخدام العلاج الدوائى لا يكون التحسن بزوال المعتقد الضلالى فحسب وإنما بتغيرٍ مَا فى طريقة إدراك الواقع و التعامل معه.

د. يحيى

الناس يا رفيق عندنا، وأظن بعضهم عندك أيضا، نسوا عمق ما يجرى فى العلاج النفسى، أو فى علاج النفوس عامة، خصوصا حكاية مثل *"تغير فى طريقة إدراك الواقع"*، كما تقول، يحسبون ، ويرددون دائما أبدا، حكاية أن العلاج فضفضة، وكلام، وترييح، وفك عقد، وأنت تعلم أن هذا يرجع إلى ما نشيعه - نحن الأطباء النفسيين والمعالجين النفسيين - عادة، فضلا عن دور الإعلام القشرى، والدراما المسطحة، ثم إن أغلب الناس والمرضى والأطباء والمعالجين أيضاً يميلون إلى قياس التغير بتغير فى ظاهر فى السلوك، ولا ينتبهون إلى عمق ما يجرى.

د. رفيق

هذا التغير و نوعيته غير محسوب، ولكن **ترقُّبهُ** يدخل فى صميم مفهوم العلاج النفسى و أكاد أقول فى أى علاج إلا أنه فى العلاج النفسى يأخذ ترقب التغير مكانا محوريا بل يُسعى إليه من خلال طرق علاجية مختلفة...

د. يحيى

أظن يا رفيق حكاية **"ترقب التغيير"** هذه صعبة على

الـنـاس، ذلـك لأن أغـلـبـهـم - بمـا فـيـهـم كـثـرة مـن الأطـبـاء والمعالجين يـعـتـبرون هـذا **"الـترقّب"** عمـلـيـة عـقـلـيـة واعـيـة أكـثـر ، كـمـا أنهـم يـقـيـسـون الـتـغـيير بمـا هـو **"تـغـير سـلـوكـى"** محـدد كـمـا قـلـتَ حـالا، وأنـا لا أحـسـب أنـك تـعـنـى هـذا أو ذاك، صـدقـنى يـا رفـيـق - وأنـا أعـلـم أنـك تـصـدقـنى- أنـنـى أتـابـع (وأرصـد هـذا الـتـغـيير الـنـوعـى فىّ، وفى المـرضـى، وفى أبـنـائـى وبـنـاتـى الـزمـلاء تحـت الـتـدريـب)، أفـعـل ذلـك بـصـعـوبـة ويـقـين مـعـا، خـاصـة وأن الـتـغـيير يحـدث -بـعـد تـراكـم ممـتـد- فى جـزء مـن الـثـانـيـة، وقـد سجلتُ عشرات، بـل مـئـات الأشـرطـة بـالـفـيـديـو لأعـود إلـيـهـا وأنـا أقـدم مـا يحـدث، وحـين حـاولـت الاسـتـفـادة مـنـهـا وجـدت صـعـوبـة هـائـلـة، خـصـوصـا مـع اعـتـبـار آداب المـهـنـة والـسـمـاح المسبق الـلازم حـتـمـا، مـاذا نـفـعـل إلا أن نـدور ونـلـف، وفى الـنـهـايـة نـقـول قـول الـصـوفـيـة "مـن ذاق عـرف" وبـالـقـيـاس **"مـن تَـدَرّب فَـهـم وصدّق"، و"مَـن شُـفِـىَ تجـاوزْ"**، لـكـن دعـنـا نـعـود إلى حـوارنـا حـول الإيمـان بـالـغـيـب، والـعـلاج الـنـفـسـى، مـا الـعـلاقـة؟

د. رفـيـق

(نـعـم)، مـا الـعـلاقـة بـين الـغـيـب والإيمـان بـه؟ هـل يمـكـن إذا فُـهِمَ الإيمـان بـالـغـيـب عـلـى أنـه تـسـلـيـم بـأن فى حـوزتـنـا أدوات ومـعـطـيـات كـامـنـة ومجـهـولـة قـادرة مـن خـلال مخـاض ولادة عـلـى إحـضـار أو تـلـقـى شـىء (مـن الـغـيـب) إلى حـيـز الـوجـود. شـىء ذى نـوعـيـة ودلالـة مـتـجـاوزة و مـغـيرة لـكـل الحـسـابـات؟

د. يحيـى

يُـمْـكـن ونـصـف!!!

د. رفـيـق

دخـل فى قـسـم الـطـب الـنـفـسـى الـذى أعـمـل فـيـه مـريـض تجـاوزت سـنـه الـثـمـانـين بـعـد محـاولـة انـتـحـار. هـذا المـريـض يـعـيـش وحـده و كـان قـادرا حـتى الآن عـلـى تحـمـل مـسـئـولـيـات المـعـيـشـة الـيـومـيـة ومـتـطـلـبـاتهـا بـصـعـوبـة مـتـزايـدة يـومـا بـعـد يـوم. وبـعـد الـفـحـص الـنـفـسـى تـبـين أنـه لا يـعـانى مـن أعـراض اكـتـئـابـيـة أو ذهـانـيـة الآن أو فى المـاضـى. وشـرح لـنـا المـريـض أنـه قـرر الانـتـحـار لأنـه يـدرك تـقـلـص قـدراتـه الـسـريـع وعـجـزهـا عـن تحـمـل ضـرورات الحـيـاة الـيـومـيـة، و قـد أصـبـح غـير قـادر عـلـى ممـارسـة أى نـشـاط، و بـالـتـالى قـرر المـوت إذ أن مـشـوار حـيـاتـه كـان مُـرْضِـيـاً، فـقـد آن الأوان لـكـى يـذهـب فى سـلام بـدلا مـن انـتـظـار تـدهـور وآلام و عـجـز حـتـمي.

و كـان الـسـؤال المطـروح هـو: لمـاذا نـبـقـى هـذا المـريـض فى المستشفى و بـأى حـق نـعـالجـه؟ ومِـنْ مـاذا؟ إذ هـو لا يـعـانى مـن أى مـرض نـفـسـى حـتى لـو كـانـت محـاولـة الانـتـحـار عـرضـاً نـفـسـيـاً. لمـاذا نحـاول مـنـعـه عـن مـا نـوى عـلـيـه؟ ألا يـدخـل هـذا فى نـطـاق الـتـدخـل فى حـريـتـه الـشـخـصـيـة؟

د. يحيـى:

يـاه!! هـل تـذكـر يـا رفـيـق لـقـاءنـا فى الـفـاتـيـكـان، وكـان المـوضـوع الأسـاسـى هـو **"الـقـتـل الـرحـيـم"** وكـان المـؤتمـر لـنـقـاش

مشروعية وإنسانية إجراء قتل ناعم للمريض الميئوس من شفائه إذا ما طلب ذلك، وكنت أمثل وجهة نظر الإسلام، كما كان معى فى نفس الجلسة هندوكى وبوذى وممثل لأيديولوجية الحداثة (المكافئة لدين ما)، وقال كل منا وجهة نظر ما يمثله مما قد نعود إليه فى يومية آتية هنا، وكنت آنت قد تفضلت وحضرت من باريس، لنمض معا بضعة أيام، ثم أزورك وأسرتك/أسرتى، هناك. تذكر يا رفيق كيف تناقشنا فى هذا الأمر وغيره، كما توثقت علاقتنا التى لم تكن تحتاج إلى توثيق أوثق! هذا الذى تحكى عنه هو أصعب من القتل الرحيم، لأنه هو قرار هذا الإنسان الطيب، دون أن يصاب بمرض ميئوس منه، مجرد حسابات بسيطة، ومنطق سليم ، هكذا يبدو.....

د. رفيق

(فعلا) لم أجد جوابا منطقيا أو علميا لتبرير موقفى العلاجى، و قلت لنفسى أليس الهدف الأسمى للطب هو الحفاظ على الحياة؟ هل يكون هذا الهدف السامى على حساب عذاب المرضى؟. أليس من الرحمة الاستجابة لطلبه وعدم التدخل؟

د. يحيى

يا رب سترك، ثم ماذا؟

د. رفيق

كان على أن أمنع هذا المريض من الانتحار، لأنه إذا كانت حساباته وتوقعاته منطقية، إلا أنه لا يملك أن يرى ماذا يحمل له و لمن حوله الغد، وأن من واجبي كطبيب أن أرافقه فى هذه الرحلة، وأن أكون سببا فى **حركةٍ ما** عنده أو عندى بالرغم من يقينه اليائس لمقبول عاطفا خطر فى ذهنى مقولة الفيلسوف وعالم الأنتروبولوجى والإتنولوجى كلود ليفى شتراوس Claude Lévi-Strauss فى وصف المجتمعات البدائية إذا قال أن جهلهم بنظمنا المعرفية لم يعقهم عن مواجهة تحديات الطبيعة والمعيشة، إذْ وجد لديهم نظما معرفية وإدراكية غير التى نعرفها، أتاحت لهم سبل البقاء.

د. يحيى

أحيانا يخطر ببالى يا رفيق أن المجتمعات البدائية، برغم كل سلبياتها، هى أقرب إلى الفطرة، مع أننى أرفض الترادف بين البدائية والفطرة، لكننى مع التجاوز أفهم ما نهى عنه الدين، خاصة فى مسألة إنهاء الحياة، على أنه نوع من تأكيد طبيعة ومسار الفطرة السليمة، وذلك **بتعميق العلاقة بين المعلوم والمجهول، لصالح الحياة**، ولو كاحتمال قائم **"فيما بعد" "ما نعرف"**، وهذا ما تقوله أنت ...

د. رفيق

تساءلتُ ماذا يمنع مريضنا المسن وهو يفقد تدريجيا قدراته المعرفية والجسمية أن يكتسب نوعية أخرى من الوعى بالأشياء تمكنه من تجاوز رؤيته اليائسة والتصالح مع الأشياء وتأسيس معنى مغاير لوجوده؟

د.يحيى

لاشئ يستبعد حدوث مثل ذلك، هذا بالنسبة لمريضك المتزن العاقل، برغم تقدمه فى السن، فماذا عن من فقد قدراته المعرفية جزئيا أو كليا مع مرور الزمن؟

د.رفيق

هذا المريض (الذى أحكى عنه) لا يزال يحتفظ بقدراته الذهنية بالرغم من وهنها وبالتالى الأمل فى التجاوز مشروع، فما بالك بمرضى عته الشيخوخة Senile Dementia ما الذى يبرر مرافقتهم والإتيان بكل أفعال الحياة اليومية بدلا منهم إذ يعجزون عن أى شيء يربطهم بما هو حياة إنسانية إلا ما فى ذاكرة الآخرين عنهم؟ وهم قد فقدوا القدرة على التعرف على أقرب الناس لهم، كما فقدوا كل قدرة على التواصل اللغوى أو بأى شكل من الأشكال؟

د. يحيى

صحيح، ما رأيك؟

د. رفيق

الإجابة التى حضرت فى ذهنى متعلقة بنفس الموقف السابق و إن كان هناك إمكانية إحداث Faire Advenir نقلة أو تجاوز أو تغير غير مطروحة عند المريض للضرر الذى أصاب الجهاز العصبى إلا أن هذا لا يأخذ فى الاعتبار إمكانية نقلة عند من يصاحب المريض فى هذا المشوار الصعب. النقلة المحتملة والآتية إيمانا ليست فردية بالضرورة و لكنها تشمل من يحملون مشقة تحمل العلاقة.

د. يحيى

ولكن ما علاقة هذا بالإيمان بالغيب؟

د. رفيق

إن المعطيات الكامنة والمجهولة القادرة على الحدوث ليست بالفردية أو الشخصية، كأنما ينتظر الشخص طالعه، ولكنها كامنة فى نوعية العلاقة بين الأفراد. وبذالك يصبح فعل المصاحبة و تحمل الآخر بكافة الأشكال ليس من قبيل العمل الخيرى أو الإنسانى الذى يستحق ثوابا فحسب و إنما هو الذى تكمن فيه معطيات حدوث تجاوز مستقبلي. هذا التجاوز إن لم يشمل مريضنا فسوف يشمل حتما مرافقه، و من تحمَّل تحدى الاستمرار.

د. يحيى

هل هذا هو بعض ما تعنيه من مراجعتك لإيجابية الإيمان بالغيب

د. رفيق

يبدو أننى أؤمن بالغيب، وأدرك عمق ومحورية هذا الإيمان، ليس كفرض دينى و إنما كضرورة حياتية.

د. يحيى:

يا عم رفيق أنا أشكرك جد، لأسباب كثيرة، منها أنك

ذكرتنى أننى طبيب نفسى!، وأن هذه النشرة اليومية ينبغى أن تحوى بين الحين والحين معلومات وقائية وعلاجية مناسبة لزوارنا الأفاضل، ومنها أنك طمأنتنى أنك ما زلت أنت هو أنت، وسوف أرسل لبعض أبنائى وبناتى عبر العالم، أطلب منهم مشاركتنا أنت وأنا، وكل من يهمه الأمر، مثلا د. يسرية أمين، ود. مؤمن النسر، وليس د. عصام اللباد، فقد قطع علاقتى به بشكل أراحنى كثيرا، برغم افتقادى إياه نادرا، العجيب يا رفيق أننى أحيانا، كما قلت للدكتور أسامة عرفة فى السعودية، أتصور أننى أكتب فى هذه اليومية ما أراه طبا نفسيا، أكثر مما يتاح لى إلقاؤه فى محاضرة فى مؤتمر عالمى يعقد تحت رعاية مشبوهة من شركات مغرضة على بعد مئات الأميال، ولا يتاح فيها أى نقاش حقيقى، وقد كنت أتصور بعد 47 يوما من الكتابة اليومية المنتظمة هكذا، أننى سأتلقى ممن يهمه متابعة فكرى، بما يسمح لى أن أتصور أننا عقدنا مؤتمراً مستمراً فيما بيننا، بلا وصاية، ولا شبهة رشاوى، ولا خدعة تسويق ما لا نريد تسويقه، لكن الأمور تسير كما ترى.

(أسمعك تقول، مع أنك أنهيت خطابك)

د. رفيق:
لماذا هذه العجلة ياعمنا؟

د. يحيى:
عندك حق، عندك حق، لماذا العجلة ؟

أهو الجوع إلى الناس لنحاول معا؟ أهو الأمل فى الآتى (الغيب)؟ أهو الشوق إلى الحقيقة؟ أم هو كل ذلك ؟

(أسمعك تقول مالم تكتبه)

د. رفيق
هو كل ذلك!!!

بعد الخاتمة:

أكرر اعتذارى للأصدقاء الدائمين والجدد،

ولو سمح الوقت فسيظهر بريد الجمعة يوم السبت (غدا)

كما حدث من قبل، أما إذا لم يسعفنى الوقت ، فإلى الأسبوع القادم.

السبـــــــت 20-10-2007

50- التحكّـــــــــــمْ، والخــــــوف مــن فقـــــــــــدهً (4)

اللعبة الخامسة
"حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها .. لحسن..."

اللعبة السادسة
"سيب أنت الأول، وأنا ساعتها ...."

ضيوفنا الكرام هم نفس ضيوف حلقة **"التحكم والخوف من فقده"** (من برنامج **"سر اللعبة" بتاريخ 30-3-2005)**

السيدة: منى، كلية الفنون الجميلة
الأستاذ: فوزى، مدرس تربيه فنية
الأستاذة: سوزان، صحفية
والدكتور: هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

(ملحوظة: للمتابعة، خاصة لمن لم يشاهد اللعبة الأولى والثانية يمكن الرجوع للأرشيف **ليومية (2007/10/3 "يا خبر!! .. دانا لو سبت نفسى، يمكن") ويومية (2007/10/10 "الجزء الثانى من لعبة التحكم اللعبة الثالثة والرابعة")**

اللعبة الخامسة

حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... لحسن ..

منى: يا دكتور يحيى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أنفّذه فى الحقيقة.**

د/ يحيى: يا دكتور هانى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أحلم باللى مش عاوز أحلم بيه وأشوف أكتر، يمكن ماستحملش.**

د/ هانى: يا مدام سوزان حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أبقى محتاجُهْ كل شوية، أبقى محتاج الحلم زى مايكون الحلم حايبقى إدمان، يبقى موجود كده ماسيبش نفسى.**

أ/ سوزان: يا استاذ فوزى حتى فى الحلم، أنا ما باقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أصدّقه.**

أ/ فوزى: عزيزى المشاهد حتى فى الحلم، أنا ما باقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أصحى من النوم.**

آراء بعد اللعب

د/ يحيى: حد وصل لّه حاجة جديدة؟

أ/ فوزى: أنا فعلا اكتشفت إنى ماباسيبش نفسى على راحتها إلا فى الحلم ***بعكس اللعبة.***

أ/ منى: فى الحلم أنا ماقدرش أتحكم فى نفسي، أسيب نفسى بالعافية.

د/ يحيى: إيش عرّفِك؟

اللعبة دى فقست حاجة علمية صغيرة ، إن الحلم بيتهيألك إنك إنتى مش بتعمليه، إنما اللعبة سرقتنا إحنا الخمسه علشان تورينا إن فيه جوه الحلم **"إرادة ما"، وحدود ما، ومساحة.**

"..."

إحنا **لعبناها، إتسرقنا،** وبعدما اتسرقنا، رجعنا فى كلامنا، علشان كده سميناها سر اللعبة.

يعنى لو قلنا محاضرة عنوانها: **إننا فى الحلم نملك إرادة ..** "مش حاتوصل للناس"، وإنما لما نلعبها ونتسرق إحنا الخمسة!!!، أنا ماتسرقتش أوى لأنى كنت منتمى للحكاية دى، يعنى ....

أ/ سوزان: بس إحنا ملتزمين بنجاوب على الاسئلة

د/ يحيى: على فكرة دى الحقيقة، ما دام سوزان نبهتنا: إفرض واحد مش مقتنع بالجملة، بيمثلها، وإحنا بنمثل برضه بنسرقه،

حد له تعليق على اللعبة دى بوجه خاص "حتى فى الحلم"، بالذات المساحة دى.

د/ هانى: اللى وصلنى يا دكتور يحيى "................."

إن الحلم فرصة إن أنا أشيل الجبس اللى أنا لابسه، ويمكن شوفنا ده مع الوعى ومع العيانين وكده ، إن النقلات بتفرق.

المناقشة

لا مفر من تكرار التذكرة بأن "ظاهرة الحلم" هى من أكثر الظواهر الحياتية عامة، والنفسية خاصة، التى أسئ تناولها **علميا وشعبيا،** حيث يتم التركيز على محتوى الحلم أكثر من النظر فى **"عملية الحلم وحركيته"**، كما أننا نتصور خطأ أن ما نحكيه هو ما نحلم به، مع أنه - حسب نظريتى **(الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع)** ليس إلا ما نلتقطه فى الثوانى قبيل اليقظة من بقايا المعلومات التى تحركت أثناء الحلم لنستنتج منها ما نحكيه، ثم يأتى الخطأ الأخير والأخطر، وهو اجتهادات تفسير الحلم بالرموز الثابتة أو حتى المتغيرة، طول الوقت سواء كان تفسيراً تراثيا (ابن سيرين مثلا) أو تفسير التحليل النفسى (فرويد).

اللعبة هنا - بتلقائية لم أتوقعها - أثبتت فرضاً فرعيا من فروض **نظريتى فى الأحلام**، وهو **"أن فى الحلم قدْرُ من الإرادة"**، سواء كانت تقوم بالإسهام فى تشكيل الحلم، أو كانت عملية تنظيمية - لا نعرفها - تحد من شطحات الحلم وكأنها تحد من شطحات الجنون. هنا يجدر بنا أن نُسَمِّى الحلم باسم: **"الجنون الفسيولوجى الإيجابى"** هذا لأنه هكذا يقوم بدور "صمام الأمن" الذى يمنع ظهور التناثر العشوائى فى اليقظة.

عموما

نلاحظ كيف أن الرأى بعد اللعبة قد أظهر نوعاً من التراجع النسبى، **(أسيب نفسى بالعافية: مُنَى)** أو أعلن عكس ما جاء فى اللعبة **(ما باسبيش نفسى على راحتها** - بعكس اللعبة: **فوزى)**،

أما انتباه سوزان للسرقة أن **"اللعبة سرقتنا"** فهو أقرب (إلى الاعتراف بهذه الإرادة الجزئية فى الحلم) وهو ينَبِّه إلى أن الالتزام بألفاظ اللعبة هو الذى استدرج اللاعبين إلى ما صرّحوا به، فهى ملاحظة جيدة، **تؤكد أن اللعبة قد صمِّمت لتقوم بهذا الدور تحديدا.**

الاستنتاج

إن هذه الألعاب، ومنها هذه اللعبة تقوم بأدوار: "كشف المستور، وسرقة المكنون إلى نور البصيرة" (ولو جزئيا، ولو مؤقتا)

بالنسبة لقراءة بعض الدلالات "الفردية" لاستجابة المشاركين نلاحظ ما يلى:

مُنَى:

"مُنَى" احترمتْ الحلم **كواقع بديل**، يمكن لو أخذ فرصة سماح أكبر، فربما حلّ محل **واقع اليقظة**، وهنا أحب أن اشير إلى فرض آخر افترضته يؤكد أن الإبداع (ونحن نذكر الفرض القائل: إن الحلم هو نوع من الإبداع) هو واقعُ، أكثر واقعية من الواقع العادى الذى نعيشه، وهذا هو ما اسميته "الواقع الإبداعى" وباعتبار حالة الحلم هى نوع من الإبداع كما ذكرنا، يمكن أن نرجح أن هذا هو ما أشارت إليه "مُنَى" فى استجابتها.

سوزان

سوزان أَيدت توجُّه "مُنَى" من منطلق آخر، فهى لم تَخَفْ من احتمال أن يحضر الحلم فى الواقع، لكنها خشيتْ أن تصدّقه، وهذا دليل غير مباشر على اعترافها **بواقعيته الخاصة به.**

فوزى

كانت إجابة فوزى فى اتجاه استعمال الحلم حارسا للنوم، وهى الفكرة التى قال بها سيجموند فرويد بشكل مباشر، وموجزها أن المثير الذى حولنا (أو حتى من داخلنا) والذى يهدد بإيقاظ النائم، يجعلنا ننسج حلما يحتويه (يحتوى هذا المثير)، ومن ثَمَّ فإن الحلم يساعد على استمرار النوم كما نبّهنا فوزى، مؤيدا فكرة فرويد.

د. هانى

د. هانى أيضا أقر قوة الحلم، ربما كواقع بديل مثل "مُنَى"، "سوزان".، وأيضا أقرّ قوته فى ذاته، حيث تصور أنه لو سُمِحَ له (للحلم) بالتمادى، فالتكرار، فإنه يمكن أن يصبح إدمانا لأنه، كما قال د. هانى، يمثل احتياجا ما، (لكن لا يمكن استبعاد أن د. هانى طبيب نفسى فى نفس الوقت).

د. يحيى

مازال د. يحيى فى موقفه الذى يحدد له - حذراً - مساحة السماح - حتى فى الحلم - بالتالى يعلن تخوّفه مِنْ أن ما يترتَّب على التعرية من رؤية، فبصيرة وربما مسئولية، قد تكون أكبر من احتماله، فهو يخشى و يكرر: أنه يحاول ضبط جرعة الرؤية حتى يتحملها.

خلاصة الخلاصة

أن الحلم ليس ظاهرة عشوائية،

وأن ثمة إرادة غير الإرادة التى نعرفها تساهم فى تشكيله وضبط مداه وتوظيفه إيجابيا فى الأحوال العادية.(بغض النظر عن محتواه، أو تفسير ظاهِره)

***

اللعبة السادسة

سيب انت الأول، وانا ساعتها ......

أ/فوزى: يا مدام منى **سيبى انت الاول ، وانا ساعتها ، حاوريكى**

أ/منى: يا دكتور هانى **سيب انت الاول، وانا ساعتها اسيب**

د/هانى: يا دكتور يحيى **سيب انت الاول وانا ساعتها حاوريك سيبان ماشوفتوش قبل كدة**

د/ يحيى: يا مدام سوزان **سيبى انت الاول ، وانا ساعتها ، ربنا يستر**

أ/سوزان: أعزائى المشاهدين **سيبوا انتم الاول وانا ساعتها ، ربنا يقدرنى عليكم**

آراء بعد اللعبة

أ/ فوزى: من الواضح إن مافيش حد مستحمل حد، وإن كل واحد مستنى للتانى. بس سَيَبَاَنَـهْ صُغَيّرة وحا يحصل انفجار

أ/ منى: معنى كده ان كل واحد ماسك نفسه على الاخر ومستنى اللى قدامه يدى المبادرة إن هو يبتدى

د/يحيى: انا رأيي دا اكتشاف جيد جداً: بمعنى إن المهم مش إنى ماسك نفسى علشان أنا عاوز أمسك نفسى، (برضه) لأ دا علشان اللى قصادى ماسك نفسه، و ده معنى يقولك **"سيب وانا اسيب"**، وحتى فى المفاوضات فى السياسة **"سيب وانا اسيب"**. سيب دى قصاد دى، وساعات المفاوضات اوالعلاقات تتعثر لمجرد ان كل واحد معاند وسيب انت الاول، علشان كده حكاية الحرية تنتهى

عند حريه الآخر على العين والرأس لكن ده فى المعاملات الرسمية (ويمكن) عند الخواجات الذوق، إنما عند العلاقات لما تقّرب وتبقى حميمة أعتقد أن (المسألة) عاوزة درجة من المغامرة شوية **(يومية 10/16 من ملف القيم والأخلاق: بحث علمى شعبى (2)!!** و"خيركم من يسيب الاول".

أ/ سوزان: انا وصلتنى دلوقتى ان العلاقات الانسانية ...... أنا حسيت إن كل انسان علشان العلاقة تكون سوية لازم يتنازل- ده فى العلاقات كلها - حتى بنقول فى السياسة لازم تبدأ بتنازلات ولو بسيطة علشان الحياة تستمر.

د/يحيى: هو التنازل فيه سيبان؟ بس كلمة سيب بيتهيألى (واسعة شوية)

أ/سوزان: اوسَع، بس إزاى؟ هى بتبدأ بالتنازل، مش سهلة علشان كده باقول تحتاج قوة.

د/هانى: يادكتور انا وصلنى حاجة من السيبان عدكم أنتوا الاربعة، انا حسيت مدام منى بتقول سيبان وانا اسيب ومدام سوزان بتقول ربنا يقدرنى، وفوزى برضه لما دًخل. أنا السيبان لما قلتها لحضرتك زى ما يكون معناها اكتر "اشوفك بتسيب بمعنى بتكسر الحدود اللى انا متوقعها، فانا حاسيب برضه

د/يحيى: أنا مش شايف الاختلاف اوى

د/هانى: انا حسيت انها سيب بمعنى سيب الضغط لكن (مش) سيب بمعنى سيبان ...

د/يحيى: انا لما قلت ربنا يستر كانت بأنهو معنى فيهم ياترى؟

أ/ فوزى: هى وصلتنى بالمعنى (الشامل) .... (يعنى) ربنا يستر على الاتنين

آراء بعد اللعبة

بصفة عامة

أولا: أظهرت هذه اللعبة - حتى الآن - أن مسألة السماح بدرجة أقل من التحكم، تتطلب جوا عاما من السماح الذى ظهر فى اللعبة **فى استعداد أى واحد أن يسمح لنفسه بدرجة من السيبان لو أطمأن أن الآخر بدأ هذا السماح،** أو على الأقل أنه مستعد للمعاملة بالمثل.

ثانيا: بدا إن الذى يطمئن إلى سيبان الآخر أولا، تنطلق منه طاقة سيبان تصل به إلى التقدم الجسور، وليس فقط إلى إطلاق ما بالداخل **(فوزى:** حاوَرِيكى، د. هانى: حاوريك سيبان ماشوفتوش قبل كده **- سوزان:** ربنا يقدرنى عليكم)

وبالنسبة للقراءة فردا فردا

يمكن أن نلاحظ ما يلى:

فـوزى
.... لاحظنا فى اللعبات السابقة أن فوزى هو الأكثر دفاعا، لكنه يبدو هنا أنه حين أطمأن إلى سيبان الآخر أولا، سمح لهذه الانطلاقة التى اشرنا إليها فى الملاحظات العامة **حاوَرِّيكى.**

منى
..... كانت استجابة "مُنَى" هادئة فى حدود الطمائنية للمعاملة بالمثل والاحترام المتبادل غالبا.

د. هانى
برغم أن د. هانى طبيب نفسى صغير، إلا أن تركيبته الدفاعية (ربما من أسبقية وغلبة المعلومات النظرية) تغلغلت فيه أيضا مثل فوزى، وهو حين اطمأن، ترك اندفاعته المعقولة إلى مداها.

سوزان
كانت استجابة سوزان محكومة بأنها تخاطب المشاهدين، فسيبان المشاهدين - وهم كيانات غير حاضرة - لاتُطَمْئِنْ، وبالتالى فإننا ونحن نقرأ استجابتها **"ربنا يقدّرنى عليكم"** لا يمكن الجزم بما تقصد، هل معنى ذلك أنها فى مقدورها أن تتحمل كم هذا السيبان من مجموع المشاهدين حتى تسمح لنفسها بمثله، أم أنها استشعرت نفس الانطلاقة التى استشعرها فوزى ود. هانى؟

د. يحيى
كانت استجابة د. يحيى أكثر تحفظا وعمومية "ربنا يستر"، تُرَى هل هو يدعو بالستر على ما سيسمح به من سيبان، بعد الطمأنئية لسيبان الآخر، أم أنه يشير إلى ما يمكن أن يسمح به أن ينطلق منه من "تعرية" أو "اندفاعة"؟

خلاصة الخلاصة

مازلنا نقدم ألعاب حلقة واحدة، ونشير إلى أن ما جاء من مشاركات نقدية من القراء حتى الآن، إزاء ما نشر من ألعاب ستة (بقيت أربعة) هو محدود جدا، فنتقدم بدعوة صريحة للقراء والزوار والنقاد للمشاركة والتصحيح، حتى نأمل أن نجمع المادة فى النهاية بعد هذا الصدور المسلسل، فيما يفيد أكثر، ربما، إن شاء الله.

تنويه

النقط الواردة فى المتن، حتى فى الاستجابات تشير إلى ما حُذف من النص لأسباب توضيحية،

فى حين أن الأقواس الكبيرة هى عادة إضافة من التحرير حتى يتضح السياق

مع الحرص على ألا يترتب على هذا أو ذاك أى تحوير للمحتوى. **(ويمكن الرجوع إلى التسجيل للتأكد)**

شكراً

الأحــــــــد 21-10-2007

51-ســـــــؤال & جـــــــــواب عن الإدمـــــــــان

مقدمة

وأنا أقلب أوراقى - وهذا مرة أخرى من أهم أفضال هذه النشرة اليومية - وجدت كتابا بأكلمه بعنوان "إشكالة الإدمان، والقيم المعاصرة"، من 245 صفحة من القطع الكبير، (لم ينشر طبعا) تأليف العبد الفقير إلى رحمة الله ونظرةٍ منكم، وفى صفحة 29 وجدت فيه حديثا ردَدْتُ فيه على عدد من الأسئلة الهامة حول هذه "الكارثة الرائعة"، وتصورت - دون أن اتأكد - أن هذا الحديث موجود فى مكان ما بالموقع،

لكننى عدت أتساءل: كم من زوار الموقع عامة، والمتابعين لهذه النشرة اليومية خاصة، سوف يعثر على هذا الحديث الَهام عن ظاهرة الإدمان؟ ثم إنى تذكرت أن كثيرا مما ظهر حتى الآن فى هذه النشرة، قد يكون إعادة، أو تحديث، أو اقتطاف مما هو موجود فى مكان آخر بالموقع،

إذن!! هذا مسموح، فاخترت أن أنشر هذا الحديث بأقل قدر من التدخل، وإن كنت لا أذكر: مع مَنْ أجريتُه؟ وهل نشر أم لا؟ ولا أين؟

كل هذا يجعله أحق بالنشر، أو إعادة النشر هنا.

سؤال & جواب عن الإدمان

1- من هو المدمن؟!

هناك تعريف طبى أكاديمى للإدمان، تكرر حتى فَـتُرَ، وهو يعرف المدمن بأنه **من اعتاد حتى اعتمد على مؤثر كيميائى، طبيعى أو صناعى من خارج جسده، حتى أصبحت خلاياه لا تستغنى عنه.**

إلا أن التعريف الذى اقترحتـُه ذات مرة بعد الهيجة الأخيرة الدائرة حو الإدمان هو أعم وأشمل، حيث أرى: ***أن المدمن هو من اعتاد - بأى وسيلة- على تعتيم وعيه، حتى أغلق اهتمامه، وسكن إلى اعتمادية ضارة، سواء كانت هذه الاعتمادية المستمرة والمعطلة هى اعتمادية على أحد أو على فكرة، أو على عقيدة أو على وصفة طبية كيميائية.... إلخ.***

2- متى يصحّ أن نصف إنسانا ما بالإدمان؟
بالتعريف السابق، يمكن أن نصف أغلب الناس بذلك، وإنما يهمنى ألا أبالغ بالتعميم، فأكتفى بأن أضع **ثلاثة** شروط لوصف "المتعاطى" (والمتعاطى غير المدمن!) بهذه الصفة (بالمعنى السلبى)، وهى:

1- **التعود** حتى العجز عن التخلى عما يتعاطاه

2- **وتعتيم الوعى** على حساب الوعى العادى المسئول

3- **والضرر** الناتج عن هذا وذاك، بما فى ذلك الإعاقة عن التكيف، وإيذاء الذات، أو الآخرين.

3- هل يشمل الإدمان عامة بالتعريف الواسع الذى ذكرتَه: المخدرات، الكحوليات، المكيفات بأنواعها، التدخين، الطعام والشراب، وغيرها من بعض السلوكيات المعتادة والشائعة؟!
نعم، يشمل كل ذلك، بل وأضيف عليها أنه يشمل: **الأفكار والمعتقدات**، وبعض طرق البحث (العلمى!!!!) وبعض طرق التفكير، بل وبعض طرق الترفية، مثل إدمان العادات الاستهلاكية.

وأنا لا أستطيع أن أفصل الدعاية التى تهاجمنا ليل نهار لتروج لما **يسمى مجتمع الرفاهية**، أو لتسوِّق **حبوب السعادة** والطمأنة الكيميائية التى يوزعها الأطباء، لا أستطيع أن أفصل هذا أو ذاك عن المصيبة التى نعيشها واسمها الإدمان (فى صورته السلبية) فكل منها يروج لنوع من سبل الاستسهال والخدر، وإن اختلفت اللغة وتنوَّع التبرير.

4- إلى أى مدى تصدى الإعلام المصرى - والعربى- لظاهرة الإدمان، بالتوصيف والشرح والتحليل ووسائل الوقاية والعلاج، وغيرها.. هل كان منصفا أم مبالغا أم صادقا أم مزيفا للحقائق؟!

إلى المدى المضحك والمزعج معا.
أنا لا أنكر الاجتهاد وحسن النية من كل من حاول ويحاول.

ولكن صدقينى أنا كنت أشاهد أحيانا فى التليفزيون مقابلات مع **مدمنين وأطباء هى أقرب إلى المسرح الفكاهى السخيف. بالله عليك:** على من نضحك بهذه البرامج؟.

وأحيانا كنت أستمع للنصائح باعتبارها **توجيهات إلى ضعاف العقول** لا أكثر، وليتها توجيهات تليق.

ثم عندك مسألة الأفلام (فيما عدا العار)، شاهدت أفلاما ترسم صورة المدمن كأبهج، وأحذق، وأخف دما من أى ملتزم (قفل) آخر فى الفيلم، خاصة لو كان يدرس الدكتوراة!! (فيلم الكيف مثلا)،

ثم فيلم آخر (فيلم الوحل) يروج إلى أن **الإدمان ليس له علاج فى مصر،** ثم يكاد يقول فى النهاية: إن العلاج فى الخارج وعلى نفقة الدولة هو الحل.

يـا صلاة الـنبى!!!

أهذا هو دور الإعلان!! والـفن؟.

ثم هذا الـذى نـشر فى صحيفـة يـومـيـة طوال شهـور كـان أغلبـه لـلأسف **مـسـتورد،** ورغم حسن الـنـيـة ونجاحه فى إثـارة حـوار حول المشكلـة، **إلا أنـه انـتـهـى بـشكل أو بـآخر إلى الـنصح والإرشاد، واستيراد الأفـكـار والمنـاهج من الخـارج.، بـشكل حرفى تـقـريـبـا.**

لـقـد كـدت أشك أنـنـا نـضر الـقـضـيـة بـفـرط الـنـشر حولهـا هـكـذا، بـل بهـذا الحديـث الـذى أدلى بـه حـالـيـا..أيـضـا، ولـولا أنـى أعلـم أن غيرى سـوف يـفـتى - بـلا تـردد- بمـا أعتبر نـفـسى مـسـئولا عن سطحيتـه، وضرره (لـو امـتـنـعـت) لمـا فـتحت فمى بـكـلمـة.

5- مـا هـو تـأثير المخدرات - تحديـدا- عـلى مـخ الإنـسـان - أجزائـه ومكونـاتـه وعمـلـه ونـشـاطـه ووظـائـفـه- الخلايـا الـعـصبـيـة والأوردة الـدمويـة والـعـقـل الـبـاطـن والـواعى، والـذاكـرة، والـتـفكير، وغيرهـا من مكونـات وأجزاء المخ، وعمـلـه ووظيـفـتـه؟!

هـو تـأثير سيئ جدا، على كل هـذا.

ولـكـن مـاذا يـفـيـد المدمن من هـذا الـتـأكـيـد الخطابى كـلـه، أو من تـفـصيـل فى ذكـر معـلـومـات أكـاديمـيـة جـافـة

إن غيرالمـدمـن لا يـهـمـه هـذا.

وأهل المدمن يـعرفـون الـشر والأذى والـضرر أكـثرمن أى طبـيـب،

والمدمـن لـيـس هـنـا من أصلـه،

فـلـمـن نـكـرر مـثـل هـذا الـترهـيـب، والـتـخويـف لـيـل نهـار، ونحن نـعـدد معـلـومـات لـيس لهـا فـائـدة عمـلـيـة!؟؟.

6- لـو أن إنـسـانـا مـا، شم شمة معينـة من المخدرات.. مـا الـذى يحدث- بـالـتحديـد- مـنـذ اسـتـنـشـاقـه، أو شمه لهـذا المخدر أو ذاك، من خلال أنـفـه.. مـا هـو الـطريـق الـذى يـسلـكـه المخدر- من فـتحة الأنـف-حتى يحدث تـأثيره على المخ والجسم حيـاة الإنـسـان، بـشكل عـام؟!

بـالله عليك هل هـذا مفيـد نـشره فى الـصحـافـة الـعـامـة؟

ثم إشـاعـة أن شمة **واحدة تـكـفـى لـلـوقـوع فى هـاويـة الإدمـان، هـو حديـث أشبـه بـالـدعـايـة إلى قـوة المخدرات الـتى لأُتـقَـاوم، وهـو تـوريـط لمن يخطئ مرة واحدة بـالـصدفـة، وهـو نـوع من الـتـهـويـل الـذى يجعل الـشـاب يـسـتـسلم قـبـل المعركـة بـزمـان.**

إنـى أعتبر أن الأهم هـو أن نـعـلـن أن الـترويـج المـبـاشر وغير المـبـاشر لـلـمخدرات الـكـيمـائـيـة بـواسطـة الأطبـاء عـامـة وأطبـاء الـنـفس خـاصة هـو الخلـفـيـة الـتى تـسـاهـم فى تـفـاقـم هـذا الخطر، وذلـك نـتـيـجـة لـغسيـل المخ الـذى تمـارسـه لـيـل نهـار الـدعـايـة المفـرطـة لـضرورة الأدويـة المهـدئـة كـجزء لا يـتـجزأ من طقـوس الـعَصْرَنَـة، وكـمظهـر لـلـمتطلـبـات الأسـاسـيـة لمجتمع الـرفـاهـيـة قِبْلـةُ الإنـسـان

المعاصر على مستوى العالم، هذا وذاك هو الذى يؤدى بنا إلى ثقافة التخدير التى يترعرع فيه الإدمان.

فكأن الناس، فالمدمنين خاصة، يقولون للأطباء والساسة وقيم العصر:

ما دام الأمر تخدير بتخدير، فقد جربنا وثبت أن بضاعتكم نصف نصف، لا تقوم بالواحب، **فلنأت البيوت من أبوابها، وهات يا تخدير بحق وحقيق.**

7- بالمناسبة: هل يختلف تأثير المخدرات الطبيعية- الحشيش والأفيون وغيرهما- عن الأخرى التخليقية والمركبة، فيما تحدثه من آثار؟!

طبعا تختلف: ولكن ما جدوى هذا السؤال - أيضا - بالله عليك؟

فى تصورى أن المهم هو أن نفرق بين تعتعة الوعى، وهو أمر ضرورى للحركة العقلية، وخاصة الحركة التى تمارس التفكيرالحر، والإقدام على اختراق المسكنات العقلية التى تكبل وجودنا، وبين **تعتيم الوعى**، وهو ما ينتهى إليه تعاطى أى مخدر أو منبه.

ونحن قد مسحنا، وشجبنا، وحرّمنا، كل نشاط جماعى أو فكرى يساعد على حركة التفكير القِلَقَةْ الكريمة نحو الاكتشاف والإبداع، فاضطر الناس إلى تحريك وعيهم **(تعتعته)** بالمخدرات، والمنبهات الطبيعية (كالحشيش) أو الصناعية (كالعقاقير)

ثم رحنا نلومهم، ونعالجهم

قولى لى بالله عليك، مادام الرقص الجماعى مرفوض **(عيب، وقلة أدب)**، والذكر **(ذكر الله فى الموالد، وفى الحضرة الأسبوعية أو الشهرية فى الأرياف، ربما زمان!)** يعتبر من قبل السلطات الدينية، والأخلاقية: "دجل وشعوذة"، كما يعتبر الزار تخلفا، ولا يبقى لنا إلا أن ننام أمام التليفزيون بعد الساعة الواحدة صباحا؟ فماذا يتبقى بما يسمح لحركة العقل أو الجسد أن تكتشف الحياة وتعمّقها وتعيد تخليقها؟، أفلا يؤدى كل هذا **"الحظْر على حركية الوعى"** إلى أن يلجأ الشباب - فيما يشبه الاحتجاج- إلى تحريك عقولهم بهذه الحركات الكيميائية المُقْحَمَة السامة؟ بما يؤكد لهم أنهم مازلوا أحياء لهم حقهم فى الاختلاف حتى الموت خدرا؟؟؟!!

8- طيب: هل يختلف التأثير بين المخدرات- طبيعية كانت أم تخليقية- عن الكحوليات التى يجرى تناولها عن طريق الفم.. وهل تؤثر الكحوليات فى المعدة والأمعاء والكبد أكثر.. أم فى المخ والخلايا العصبية أكثر؟!

مرة أخرى: ما فائدة الأجابة المتحذلقة على مثل هذا السؤال مهما بَدَتْ إجابة علمية.

الإجابة بالمختصر المفيد هى:

طبعا يختلف، وكله أكثر من كله!!!!!.

وأنا أعنى بهذه السخرية أن المسألة ليست مسألة تنافس فى الإضرار، صحيح أن على الطبيب أن يعرف مضاعفات هذا ومصائب ذاك، كما أن عليه أن يحذق تحديد موضع الضرر بشكل خاص، ولكن الأمر بالنسبة للشخص العادى (الذى هو مشروع المدمن بشكل أو بآخر) هو مختلف، لأن الشخص العادى لا يختار العقار الذى سيصيب كبده دون مخه، أو سيضر معدته دون صدره، ينبغى أن يكون مدخلنا إلى هذه المسائل مختلف من مخاطَبْ إلى مخآطب. **فالمعلومة الطبية** الأكاديمية قد لا تعنى شيئا لا عند المدمن، ولا عند الشخص العادى، فى حين أن **المعلومة التطبيقية** التى تسد حاجة السائل وتهديه إلى أهدافه هى التى يجدر بنا أن نقدمها للناس.

إن كل هذه المواد المخدرة لها استعمالاتها الطبية المناسبة، وبالتالى لها فوائدها، بجوار أضرارها طبعاً، وحتى تغيير الوعى الذى هو هدف أساسى فى عملية الإدمان قد يكون مطلبا طبيا فى وقت من الأوقات، سواء أثناء عملية العلاج المكثف لبعض الأمراض النفسية أم فى أزمات النمو الخاصة، والوظيفة التى يؤديها أى **"مغيِّر للوعى"** للوعى هى وظيفة ذات حدين، ففى حين أن **التعتعتة** التى تسمح بالحركة التى قد تكون مطلبا محدودا فى وقت ما، فإن **التعتيم ثم المحو** هو ضرر مطلق فى نهاية الأمر، والمصيبة أن غير الطبيب لا يفرق بين تعتعة وتعتيم، وحتى الطبيب وهو يستعمل عقاقيره الطبية أحيانا ما يتجاوز الحد بين التهدئة، والتطمين، أو بين التخدير والتذهيل (من الذهول)، كذلك هو أحيانا ما يتخطى مرحلة التعتعة - التى قد تكون إيجابية - دون أن يتبين متى ولا إلى أين هو ذاهب بهذا التحريك المحسوب أو غير المحسوب للوعي.

وكل هذا ينبغى أن يُتناول بأكبر قدر من الشجاعة والمسئولية والعلم والأخلاق والالتزام، بدلا من الهرب وتوزيع قشور المعلومات، ونشر النصائح الزائفة، والمعلومات الناقصة

9- بعد كم جرعة أو شمة أو قطعة أفيون أو حشيش أو كأس خمر، يصبح الإنسان مدمنا؟

هذا أمر يختلف من فرد لفرد.

فونستون تشرشل كان يشرب برميلا من الخمر، وهو رئيس وزراء، وأديب، وفنان، وإنسان ولايعتبر مدمنا.

وسيد درويش كان مخزن مخدرات متنقل، وقد ترك لنا فى سنوات ما لم يقدّر حق قدره حتى الآن.

وأسمهان كانت تتعاطى كل ما يتعاطاه، وما لا يتعاطاه ثلة بأكملها من المدمنين.

ولكن هذه حالات فردية لا يقاس عليها، لكن القصد من ذكرها هو التنبيه على أن **التعميم** هو ضد العلم وهو يشوه الحقائق، وأن المسألة لها - دائما - أكثر من وجه، وأكثر من

حساب، وأن الفروق الفردية شديدة الأهمية والدلالة، وأن ظروف التعاطى تختلف، ولابد من حساب كل حالة على حدة، ولا داعى للترويج لحكاية ثمة واحدة تكفى للغوص فى بئر الإدمان، كما ذكرنا فى بداية الحديث.

10- لو كان إنسان ما مدمنا.. كيف يقلع؟! ولو لم يكن، كيف يتجنب ويتحاشى ويتقى الإدمان؟!

أولا: أحب أن أؤكد عكس النغمة الشائعة التى يغلب عليها قدر كبير من اليأس والتعجيز فيما يتعلق بعلاج الإدمان، فأقول: **إن للإدمان علاج.**

فقط لابد من تحمل الإلتزام بالعلاج الطويل المدى بما فى ذلك حدوث بعض النكسات.

ثانيا: أحب أن أنبه أن مجرد الإنقطاع عن المخدر ليس هو العلاج، ولكنه المرحلة الأولى فحسب.

ثالثا: أحب أن أؤكد أن المدمن لا يحتاج إلى من يقول له هذا مضر، وكفى، وإنما يحتاج إلى بديل يحقق له ما كان يتصوره سيتحقق بالمخدر.

لابد أن نفهم أن المدمن (مثل أى إنسان) **يحتاج** إلى صحبة ظريفة شريفة، بدلا من الصحبة الذاهلة الغائبة.

(وهذا هو دورالعلاج الجمعى والتأهيل فى مجتمع علاجى، ثم المجتمع الأوسع بعد ذلك وقبل ذلك)

إن المدمن (كما أى إنسان) **يحتاج** إلى تحريك وعيه (تعتعته) بطريقة أكثر أمانا مع آخرين

وهو (مثل أى واحد) **يحتاج** إلى تحريك الإبداع الذى يصاحبه نوع من تغيير الوعى الخلّاق، حتى لا يحتاج إلى المخدرات والمواد التى تفتعل تحريك الوعى، لكنها سرعان ما تجهض المحاولة بالتعتيم بعد التعتعة)

وهو أخيرا **يحتاج** (مثلنا جميعا) لأن نحترم وجوده حتى لا يلغى نفسه وكيانه وراء غيامة الخدر.

وكل هذا وارد فى العلاج فى المجتمع العلاجى،

ومعسكرات العمل والتأهيل الممتد.

كما أنه لازم لنا جميعا للوقاية من كل أنواع الإدمان بلا استثناء.

- الأهرام: رئيس التحرير أيامها أظن من أكثر من عشر سنوات.

الإثنيــــــــن 22-10-2007

52- التحكُّـــــــــــمْ، والخــــــــــــــوف من فقـــــــدهً (5)

لـعبتـان: 7، 8 عن: الـتحكُّمْ، والخوف من فقدهً

الـلعبة الـسابعة

أنـا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما أعرف إن...............

الـلعبة الـثامنة

الـلى مـانعنى أسيب نفسى .... هو ....

ضيوفنـا الـكرام هم نـفـس ضيوف حلقة **"الـتحكم والخوف من فقده"** (من برنـامج **"سر الـلعبة" بتـاريخ 30-3-2005)** وقد نشرت الحلقـات الأربعة الأولى بـتـاريخ **(الـلعبة 1 يـومية 3-10)** والـثـانية **(لـعبتـان الـ (2،3) يـومية 10-10)** والـرابعة **(الـلعبة الـ (4) يـومية 14-10)** والـثـالثة **(لـعبتـان الـ (5،6) يـومية 20 - 10)**

الـسيدة: منى، كـلية الـفنون الجميلة
الأستـاذ: فوزى، مـدرس تـربيه فـنية
الأستـاذة: سوزان، صحفية
والـدكتـور: هـانى مـدرس مساعد (طب نـفسى) جامعة 6 أكـتوبـر

اعتذار واكتشاف

أثنـاء مراجعتى لـليوميات، الـتى نـزلت فيهـا هذه الحلقات متـتابعة، اكـتشفت أن الـلعبة الخامسة نـشرت مرتين فى يـومى 10/14، 2007/10/20، بـتعقيبين مختلفين ومنـاقشتين أيضاً، وذلك فيما عدا "نص الـلعبة" و"آراء بعد الـلعبة" (فـهما تـفريغ مبـاشر من شريط الـتسجيل)، ورغم خجلى من ذلـك، ومراجعتى لهذا الخطأ واعترافى بـه حالاً، إلا أن ذلـك أدى بى إلى اكـتشاف أفـرحنى، بقدر مـا ألـزمنى بـاعتذار واجب.

ملاحظات مبدئية عامة

قبل أن نـعرض نـص الـلعبة نـود إبـداء الملاحظات الـتـالية:

1- يـوجد وجه شبه بين بعض الألـعاب الـعشرة وبعضها الـبعض، لـكن المؤكـد أنـه لا يـوجد تـطابق.

2- إن الـتوجه فى الألـعاب الـعشرة كـان واحدا، بمعنى الـدعوة إلى (أو الإغراء بــــ) "الـسيبـان"، فى مقابـل الـتحفظ أو الخوف من الـسيبـان، مع وضع الـشروط المنـاسبة، فى الحالـتين.

3- إنه بالرغم من التشابه الظاهر، إلا أن ألفاظ كل لعبة كانت تعطى **مساحات مختلفة من الحركة**، وأيضا تدفع **فى اتجاهات متنوعة.**

والآن إلى نص اللعبة السابعة

أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما أعرف إنّ (أو: إنى..)

ا/فوزى: يا مدام سوزان **أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما اعرف إيه العواقب، ابقى اعمل حسابها**

أ/سوزان: يا منى **أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما اعرف إنى فى موقف ما أخفش منه**

أ/منى: يا دكتور هانى **أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما اعرف ان اللى قدامى ممكن يحتوينى او يتقبلنى باللى جوايا**

د/هانى: يا دكتور يحيى **أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما اعرف ان انتوا سايبنى سيبان سايب(!)**

د/يحيى: عزيزى المشاهد **أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما اعرف انى فى وسط ناس، بيعملوا زيي ومسامحنّى، وحايحترموا اللى يحصل أيا كان.**

آراء بعد اللعبة

د/يحيى: حد وصل له حاجة جديدة

د/ هانى: وصلنى ان السيبان ممكن يوْصَلْ منه احترام، رغم ان أنا سايب حاجة، طالع منى حاجة سايبة، ومش حاسيبها يعنى، وكاسر بيها حاجات غير متوقعة، ممكن تساوي عند الآخر "احترام"

أ/سوزان: انا وصلتنى... كده إن كل إنسان محتاج لآخر يحتوية

أ/سوزان: هو (الواحد) لما يسيب نفسه يجد الاخر يحتوية فعلا

د/يحيى: هو الاحتواء وصل، والاحترام وصل، ومعاملة المِثْل وصلت، وإنها حاجة مؤقته مش على طول، الظاهر هانطلع من اللعبة دى مش (إن) المسألة **"أسيب أو ماسبشى"**، قد ما هى: "أسيب امتى"، "المدة قد اية" و"مع مين"، (أيوه) **اسيب إمتى ومدة قد أيه ومع مين، "متبادل ولا لأ"؟ "معاملة المثل" ولا واحد هايبص للتانى من فوق؟** إحنا عملنا اللعبه كويس اوى، على الله يكون وصل للمشاهد، يعنى هو (المشاهد) لو لعب معانا أو حتى بعد ما نخلّص بنقول الألعاب يمكن يسيب (بالشروط دى).

د/يحيى: (يا) فوزى أنا وصلنى منك حاجة خضّتنى شوية، حسباتك كانت باينة فى اللعبة دى زيادة شوية، عاوز تحسبها بالضبط وبعدين تسيب؟ يبقى سيبان إيه ونيلة ايه؟

ا/فوزى: انا كنت عاوز أعلق عليها برضه، هى وصلتنى أكتر من كده، يعنى **مش من حقى إنى أسيب مهما حصل، بكل صدق يعنى.**

د/يحيى: بعد كل ده؟!!

أ/فـوزى: وصلتنى انى **مش من حقى إنى أسيب**

المناقشة

- يبدو أن المشاركين بعد وصولنا إلى اللعبة السابعة، قد تعوّدوا فكرة اللعبة، فأصبحت الاستجابات أكثر تلقائية، وربما أعمق دلالة.
- إن استعمال تعبير **"أعرف إن"** استدعى الحسابات المنطقية والمُعَقْلَنة بشكل يعطى للعقل الواعى دوراً أكبر فى التحكم (فوزى: **أعرف العواقب أعمل حسابها**، سوزان: **أعرف إنى فى موقف ما أخافش منه).**
- إن استدعاء الآخر كشرط للسيبان (الآخرين) كان واردا حتى بالحسابات العقلية المنظمة (مُنَى: أعرف إن **اللى قدامى ممكن يحتوينى**، د. هانى: أعرف **إن انتو سايبنّى أسيب**، د. يحيى: أع**رف إنى فى وسط ناس زيى).**
- إن مسألة العلاقة بين القدرة على التحكم والاحترام، وبين السماح بالسيبان دون فقد الاحترام، كانت **متداخلة ومفيدة**، سواء فى اللعبة أو فى الآراء بعد اللعبة، فنلاحظ أن د. هانى الذى لم يذكر الاحترام باللفظ فى استجابته، وقد كان هو أول المعلقين، راح ينبه إلى أن **"السيبان يوصل منه احترام"**، فنرجع للأصل وهو يلعب ونجده كاد يستأذن الآخر قبل أن يسيب" **إلا لما أعرف أن انتو سايبنى"** وفى بقية تعليقه **"حاجة سايبة.... كاسر بيها حاجات غير متوقعة، ممكن توصّل للآخر الاحترام"**، وصلنى أنه يريد أن يؤكد أن **السيبان الذى سمحوا له به، قد أدّى إلى جرعة من الجسارة فرضت عليهم احترامه.**

ثم ننتقل إلى التعقيب فردا فرد

فوزى

بدا أكثر وضوحا من حيث قوة دفاعاته الجاهزة، وحساباته التحفظية سواء أثناء اللعب" **أعرف إيه العواقب، إمتى أعمل حسابها"** أو بعد اللعب"**.... يعنى مش من حقى إنى أسيب مهما حصل بكل صدق يعنى.**

سوزان

إذا جمعنا استجابة سوزان أثناء اللعب على تعقيبها بعده، وجدنا أنها فى اللعبة استشعرت أن هناك ما يخيف، فلما جاء التعقيب حددت حاجتها كمصدر أمان من خلال **"آخر يحتويها"**، وكأن هذا الاحتواء هو الذى يعطيها الأمان الذى يسمح لها **"أن تسيب نفسها".**

منى

... نرى أن "منى" هى التى حددت البعدين معاً، (أ) "وجود آخر، (ب) وقدرته على احتوائها"، (مقارنة بسوزان) ثم إنها أضافت بعداً يخفف من احتمال أن يكون الاحتواء **"اعتمادية رضيعية"**، بأن أضافت "... يقبلنى باللى جوايا، هنا يرتقى معنى الاحترام بما يُطَمْئِنُ أكثر إلى أنه ليس هرباً أو عودة لرحمٍ مغلق".

د. هانى

أثناء "اللعب" استسمح د. هانى "الآخر" قبل أن يسمح لنفسه بالسيبان، بدا أن عليه من سماح هذا الآخر وإن كان تعبيره متداخل غير واضح، لكنه -كما ذكرنا فى التعقيب العام - ربط ذلك بتوصيف هذا الفعل بأنه مجلبة للاحترام، **وهذا عكس الشائع من أن السيبان هو "تسُّيب أكثر منه حرية،** فالتسيب لايدعو للاحترام

د. يحيى

اشترط د. يحيى ليسيب نفسه شروطاً أكثر (أ) وجود آخرين (ب) يمارسون نفس المخاطرة والسماح (ج) ويحترمون نتيجتها، سواء كانت نتيجة سيبانه هو، أو سيبانهم هُمْ (مادامـوا يفعلون نفس الحكاية -معاملة المثل)

أما تعقيباته التالية فبدت بصفته "مسئولا" عن الحلقة وعن اللعبة أكثر منها بصفته الشخصية، وقد جعلته صفته كمسئول يلخص الموقف ونحن نقترب من نهاية الحلقة وهو يتكلم بصفة الجمع: **بأننا حتى هذه اللعبة قد انتبهنا إلى ظروف وشروط السيبان من حيث:**

(أ) أنها ليست فقط "سِيبْ وأنا أسيبْ" وإن كانت جزئيا كذلك

(ب) وأنها أيضا مسألة "توقيت" و"مدة"، **أسيب إمتى ولمدة قد ايه"**

(ج) وكذلك هى فيها احتمال **تحضير للآخر، وليس مجرد حضوره**

(د) وأخيرا رجع د. يحيى إلى "سيب وأنا أسيب"، ليؤكد فكرة ضمان **معاملة المثل**، مثل **السيبان بالدور،** (التبادل) حتى نتجنب إصدار الأحكام على بعضنا البعض **"...ولاّ واحد حايبص على التانى من فوق"؟!**

اللعبة الثامنة

اللى مانعنى اسيب نفسى ...... هو ......

ا/منى: يا سوزان **اللى مانعنى أسيب نفسى هو احترامى لنفسى**

أ/سوزان: يا أستاذ فوزى **اللى مانعنى أسيب نفسى هو انى مش عارفة الآخر**

أ/فوزى: يا دكتورهانى **اللى مانعنى أسيب نفسى هو احتياجاتى اكتر من خوفى**

د/هانى: يا دكتور يحيى **اللى مانعنى أسيب نفسى هو "انا"**

د/يحيى: عزيزى المشاهد **اللى مانعنى أسيب نفسى هو انى خايف من نفسى أوى، إنى عارف شوية كتير**

آراء بعد اللعبة

أ/منى: حتة الخوف دى، الواحد (خوفه) من نفسه ومن تصرفاته، هى تبقى مع نفسه صادقة اكتر من لو حاتطلع مع حد قدامه.

د/يحيى: حد وصله حاجه تانية جديده

أ/منى: هو كلمة الخوف حضرتك لما قلتها حسيت بخوف، الواحد (يحسها) لما ساعات يقعد قدام نفسه. . .

د/يحيى: يارب يكون أتحرك الوعى . . . (عندى) أنا باستغرب على نفسى لما أنا اللى محضّرالكلام ده ولما (آجى) ألعَبْهاَ معاكم كانى بالعبها لأول مرة، أنا مش بس محضّره دا أنا عايشه بقالى 50 سنة، ما أنا باعمل ده مع العيانين بتوعى، صحيح ماباسبشى نفسى علشان اقدر أشيلهم، إنما هما يا عينى بيسيبوا، وانا باسيب وإلا مايطمنوش ليا، بس هو اكتشاف إنى طلعت خايف بصحيح

المناقشة العامة

نلاحظ أن الآراء والتعقيبات على اللعبة كانت أقل من المعتاد، وربما حدث ذلك لأن الفكرة العامة مع التقدم المضطرد حتى اللعبة الثامنة أصبحت تصل إلى المشاركين أسهل وأوضح بما لايحتاج إلى تعقيب مطوّل، بمعنى أن هذه اللعبة كانت تأكيداً لما تم إنجازه من اللعبات السابقة بشكل أو بآخر .

ثم إن مسألة الاحترام التى ناقشناها فى اللعبة السابقة، حضرت هنا من جديد لمنى وهى تلعب **"اللى مانعنى هوا احترامى لنفسى"** أما تعقيبها وهى الوحيدة التى عقبت هنا، فيمكن أن نربطه برؤيتها وتفضيلها لصدقها مع نفسها عن صدقها أمام الآخرين، مما يشير إلى حرصها على احترام نفسها الذى ورد أثناء لعبها.

التعقيب فردا فردا

منى

أحسب أن ما جاء عنها فى المناقشة العامة كافيا

سوزان

كانت استجابتها فى اللعب أقرب إلى اللعبة السابقة وما قبلها

فوزى

انتقل خطوة إلى مستوى أعمق وهو يبرر دفاعاته، فبدلا من أن نشاهد الدفاعات تغطى أغلب محاولاته كما فى الألعاب السابقة، ها هو يتعرف عليها، فيعلن سببها، وهو حق مشروع - وهو يقارن هنا بين **عنف احتياجاته ومساحة خوفه،** مما يجعلنا نستنتج إمكانيه النظر **فى كيف تساعد هذه الألعاب على التقدم بهدوء إلى بصيرة أكثر نفاذا كما حدث مع فوزى.**

د. هانى

حضرتْ "الأنا" (الشاب المتزن المعقلن الطبيب النفسى) لتعلن بأنها هى المانع فتماهت الأنا، مع تعقله السابق (وأيضا مع عقلنته جزئيا)

د.يحيى

لا يترك د. يحيى فرصة إلا وهو يعلن عن خوفه من رؤيته

المتزايدة، والتى يبدو وأنه يعرف كيف تقتحمه من خلال تماهيه مع مرضاه، وهنا هو يعرض لمشكلتين منهجيتن

الأولى: (مكررة نسبيا) أن معد الألعاب: يعيد اكتشافها -واكتشاف نفسه - وهو يلعبها

والثانية: أن الطبيب النفسى أثناء ممارسته لمهنته بجدّية، لا يستطيع أن "يسيب" نفسه على راحتها (وإلا فكيف يستطيع حمل مسؤلية مرضاه بما هم)، وفى نفس الوقت: هذا الطبيب لا يستطيع إلا أن يسيب نفسه، وإلا ستتسع المسافة بينه وبين مرضاه، فلايطمئنون إليه.

إن ضبط الجرعة بين درجة السيبان، ودرجة التماسك، وأيضاً بين الانتقال من السيبان إلى التماسك حسب مسار العلاج إنما تتوقف على خبرته، المفروض أنها تتزايد بإزدياد ممارسته.

- وجب الاعتذار للتكرار، لكن الاكتشاف الذى أفادنى هو أن التعقيب الذى قمت به سواء عن الاستجابة ككل، أو من قراءة استجابة كل مشارك على حدة كان هو هو تقريبا، وإن اختلفت الألفاظ وتنوع الترتيب، أنا شخصيا الذى كتبت التعقيبين بعد أن أبلغتنى سكرتاريتى - خطأ - بأن هذه اللعبة الخامسة لم تكتب من قبل ولم تنشر، فاستسلمت لهم بسبب العجلة والالتزام اليومى، وقد أعدت كتابة التعقيب وأنا أشك فيما أبلغونى إياه، الاكتشاف الذى اكتشفته الآن، وأنا أعتذر، هو أننى وجدت فى هذا الخطأ فرصة لاختبار مدى **المصداقية فى المنهج، وخرجت من ذلك بأنى رضيت عن موقفى، وعن سلامة منهجى، إذ وصلتُ لنفس الاستنتاجات فى ظروف مختلفة، وأوقات متباعدة، الحمد لله.**

ملحوظة: لا أعرف كيف لم ينبهنى أحد الأصدقاء الزوار لهذا التكرار فى مراسلاتهم، لكن لعل معهم عذرهم، ربما تصوروا أن الخطأ جاء أثناء بحثهم، وليس بسبب التكرار الناتج عن خطئى أنا.

- فرحت -لا أعرف لماذا!- حين وجدت السيبان كلمة عربية فصحى" جاء فى الوسيط

ساب: سَيْباً **وسيباناً**، ذهب **حيث شاء**

ساب فلان فى كلامه أفاض فيه من **غير روية**

سيّبه: **تركه وخلاه** يسيب حيث يشاء

- بعض المشاركين التقطوا آخر كلمة على أنها "إن" (إلا لمّا أعرف "إن"...) فى حين التقطها آخرون على أنها "إنى" (إلا لما أعرف "إنى") وقد تركنا الاستجابات كما هى.

- نعنى بالتعقل، ترجيح حكم العقل الحكيم reasoning أما العقلنة فنعنى بها فرط استعمال المنطق العقلى على حساب الحدْس والوجدان والمعايشة الكلية intellectualization

الثلاثـــــاء 23-10-2007

53- "أدمغـــة" المدمــــن ومستويـــات الوعــــى (1)

مقدمة

لأول مرة منذ صدرت هذه النشرة اليومية، يصدر هذا الباب الذى كنا نسميه "حالات وأحوال"، وكان المتبع فيه أن نعرض مقتطفاً من "أحوال" حالة بطريقة ليست تقليدية، ونحاول أن نقرأ **"معنى ما يقوله المريض"** بأعراضه ومن خلال أعراضه، ولا نكتفى بتسميتها (هلاوس - اكتئاب . . . الخ) بل إننا كثيرا ما كنا نحاول أن نتجنب تسميتها، كما نتجنب عادة وضع لافتة تشخيصية معينة، ما أمكن ذلك، **حتى لا نختزل المريض إلى ما يُسَمَّى به مرضه.**

المريض -أى مريض- هو عالم زاخر "بما هو"، يقول بأعراضه وبفشله وبتفسخه أحيانا أبلغ وأعمق مما يقوله السليم، ومن الأقوال التى تستعمل بسطحية شديدة قولهم "خذوا الحكمة من أفواه المجانين" وأظن أنه قد آن الأوان أن يتعدل هذا المثل إلى قول آخر يقول **"اعرفوا أنفسكم من خلال صدق المجانين"** أو "أكملوا وجودكم من دروس المجانين"، أو أتمّوا مشوار المجانين بشطارتكم ماداموا هم قد أجهضوا -مسيرتهم-" ...الخ.

المهم ها هو الباب يعود، ونأمل أن يكمل ما بدأناه، وأن يتطور إلى مايفيد .

قبل أن نبدأ فى عرض "بعض" حالة اليوم نود أن ننبه إلى ما يلى :

أولاً: إنها **أحوال أكثر منها حالة،** وأحوال هذه كلمة يستعملها المتصوفة المبدعون الذين نتعلم منهم وهم على فى ذِرْوة وجْدِهِمْ، كما نتعلم من المجانين وهم يغوصون إلى جُبِّ كهوف ذواتهم، ما لم نلحقهم فيستجيبون

ثانياً: إنها "بعض حالة" وليست كل الحالة ، ونحن نريد أن نتعلم ونعلِّم الناس محاولة فهم بعض لغة "المرض" قبل ومع لغة "المرضى"، مهما كانت موجزة أو مجرد عينة .

ثالثاً: إننا لن نتوقف كثيرا عند الأسباب كما يحب كل الناس أن يفعلوا، ومثلهم يبدو التحليليون خاصة، وأغلب المعالجين، والأطباء النفسيون، فتنقلب المسألة من البحث عن

سبب لايمكن إزالته عادة (فهو فى الماضى غالبا) إلى تبرير والتماس العذر، مما قد يعطل مسيرة العلاج، ولا يؤدّى بنا إلى فهم المواجهة الحالية التى ننطلق منها نحو الشفاء.

رابعاً: إن اسم المريض الموجود هنا مختلف طبعا عن حقيقة اسمه، كذلك، كل الأسماء والتفاصيل الأسرية وبعض التاريخ، حتى لايمكن التعرف على صاحب (أو صاحبة الحال) بأى حال من الأحوال.

خامساً: إن لعرض كل حالة أو أية أحوال **"غرضاً خاصاً"** من خلال **"فرضٍ خاصٍّ"**، وننصح الزائر القارئ ألا يغلبه حب الاستطلاع، فتشغله تساؤلات بعيدة عن المعروض، لأن المسألة ليست جمع معلومات، أو رص أسباب كما ذكرنا، بقدر ما هى "عرض لعينات"، "وتحديد معنى"، "وإعمال فكر" "وتشغيل حدْس" وكل ذلك لإمكان الإحاطة بأبعاد "الفرض" المعروض .

والآن إلى الحالة

هو شاب -ولنطلق عليه اسم "طارق"- فى السابعة عشرة من عمره، الثالث من ثلاثة أخوة وأخوات أشقاء، طالب فى الثانوية العامة، له أخ واحد أكبر منه (يعانى من نفس المشكلة)، وهو من الطبقة المتوسطة الأعلى التى كوّن عائلها نفسه وأعال أسرته بالشطارة، والسفر، والصبر، والمحاولة، والخطأ، ثم التريبح، والأمل، والتراخى.

الفرض

أولاً: إن كلمة "دماغ" التى يستعملها غالبية المدمنين، إنما تشير إلى **تغير كيفىّ** (نوعى) فى الوعى، مَعَ درجةٍ من "الوعى" (الدراية awareness) بهذا التغير **(الوعى بالوعى)**.

ثانياً: إن تعدد مستويات الوعى البشرى (المقابل لتعدد تركيبات منظومات الدماغ= المخ)، وأيضا المقابل **لتعدد الذوات داخلنا**، هو الذى يسمح بهذه النقلة من مستوى وعى إلى مستوى وعى آخر، وأيضا يسمح بالتوليف الممكن بين بعض مستويات الوعى ليحقق من خلال ذلك تغيُّر كيفىّ معين، كأنه **وعىٌ آخرٌ يتخلَّق.**

ثالثاً: المفروض أن هذا التغير هو أمر طبيعى، ويتمثل أساسا فى تغير حالة الوعى بين النوم اليقظة، وأثناء النوم بين حالة الحلم واللاحلم، وغير ذلك ما سيأتى ذكره، وحين لا تتاح الفرصة لكل هذا، يسود **مستوى وعى واحد طول الوقت**، وهذا المستوى إما أن يتصلب ، أو يبهت، أو يُبَرْمَج بانغلاق دوائره إلا فى قطاع **الاغتراب والأداء اليومى الخالى من الطزاجة والتجدد.**

عرض المقتطفات الداعمة للفرض

إن هذا الشاب، فى هذه السن الباكرة استطاع بدقة متناهية وصف تنويعات وتشكيلات من **التغير الكيفى للوعى،** وهو ما أسماه (كما يسميه أغلب المدمنين) "دماغ"، هذا ما استنتجناه من شكواه ونص أقواله كما يلى:

(1) أنـا من زمـان كنت بـاشوف "خـالى" الـصبح يقعد يـتخانق ويـزعق ويسبّ الـديـن، وبـالـليل كـان لمـا يـشرب حشيش كـان بـيتحول ويـبقـى إنـسـان تـانى خـالص، أنـا سـاعتهـا مـاكنتش أعـرف إن دى مخدرات، وبـدأت أعـرف إن الـواحـد عنـده دمـاغ تـانيـة غير دمـاغـه.

هذا الـشاب بـدأ الـتعاطى من سن 12 سـنة (أى قـبل تـسجيل هذا الـتـاريـخ الـذى يحكـيه بخمس سنـوات)، ونـلاحظ كـيف، وهـو فى هذه الـسن الـبـاكـرة، لاحظ الاختلاف الـواضح بـين حـالـة خـالـه وهـو بـدون مخدرات، وحـالـتـه بـعـد الـتعـاطـى، ممـا جعلـه يـرجح من تـلـقـاء نـفـسه أن المخ الـبـشرى لـه أحـوال نـوعيـة مختلفـة (غير تـقـلـب المـزاج، واختـلاف الـعـواطف، وتـبـديـل الآراء، وهـذا الـكلام الـتـقـليـدى الـطبى الـنفـسى المعـاد) عرف الـصبى هـذا الـتغير من خلال تـغير أحـوال حـالـة خـالـه كـلـهـا على بـعضهـا، وهـو مـا نـفـترض أنـه يـقـابـل الـوعـى، كمـا نحب أن نـقـدمـه، وهـو هـو مـا أسمـاه هـذا الـشـاب لاحقـا (فى الأغلـب) الـدمـاغ ..

"بـدأت أعـرف إن الـواحـد عنـده دمـاغ تـانيـة غير دمـاغـه".

فى هـذه الـسن الـبـاكـرة دعـونـا نـفـترض أنـه مع دقـة الملاحظة الـتى يحكـى بهـا هـذا الـشـاب، لـو كـنـا أحسنـا الاستمـاع إلـيـه، ومـن ثَـمَّ إلى حـاجـته إلى اكـتـشـاف هـذه الـدمـاغ الـثـانـيـة من خلال طرق طبـيعيـة، تـعـرف الـنـقـلـة الـنوعيـة فى المـراهـقـة كـمـا تـعـرف كـيف يمكن أن يـعمـل الـشبـاب (وكـل الـنـاس) دمـاغـاً (تـغيرا فى الـوعـى) من خلال حيـاة مـتحـركـة صحيحـة، يـعمـلـون دمـاغـا أى يـسمحـون بحركـيـة نـضج، وطـزاجـة إدراك، ونـبـض فـكـر، يـتـيح تـنـقـلا بين وعـى ووعـى، أقـول لـو أنـنـا عرفـنـا كـيف يمكن لهذا الـشـاب أن يـستجيب لملاحظتـه تـلـك **"إن الـواحـد عنـده دمـاغ تـانيـة غير دمـاغـه"**، لمـا كـان هـذا الـشـاب وصـل إلى مـا أراد معـرفـت هـكـذا:

(2) وكـنـت عـايـز أوصـل لـلـدمـاغ ديـة، وأعـرف هـى إيـه الـدمـاغ إلـلـى بـتحـول الـبنى آدم بـالـشكـل ده،

أعيـد: لـو أنـنـا عرَّفـنـا هـذا الـصبى كـيف يـصل إلى هـذه الـدمـاغ الـثـانـيـة بـطرق تـربـويـة حيـاتـيـة حـركـيـة جـدلـيـة إبـداعيـة سلـيمـة، لمـا احـتـاج إلى دخـول إلى مغـامـرة هـذا الـتحـريك الـكـيمـيـائـى بـإقـحـام سموم الإدمـان من خـارجـه إلى داخـل جسده ووجـوده.

لم نـفـعـل،

فـمـاذا فـعـل هـو لاكـتـشـاف سرّ هـذه الـدمـاغ الـتـانـيـة فى هـذه الـسن المبـكـرة؟

(3) فـقـررت أسـرق سيجـارة من خـالى وأشربهـا وكـان عنـدى 11 سنـه، وفـعلاً شربـتـهـا وعمـلـت لى دمـاغ 24 سـاعـة، وكـنـت مبـسوط جـداً حسيت إنى إنـسـان تـانى وفـعلاً الـعيـشه إتحـولـت.

لاحظ هـنـا تـعبير: **"حسيت إنى إنـسـان تـانى، وفـعلا الـعيـشة اتحـولـت".**

هذا وهو مازال فى الحادية عشرة.

هل هناك لدينا فعلا وسيلة لتحويل العيشة "نوعيا" إلى أحسن فى هذه السن فى الحياة العادية؟.

أظن الاجابة بالنفى، **وهذا لا يبرر أن نستسلم لذلك، (وإلا فلماذا هذه اليومية؟)**

فإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نعيد النظر فى نظم التربية، وعدد الفرص، ومدى المساحة، وحركية الخيال فى هذه السن بالذات، أليس كذلك؟.

(4) وبدأت أعرف الخمره وبقيت أشربها مع الحشيش.

مع تغير المواد وخلطها حسب الظروف والتجارب يتغير الوعى (يحصل الدماغ) فيحقق كل واحد من هؤلاء المبتدئين التغير المناسب الذى يسعى إليه فى غموضٍ مستَطِلْع، ليكتشفه بالصدفة، أو بالتجربة والخطأ، أو بالتقليد أو بالتباديل والتوافيق.

تتواصل هذه المحاولات مع هذا الفتى منذ هذه السن الصغيرة وهو يكتشف الاختلافات النوعية بمنتهى المهارة.

(5) وفضلت كده حوالى سنه كل ما "أعرف دماغ" بابقى عايز أعرف "فيه تانى ولا لأ".

يلاحظ هنا أن استمرار الوعى الجديد "المصنوع" هو هو، وتكراره كما هو، يقترب بهذا الوعى المصنوع من نوعية الوعى العادى المغترب الذى هرب منه هذا الفتى بالتعاطى، فالصبى هنا لا يبحث فقط عن نوعية وعى بذاتها يريد أن يصل إليها ويكررها، بل هو دائم التطلع إلى المجهول **بتجديد غير مألوف لوعيه،** ليس بالضرورة إلى الأحسن أو الأعمق بل مجرد **"وعى آخر"**، نوع من الدراية والإدراك مختلف عما هو فيه **"أعرف فيه تانى ولا لأ.**

(6) أول ما ضربت "البيسه" ضربتها حقن لا شم و لا حرق، وعرفت الدماغ العاليه و(عرفت) يعنى إيه: شخصيتى كلها إتغيرت.

مع تمادى التباديل والتوافيق بدأ طارق يستطيع أن يعطى أحيانا اسما لكل حالة من حالة الوعى التى يحققها، وقد وصل هنا إلى اسم من الأسماء الشائعة وهو **"الدماغ العالية"** .

هناك مستوى من الوعى الإبداعى يسمى **"الوعى الفائق"** وهو الذى يشتمل على أكثر من مستوى معاً فى جدل خلاق فيكون الإبداع،

هذه التسمية "الدماغ العالية" التى أطلقها طارق على آخر ما وصل إليه من توليفات الوعى هى - فى الأغلب- الوجه السلبى لنفس الظاهرة، أى أنها تمثل أكثر من مستوى وعى **"تنشط معا"**، ولكن دون توليف باق قادر على إفراز

أى وجود أو نتاج إبداعى، ومن صفات هذه الدماغ العالية (وأيضا الوعى الفائق فى الإبداع) **أنها تغمر الوجود كله**، فهى ليست تغيرا فى العواطف أو فى الأفكار أو فى الإدراك وإنما فى "كلية التواجد" التى عبر عنها هذا الفتى بـــ " **... وعرفت الدماغ العالية (عرفت) يعنى إيه: شخصيتى كلها أتغيرت".**

ثم يتمادى فى الوصف:

(7) حسيت إنى باشا، وإن الدنيا كلها تحت رجليا وعرفت يعنى إيه "طعم الحاجات"، وعرفت إنه مفيش دماغ بعد كده وبطلت الخمرة.

لاحظ تعبير "طعم الحاجات"

الأرجح أنه مع هذا التغير النوعى فى الوعى **نوع الإدراك ككلّ"**، حتى تصل التجربة بصاحبها إلى "ذروةٍ ما"، يعرف من خلالها فيمَ يستمر، وماذا يدع (هنا طارق استغنى عن الخمر)

لكن مهما كانت هذه الذروة فهى إذا استمرت وتكررت لا تصبح **"هى التى هى"**،

إن تغيير الوعى، وهو الذى يسعى إليه طارق، وأمثاله، دعونا نسميه "التغير فى ذاته" هو المهم وهو الدماغ، وطارق هنا يفرق بين تحقيق وعى آخر يتكرر وقد يثبت فيبوخ، وبين التغيير فى ذاته لذاته.

(8) .. والدماغ بدأت تتقل، ومَعْدِتش زى زمان، فبدأت آخد حاجات تانية، علشان أوصل لنفس الدماغ، وبدأت أخد ابتريل وترامادون عشان أوصل لنفس الدماغ، وفجأة شهرالعسل خلص. . . "

مع استمرار التعاطى لنفس التوليفة يختفى فعل "التغير" حتى لو بقى مستوى الوعى الجديد ولا يصبح "زى زمان"، طارق يضيف هنا أنه لكى يصل إلى مايريد عليه أن يقوم بتجديد الصنف أو بخلطة بمواد جديدة لتحقيق الدماغ الذى أصبح يعنى "التغيير"، إن الهدف -كما ذكرنا- **لم يعدد إبدال وعى بوعى، وإنما هو التغيير نفسه، فهو الذى يعطى للتعاطى معنى،** وطارق حين أضاف كل ما أضاف من توليفات جديدة، لم يحقق ما أراد من تغيير مضطرد طول الوقت، لم ينجح، وربما هذا ما أسماه (فى هذه السن) **"فجأة شهر العسل خلص".**

ثم لجأ طارق إلى محاولة أخرى تكاد تثبت الفرض الذى نعرضه هنا بشكل مباشر، لجأ إلى الانقطاع عن التعاطى، ليس كخطوة أولى فى العلاج، أو بداية توبة نصوح، وإنما ليعاود الضرب من جديد، فيستشعر التغيير (أى يحقق الدماغ= حركية تغيير الوعى)

(8َ) كنت أريّح خمس أيام، أستحمل أعراض الانسحاب، ... أرجع أضرب تانى، واكتشفت ان ده كويس جداً.

هكذا يصر هذا الصبى أن يعلّمنا بذكاء فائق أن المسألة ليست هذه المادة أو تلك بقدر ما هى تغير الوعى، فكأنه هو - بتلقائية **"التجربة - والإعادة"**، يتوقف ويتحمل أعراض الانسحاب، لا **ليكف عن التعاطى، ولكن ليعود** فَيشعر بالتغيّر الذى يسعى إليه، إذا ما عاد إلى الضرب، وقد تحقق له ما أراد، وكأنه عالم يبحث ليكتشف: وها هو قد اكتشف إن ده كويس جدًّا.

(8 َ َ) علشان ده كان بيخلينى أوصل لنفس الدماغ اللى كنت بدور عليها،

مرة أخرى: فهو مازال يبحث عن نوعية تغير الوعى المتميزة بنقلةٍ ما، وليس على حالة وعى بذاته.

ثم يستمر الحال ويتباعد التغيير، وتصبح تلك المواد جزءاً ثابتاً من الوعى الجديد الذى يبدأ فى "الجمود"، لأنه يستقر ويسكن بفعل هذا الانتظام المدعم بالمواد هى هى، فتنقلب وظيفة المواد التى كانت تقوم بالتغيير إلى أن تقوم بمزيد من **التماسك "فى المحل"** وهى تعجز عن التغيير كما كانت سابقا.

(8 َ َ َ) بقيت باضرب فى الفترة الأخيرة علشان أمسك نفسى، ماكنتش باعمل دماغ.

حين تتحول المواد الجديدة هكذا لتصبح مهمتها هى لتثبيت حالة ما، وفى نفس الوقت يصبح الاستغناء عنها مهدّدًا بالتناثر حتى الجنون، يضطر المدمن إلى تعاطيها **ليتماسك: "يمسك نفسه"** وليس ليتعتع الجمود كما كان يفعل فى البداية.

(9) أنا طول الوقت عندى أفكار ضرب، وفاكر إنى لما أخرج من هنا لو ضربت حاعمل نفس الدماغ بتاعت زمان، أنا كنت دايماً عارف إنى مليش غير البودرة.

مع دخوله للعلاج وامتناعه -قسرا غالباً- عن التعاطى، يفقد طارق دماغه (حركية التغيير) التى كان يصنعها بنفسه، إذْ يفقد فرصة معاودة تجديد ألعابه لتغير الأدمغة (حالات الوعى) الواحدة تلوه الأخرى، وها هو ينتظر فى شوق خروجه، ربما لأنه ينتظر أنه حين "يضرب" بعد خروجه، وقد انقطع طول هذه المدة، سوف يصل إلى وعى جديد تماما، كأنما يضرب لأول مرة، فيظل -أثناء العلاج- يحافظ على "أفكار الضرب" لحين تتاح الفرصة من جديد

وحين تطول به المدّة، ولا يحقق كل ما يريد، يبدى تحركا بطيئا كأنه يحاول أن يأخذ فرصة التوقف، ويلوح له أنه: **"كفاية كده"، لكنه يظل يتغزل فى هذا الوعى الآخر .**

(10) نفسى أبطل وأعيش باشا، مفيش حاجه قهرانى ولا مسيطره عليا، بس الدماغ التانيه بتاعتى حاتوحشنى جداً. نفسى أبطل أنا، وأكمل حياتى محترم،

وبـرغم هذه الأمـنيات، فـإنـه يـعلـن بـشكل مـباشر قـوى أن ثـَمَّ خطأ فى محاولات العلاج الـتسكينية الـسطحية الـتى تـتـنافى مع خيـال هـذا الـصبى **"الـذى الـتقط عمق الـطبيعة الـبشرية فى إيـقـاعها الحيوى الـنابض".**

(11) أنـا مش متخيل إن أنـا حاعيش بـدماغ واحده، بـعد ما كـان عندى دمـاغ حشيش ودمـاغ أبـتريـل ودمـاغ تـرامادول ودمـاغ بـودره سم، أسيب كل ده وأعيش بـدماغ واحده دماغ مِبَطَّلْ؟!

وبـعد...

هل نـصدقه فـنتعلم ضرورة تـعدد مستويـات الـوعى حتى نـكون بـشرا؟!

وحتى لا نـضطر إمـا إلى سجن واحدية ثـابـتة، عاديـة، ماسخة، زائـفـة؟

أو نـضطر إلى تحريـك مصطنع بـسموم تهدد إمـا بـالـتناثـر وإمـا بـاغتراب خـامـد جديـد؟

الـتعقيب الختامى

* كم منـا بـالله عليكم يـعيش بـدمـاغ واحد؟ دِمَـاغْ مِـبَطَّلْ؟

* أم أنـنا نـعيش "فى الـسليم" مـنذ الـبدايـة إذْ "نـبطل" قـبل أن نـتحرّك أصلاً؟

* وهل خَـلَقَـنا الله بـدمـاغ واحد (مِبَطّلْ) أم بـعدة أدمـغة.

* ومـادام الحصول على دمـاغ عن طريـق هذه الـسموم لـه كل هذا الـثمن الـغالى، فـكيف يمكن أن تحصل "بـقـيـة أدمـغـتنـا" على حقـها **فى الـتـواجد، والـتبـادل، والـتـنشيط، والإبـداع، والـتراجع، والمحاولـة، والخطأ؟**

تـلك هى المسألـة الـصعبة!

وغداً نـلتقى بطارق أيـضا فى "حركـية خيالـه" مع اختـبار إسقـاطى

- الـبودرة

الإربعـــــاء 24-10-2007

54-أدمغـــــة المدمـــن ومستويـــــات الوعـــــى (2)

طارق "فى حركية خياله" مع اختبار إسقاطى

قدمنا أمس بعض أحوال حالة "طارق"، واستنتجنا منها احتمال تحقيق فرض: **أن كلمة "دماغ" التى يستعملها المدمنون، قد تشير إلى "تغير نوعى فى الوعى"**، الأمر الذى هو - فى الأحوال الصحية وبالطرق السليمة - دليل **حركية النمو، وحيوية الحياة**، والذى إذا حُرِمْنَا منه، لجأ بعضنا إلى تحقيقه **"بتحريكٍ مصنوع"، بسموم خبيثة هى مواد الإدمان**، وقد انتهى التقديم أمس بالاستشهاد بقول طارق:

"نفسى أبطل وأكمل حياتى محترم..."

لكنه يردف:

"أنا مش متخيل إن أنا حاعيش بدماغ واحدة....، أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحدة؟! دماغ مِبَطَّل"؟!!

(قبل الدخول إلى الحالة ننصح من تساءل عن أساسيات فكرتنا عن الإدمان أن يرجع إلى يومية (س،ج عن الإدمان) بتاريخ 2007/10/21.

هذا شاب عمره 17 سنة، مدمن من سن 11 سنة، يعلمنا، وهو يهبط إلى الهاوية، أن **لنا أكثر من دماغ** (لمن لم يقرأ يومية أمس، يستحسن أن يضغط على خانة **المقالة السابقة،** أو هنا **(أدمغة المدمن ومستويات الوعى "1")**، ويقرأ ما نشرناه أمس، قبل أن يكمل. شكراً).

الاختبار الذى أجريناه لطارق والذى سنعرضه اليوم، لا يتعلق بمشكلة هذا الشاب كمدمن، بقدر ما يتعلق بإمكانية تحريك الوعى للأصغر، من خلال تنوع الحوار، ومحاولة التباديل الممكنة التى يمارسها الإدراك البشرى، مع "حركية الخيال" بإسقاطات متنوعة.

أشرنا أمس إلى ما يذكّرنا كيف أننا فى أشد الحاجة إلى قبول فكرتين أساسيتين:

الأولى: تعدد مستويات الوعى.

الثانية: إمكانية احتواء هذه المستويات على مسار

النمو فى جدل يخلّق منها - مع وبعد - أن تتبادل، وتتوازن، وتتصارع، ثم تتضفر باستمرار، **يخلّق منها تنويعات متجددة من الوعى،** هو ما يسميها المدمن **"دماغ"**، وهو ما تحققه له السموم التى يتعاطاها، والتى تقوم بهذا التقليب قسراً، بعد العجز عن تحريك الوعى خيالا وإبداعا ونمواً، لكن النتيجة هى كارثة الضياع فى خراب ظاهرة الإدمان.

التجربة:

عرضنا على طارق، وهو متوقف عن التعاطى تحت العلاج، بضعة صور (خمسة) منتقاه من اختبار معروف، هو اختبار "تفهم إدراك" الموضوع Thematic Apperception Testمضافاً إليها صورتان محليتان من ثقافتنا، ثم صفحة بيضاء ليكون المجموع ثمانية.

فكرة الاختبار هى شديدة البساطة، أما دلالات الاختبار وقراءاته فهى شديدة التنوع من جهة، وعليها خلافات علمية وتطبيقية بلا حصر، الفكرة مبنية على ميكانزم **الإسقاط،** وعلاقته بالإدراك. فنحن ندرك الأشياء والمثيرات والموضوعات ليست **"كما هى"،** وإنما كما تصلنا بعد أن نُسقط عليها ماتيسر مما أثارته فينا بمجرد وقوعها على حواسنا، هذه الفكرة البسيطة يعرفها أبسط الناس، كما يعرفها الأطفال، كما تؤكدها الأمثال العامية من **أول "القرد فى عين أمه غزال"** حتى "الخنفسة" التى رأت ابنتها على الحيط فقالت **إنها "لؤلؤة فى خيط".**

نطلب من المريض أن يروى قصة، أو يصف ما يصل إليه من كل صورة من الصور الثمان (سبعة+1)، ونسجل الوقت إلى أن يبدأ (وهو ما يسمى **"زمن الرجع** بالثانية")، ثم نسجل **الزمن الكلى** بعد انتهائه من الحكى، ومن خلال استجاباته، جنبا إلى جنب مع ما نعرفه عنه تاريخا شخصيا وحضورا إكلينيكيا، نجتهد فى قراءة حالته دون محاولة الوصول إلى تشخيص، ودون الحماس إلى أى حسم نهائى فى أى اتجاه، وإنما هى إضافات دالة للحالة إكلينيكياً، تضئ جوانب أخرى غير التى أضاءتها المقابلة، والأسئلة والأجوبة، والمعلومات، ثم يُطلب من المفحوص وضع عنوان لما حَكَى أو كَتَب، بعد أن ينتهى من الحكى.

هناك أساليب مختلفة، ودرجات وتقنينات مجتهدة لقراءة هذه الاستجابات، لكننا نتبع هنا منهجا يعتبر كل استجابة إضافة إكلينية مفتوحٌ قراءتها للخبير، **بما فى ذلك إسقاطات الخبير نفسه على إسقاطات المريض.**

أما كيف تقرأ -عزيزى القارئ- ما ننوى تقديمه هنا فننصحك - دون إلزام - فى الهامش نصيحة اختيارية :

بطاقات T.A.T

السن: 17 سنة		الاسم: طارق
الاستجابة بعد أن طلب منه تجنب ذكر الإدمان (اليوم التالى) (طارق بدون)		الاستجابة التلقائية وكلها محملة بمشكلة الإدمان (طارق المنغمس)
(الصورة 1) قاتل محترف ناس قاعدين فى بير سلم واحد بيقتل التانى. زمن الرجع: 24ً الزمن الكلى: 52ً		(الصورة 1) مدمن يتألم ده واحد واقف بيخنق حد، لأ ده واحد بيشك [بيضرب] لحد تانى في رقبته، السرنجه واضحه، بيحطها فى رقبتها. اللى قاعده على الأرض ده مدمن تعبان مش لاقى عروق يضرب فيها. زمن الرجع: 11ً الزمن الكلى: 54ً 1َ
(الصورة 2) الكنيسة المجهولة دى كنيسه أنا شايف صليب، ده واحد بيعترف لقسيس وندمان. زمن الرجع: 12ً الزمن الكلى: 38ً		(الصورة 2) فاقد الأمل واحد واقف فى أوضه، الباب مقفول وبيعيط، هو بيعيط علشان مظلوم، علشان الناس فاكراه بيضرب. زمن الرجع: 7ً الزمن الكلى: 48ً 1
(الصورة 3) لحظة ندم راجل لابس بيريه وساند على السرير وبيبكى. زمن الرجع: 8ً الزمن الكلى: 51ً		(الصورة 3) مادة سم واحد قاعد على الأرض وساند راسه على السرير، هو لسه ضارب وبيسقط [يصب] وسرنجه واقعه جنبه. زمن الرجع: 9ً الزمن الكلى: 35ً 1
(الصورة 4) الرجل الملعون فيه ناس طالعين رحله والأتوبيس انقلب بيهم، ناس كلهم ميتين والسواق كان شكله قاصد يقلب الأتوبيس علشان السواق مسيحى ودى رحله حجاج. زمن الرجع: 25ً الزمن الكلى: 55ً 2َ	الصفحة البيضاء	(الصورة 4) ----- أنا فى المستشفى وأمى بتعيط، متخيله إنى ممكن أطلع أضرب تانى ومستحمل بُعْدى، علشان أطلع زى الصفحه البيضاء ديه. زمن الرجع: 2ً الزمن الكلى: 55ً 2َ

(الصورة 5) الرجل البذئ ده راجل ودى مراته وهو بيعرص عليها والطويل ده زبون وهو مدّخله عليها وبيعرص. زمن الرجع: 10 ً الزمن الكلى: 42 ً		(الصورة 5) غرزة السعادة دى غرزه وديه شرموطه وده المعلم بتاعه وفيه بودره على الترابيزه وفيه حشيش على كانشه وده معرّص واقفٍ يلاغى. زمن الرجع: 8 ً الزمن الكلى: 30 ً 1
(الصورة 6) فنان عظيم الراجل ده شبه فريد الأطرش، وده ملحن بيقول له على أغنية، بس هيه مش عجباه. زمن الرجع: 6 ً الزمن الكلى: 44 ً		(الصورة 6) نصيحة أب الصغير ده مدمن والكبير أبوه، بينصحه إنه يبطل، بس هو شايف حياته كده أحسن، ومش عايز يبين إنه مِضايق. زمن الرجع: 10 ً الزمن الكلى: 40 ً 1
(الصورة 7) الساحرة الشريرة دى ست واللى وراها شيطان وبيقولها تعمل حاجه بس هيه مش راضيه عنه ومدياله ضِهرها. زمن الرجع: 7 ً الزمن الكلى: 47 ً		(الصورة 7) فكرة ضرب ده راجل واللى وراه شيطان عمال يوسوس له ف ودنه إنه يرجع تانى، بس هو مبطل وعجباه حياة التبطيل. زمن الرجع: 12 ً الزمن الكلى: 2 ً
(الصورة 8) قرنى راجل أهبل ملوش حل، هو تخين ومراته ركباه، وبتمَشّى كلمتها، بس هو سعيد. زمن الرجع: 5 ً الزمن الكلى: 39 ً		(الصورة 8) الرجل العبيط ده راجل أهبل، موظف ملوش فى الضرب، وملوش ف حاجه خالص. زمن الرجع: 5 ً الزمن الكلى: 25 1 َ

مناقشة الاستجابات

أولا بصفة عامة، لاحظنا ما يلى:

(1) إن "طارق" يتمتع بخيال مرن طول الوقت، سواء وهو منغمس (فكراً وخيالاً) فى مشكلة إدمانه، أو وهو مستجيب لتجنب الحديث عنها.

(2) إن استجابته الأولى لجميع الصور بما فى ذلك الصفحة البيضاء كانت حول موضوع المخدرات بشكل أو بآخر. (وهذا ما جعلنا نحاول إعادة الاختبار كما أوضحنا).

(3) إنه على النقيض من قصائد المديح التى أثنى بها طارق على "الأدمغة" التى تُحققها له مختلف المواد، سواء بذاتها، أو بعد إعداد "كوكتيل" منها بمعرفته، وهو ما أسميناه أمس "التباديل والتوافيق"، على النقيض من ذلك جاءت

معظم استجاباته اليمنى (المنغرسة فى فكرة الإدمان) تعلن وعيا مباشرا وغير مباشر بالأضرار، والصبر، والرفض، واليأس، وأعمال الشيطان.

(4) إنه بالرغم من كل ذلك انتهى فى الصورة الأخيرة إلى ما يؤكد ما أعلنه فى آخر مقتطف أمس، وهو ما بدأنا به كلمة "اليوم" من أن **"اللى مالوش فى الضرب مالوش فى حاجة"**، كما ظهر فى وصفه للرجل البدين فى الصورة الأخيرة، وهو نفس الموقف الذى انتهى إليه، وأظهرناه فى نهاية حلقة أمس من قوله متعجِّباً: **"أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحدة؟ دماغ مِبطّل" ؟!!**

(5) إنه حين طلبنا منه الاستجابة دون التطرق لموضوع الإدمان، تحرك وعيه بنفس المرونة والتلقائية، وذلك فى اتجاهات مختلفة منها: اتجاه الندم، أو اللعنة، أو التوبة، ولكنه تحرك أيضا فى اتجاهات أقسى وأخطر مثل: البذاءة والقتل، لينتهى نفس النهاية، وهو يصف الرجل البدين بأنه "قرنى" ومراته راكباه لأنه مالوش فى الضرب ولا فى أى حاجة، ومع ذلك **"بس هو سعيد"**.

قراءة فى استجابات طارق "المنغمس مقابل طارق "بدون":

الصورة (1) "طارق المنغمس"

لم أستطع أن أحدد ما يقصد طارق بالعنوان **"مدمن يتألم"** "هذا المدمن: يتألم مِمَّ؟ من أنه "تعبان يريد أن يضرب ومش لاقى عروق"، أم من السرنجة الواضحة وهى تنغرس فى رقبته (وهذا ما يلجا إليه كثير من المدمنين حين تتخثر معظم عروقهم الظاهرة فى الذراعين أو الساقين)؟

لكن نلاحظ أن استجابته لهذه الصورة بدأت بغير ذلك، فقد التقط فيها لأول وهلة محاولة للخنق (إزهاق الروح)، وهو ما ظهر أيضا فى استجابة **"طارق: بدون"**.

فهل يمكن أن نفترض أن طارق يعلن بذلك أن أى شخص يساعده فى استمرار إدمانه، وهو ما يتمثل فيمن يضرب الحقنة (السرنجة) فى رقبته، **إنما يقتله بذلك**؟ يجوز!

الصورة (1) "طارق بدون"

على الناحية الأخرى كانت الصورة أكثر إيجازاً، لكن ظهرت فيها أبعاد: السّرية والتحتية، (بير السلم) والقتل، صحيح أن استجابته اقتصرت على الاثنين الظاهرين فى الصورة، وأن القاتل محترف (العنوان: ربما هو هو غارز السيرنجة فى الناحية الأخرى) لكنهم كانوا جماعة، وكأن **جماعة المدمنين** الذين يسمحون لهذا القاتل المحترف أن يتمادى فى الحفز إلى استمرار الإدمان، هم قتلة أيضاً مشاركون فى الجريمة بشكل ما.

الصورة (2) أولا "طارق المنغمِسْ"

استجابته هنا غير واضحة، قفلة الباب قد تشير إلى المأزق الذى هو فيه وقد مضت ست سنوات مع محاولات علاجية مختلفة بلا

طائل، أما بكاؤه فقد ربطه بأن الشخص فى الصورة قد توقف عن التعاطى ومع ذلك، مازال متهما، ولا أظن أن الأمر بهذه البساطة، فقد نفهم من ذلك أن الوعى الذى يريد أن يتوقف هو "وعى" حسن النية "على أحسن الفروض، وهو الذى ظهر فى نهاية ما عرضناه أمس **"نفسى أبطل وأبقى باشا"**. لكنه (كما نشرنا فى يومية أمس) سرعان ما استبعد أو استنكر أن يرضى بأن "يعيش بدماغ واحد **"دماغ مبطَّل"!**

فى كثير من الأحيان تكون هذه الأنواع من الوعود، وهذه الانفعالات بالبكاء: مؤقته، وُمْفَرغَة، وبرغم احتمالات صدقها المبدئى هى لا تفيد كثيرا فى مسيرة العلاج.

الصورة (2) "طارق بدون"

ارتبط التبطيل هنا بالاعتراف والندم (ربما للتطهير)، وهذا أيضا ليس بالضرورة من العلامات الإيجابية التى نفرح بها عادة حين تظهر عند المدمن.

أما كَوْن الاعتراف والندم جاءا هنا مرتبطين بالكنيسة، فهذا أمر لا نرى أنه يدل على أية درجة من السماح أو قلة التعصب، حيث ظهر التعصب بشكل مباشر فى استجابته فى الصورة الرابعة (الصفحة البيضاء - طارق بدون:) أنظر بعد .

الصورة (3) "طارق المنغمس"

حين تصل جرعة المخدر إلى إحداث غياب الوعى **"وليس مجرد تغييره أو إبداله" "يسقط"** المدمن (يصب)، هذه المرحلة يكرهها المدمن عادة برغم أنه فى كثير من الأحيان لا يستطيع تجنبها، ويصبح المخدر فى هذه الحالة هو **"مادة سم"** (العنوان).

الصورة (3) "طارق بدون"

يظهر أنه حين يخرج الخيال من انغماسة فى المخدر، ينقلب "التسقيط " إلى إفاقة نسبية: تدفع إلى اللجوء إلى سندٍ ما، مجرد استناد، فلا يتمادى الوعى الظاهر فى الانسحاب حتى الغيبوبة، وتظل المشاعر قادرة على استيعاب الموقف (يبكى) ويَظْهَرُ الندم (العنوان: **لحظة ندم)**

الصورة (4) "طارق المنغمس":

أسقط طارق على هذه الصفحة البيضاء موقفه "هنا والآن"، وحضرتْ عواطف أمه وألمها مما آل إليه حاله (مع أنه لم تظهر لنا فى تاريخه أى اعتبار العواطف أمه أو توجه وجدانى مفيد من ناحيته نحو أمه) يبدو أنه يربط هنا البياض، بما يشاع من أن إزالة التسمم "سريع-سريع"، تُرجعُ المدمن كما ولدته أمه، وهذا ما يزعمه البعض فى الدعايات العلاجية المغرضة المسطحة.

ربما يرى طارق من خلال هذا البياض أن عليه - إذا ما عاد بريئا نقيا- أن يتحمل بُعْدَه عن أمه، ويستمر فى المستشفى صابر ليحقق لها أملها فى شفائه ليرجع "أبيضا" كما ولدته !!

الصورة (4) "طارق بـدون"

هنا بدت الاستجابة لهذه الصفحة فى الاتجاه العكسى تماما، وكأنها كشفت خدعة **"براءة البياض"** المزعومة – لأنه بدا أن وراء هذا البياض الذى يزعم أنه تحقيق لأمنية أمه، وراءه جريمة قتل جماعى تعصبى انتحارى نذل: سائق مسيحى ينتحر بركابه المسلمين لمجرد أنهم ذاهبون للحج.

فأين ذهب البياض وأين النقاء وأين أمه وأين الآخر؟

إن هذا ينبهنا إلى خطورة ادعاء المثالية النظرية ، والتسامح الكاذب.

أما عن العنوان فربما يعنى به طارق وصف السائق بأنه **"الرجل الملعون"**، لكن هل هو ملعون لأنه قاتل، أم لأنه منتحر، أم لأنه هذا وذاك، وهل لحقته اللعنة بعد موته مع ضحاياه؟ أم أن اللعنة هى التى دفعته إلى هذا القتل الجماعى الأعمى التعصبى الانتحارى؟ ثم هذا الموت الجماعى "كلهم ميتين" هل يمكن أن يكون الذى أوحى به "سكون بياض الصفحة". أيضا، كفناً هذه المرة وصمتاً؟!

كل هذا قد يشير إلى أن الغطاء الأبيض، الذى تختبئ وراءه أحيانا ببلاهة، ولو بالمخدر، قد يكون وراءه كل هذا القتل الانتحارى البشع.

الصورة (5) "طارق المنغمس"

هذه الاستجابة قد تعبر عن رؤية المدمن لمعنى "اللذة" كقيمة منفصلة فى ذاتها، وهذا قد وَرَدَ بعض ذكره من طارق فيما قدمناه أمس–وفى بقية أوراقه– وهو يتغزل فى تأثير المخدر تلو الآخر، ويمثلها هنا ما أسماه **"غُرْزَة السعادة"**، التى تعدُ بأن تحقق له أنواع اللذة التى حققتها له المواد المختلفة.

الصورة (5) "طارق بـدون"

فى حين رأى طارق هذه الصورة وهو منغمس فى المخدرات على أنها " غُرْزَة السعادة" ، فقد تصورنا أنه استقبلها هنا ليواصل دمغ الرجل العادى ويصفه "بالسلبية والتعريض على زوجته شخصيا. وقد انقلب الرجل الذى كان يّحدم على المخدر على اليمين (مع المنغمس)، إلى زبون يساوم على زوجة هذا الرجل السلبى. فهل يشمل ذلك ما يهجس فى النفوس أحيانا، ولو فى اللاشعور: أن كثيرا من الحياة العادية (التى نعيشها بدماغ واحد) إذا ما تعرّت ظهرت فيها مثل هذه الصفقات "مجازا على الأقل".

لا أظن ولا أستبعد.

الصورة (6) "طارق المنغمس"

بالمقارنة بالصورة التالية نجد أن طارق هنا يعرّى "تفاهة" "ولاجدوى" النصائح الفاترة المعادة التى نتعامل بها مع المدمن بإلحاح غبى، فالشاب هنا "مبسوط كده"، فكيف ينفذ إليه النصح.

الصورة (6) "طارق بدون"

حين أزيح موضوع الإدمان من الخيال، استطاع طارق أن يرى الصورة بشكل موضوعى نسبيا، وفعلا يبدو الرجل الأصغر فى الصورة به شبه من فريد الأطرش، كما يمكن أن يكون العجوز ملحنا، ثم أن طارق يعطى عنوانا مناسبا لهذه الموضوعية النسبية الظاهرة وهو "فنان عظيم" وهو لا يبالغ .

الصورة (7) "طارق المنغمس"

يُرجع طارق "هنا" الضرب - رغم قصائد المديح التى أشرنا إليها أمس- إلى وسوسة الشيطان، وهو يزعم أن الشخص الصغير- فى الصورة- المبطل "قد أعجبته حياة التبطيل، وهو زعم يتنافى مع الصورة السابقة كما أشرنا.

الصورة (7) "طارق بدون"

استمر حضور الشيطان فى خيال طارق حتى بعد إزاحة مشكلة الإدمان من فكره، وهذا هو ما يؤكده ذلك العنوان أيضا: "الساحرة الشريرة" فاقتربت فكرة رفض السوء بما ذكر وهو يزعم على الناحية اليمنى (المنغمس) أن الذى بطّل استطاع أن يظل يقاوم وسوسة الشيطان.

الصورة (8) "طارق المنغمس" + "طارق بدون"

ما وصلنا من هذه الصورة من **الناحتين** يكمل بعضه بعضا فى نفس الاتجاه، وهو متعلق بالفرض الحالى، لذلك فضلنا أن نجمع القراءة لهما معا: هذه الصورة التى أشرنا إليها فى مقدمة هذه الحلقة تبدو لنا من أهم الصور التى تؤيد ما ذهبنا إليه من فروض، فهى تعلن: إنه برغم كل حركية الرفض، والوعود، والندم، وبرغم حضور القتل والسموم والانتحار، فى معظم الاستجابات، تعلن كيف تصل الحياة البليدة الروتينية إلى الشباب فى هذه السن باعتبارها حياة مغتربة فاترة **"دماغ واحد ثابت فاتر"**.

الصورة (8) "طارق المنغمس"

- ده راجل أهبل.
- موظف.
- مالوش فى الضرب.
- مالوش فى حاجة خالص.

ثم الصورة (8) "طارق بدون"

- راجل أهبل
- مالوش حل
- تخين

ومراته راكباه
ثم برغم كل ذلك أنه
"بس هو سعيد".

هذه السعادة "**المضروبة**" التى يسخر منها طارق، وهو مغموس بأفكار الإدمان، وأيضا وهو "بدون" هذه الأفكار، هذا الخمول، واللاشيئيه، هذه البلادة واللامبالاة "**مالوش فى أى حاجة**"، يبدو أنها هى التى حاول طارق أن يهرب منها وهو يبحث عن سعادة "**الأدمغة المتغيرة**"، حتى "**بالوعى المصنوع**".

علينا أن نتساءل: هل لهذا بديل صحى كما أشرنا أمس إلى ما هو: سماح، وحركة، وتغير، وإبداع؟.

طارق راح يبحث عن كل ذلك لأنه افتقده، وهو فى أشد الحاجة إليه فى هذه المرحلة من العمر، فراح "يجرّب" باستعمال كل هذه السموم بديلا لينتهى به الأمر أن يخاف أن يشفى حتى لا يعود إلى حظيرة "**الدماغ الواحد المبطّلْ**".

فهل عندنا للباحثين مثله عن حقهم فى حركة مستويات معاً، من الشباب وغير الشباب، بديل حقيقى؟

الخلاصة:

بعد المراجعة الأخيرة، استشعرت الصعوبة بقدر أكبر مما حسبت، حتى كدت أتراجع عن النشر.

لكن مرة أخرى، نحن لا ننشر الأسهل، كما أننا لا نكتفى بأن "نقرّ بالمعروف مسبقا لنؤكده".

ما نريد أن نخلص إليه إن أمكن هو:

إن قراءة إشكالة الإدمان من منطلق أنها "لغة"، إنما هى عملية تساعدنا أن تعرف مدى تقصيرنا فى فهم الطبيعة البشرية واحتياجاتها، وهذا لا يساعد فقط فى مساعدة المدمن، بل إنه قد يرشدنا إلى تصحيح أنفسنا.

ما أمكن ذلك.

- الحيل النفسية فى الأمثال العامية (يحيى الرخاوى).

(1) يمكن أن تقوم بنقل الورقتين الحاملتين للصور والاستجابات إلى حاسوبك (الكمبيوتر)، وتطبعهما.

(2) يستحسن أن تعمل ثلاث نسخ من الورقة:

أ- الأولى تحوى الصور فقط.

ب- الثانية تحوى الاستجابات على اليمين (المحملة بمشكلة الإدمان).

جـ- الثالثة تحوى الاستجابات على اليسار (بعد أن طلبنا من طارق أن يتجنب ذكر الإدمان فى استجاباته فى اليوم التالى).

(3) أن تحاول أنت شخصيا أن تكتب (أو تسجل) قصة قصيرة أو رؤية مما يصلك من كل صورة بعيدا عن استجابات طارق.

(4) ألا تقرأ استجاباتك شخصيا الآن، فقط تتعرف على طبيعة الاختبار.

(5) أن تعود إلى النسخة الثانية وتقرأ استجابات "طارق" ووعيه الظاهر منغمسا فى مشكلة الإدمان، مع النظر فى كل صورة مقابلة (قد اسميناها: "طارق المنغمس").

(6) أن تضع ذلك جانبا وتنتظر قليلا.

(7) أن تعود إلى الاستجابات على اليسار وقد طلبنا من "طارق" أن يتجنب ذكر الإدمان فى استجابته وقد اسميناها "طارق: بدون"..

(8) أن تعود إلينا بعد كل ذلك تقرأ معنا ما حاولنا قراءته، ولا تعتبر قراءتنا هى **"نهاية الأرب أو فصل الخطاب"**، بل هى اجتهاد مثل اجتهادك مع فارق الخبرة لا أكثر.

- المنغمس: تعنى المشغول طول الوقت فى مشكلة الإدمان التى حددت إستجاباته الأولى.

- بدون: تعنى طارق بعد أن أوصيناه ألا يتحدث فى استجاباته عن الإدمان

- يستحسن أن تقرأ هذا الاجتهاد التفسيرى الناقد وأنت تضع الصور والاستجابات مجتمعة أمامك بعد أن تطبعها.

- أحيانا - سواء فى حالة الإدمان أو الذهان- يتحرك "الدين" الآخر داخلنا كنوع من إعلان تحريك النقيض الداخلى فى (وعى عكسىّ) وهذا يقابل ما يتفق مع ما هو شائع من محاولة علاج بعض المرضى المسلمين فى الكنيسة وبعض المرضى المسيحيين عند الشيوخ، وهو يتفق أيضا مع الشائع عند العامة من أن قرين الذكر أنثى تحت الأرض (أى تحت الوعى) وقرين الأنثى ذكر تحت الأرض (تحت الوعى) (وهو قريب لما قال به كارل يونج)، فظهور **"النقيض"** فى الإسقاط هو دليل على تحريك **"وعى العمق"** لا أكثر.

- يصب: كلمة يستعملها المدمن تعنى الوسن المفاجئ أو قرب السقوط فى الغيبوبة.

- التسقيط: كلمة بنفس معنى "يصب" يستعملها فريق آخر من المدمنين لتؤدى نفس المعنى.

- عموما بالنسبة لهذه البطاقة البيضاء، كثيرا ما توقعتُ أن يرفض الكثيرون الاستجابة لها، ومع ذلك فكثيرا أيضا ما كانت أكثر ثراءً من كل الصور، وكأنها مجال الإسقاط الحقيقى، هذه الدهشة مبررة أكثر حين نتذكر أننا نطلب من المريض أن يحكى مايراه فى الورقة وهو يعلم ونحن نعلم أنه ليس بها شئْ أصلا

- هذا ما يشيعه أخصائيون إزالة التسمم كما ذكرنا فى المتن حالا.

- لا مجال لمحاولة أن نربط هذا الموقف بحركية الإبداع لعمل دماغ بديلا عن الإدمان كما افترضنا أمس، الغناء والطرب ليسا هما الإبداع الذى نعنيه فى تحريك الوعى لعمل دماغ مبدع سليم.

الخميـــــــس 25-10-2007

25- قـــراءة فى "أحــــلام فتــــرة النقاهـــــة" (3)

الحلم 3

هذا سطح سفينة يتوسطه عامود مقيد به رجل يلتف حوله حبل من أعلى صدره حتى أسفل ساقيه وهو يحرك رأسه بعنف يمنة ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة

متى ينتهى هذا العذاب؟

وكان ثلاثتنا ينظرون إليه بإشفاق ويتبادلون النظر فى ذهول

وتساءل صوت:

من فعل بك ذلك؟

فأجاب الرجل المعذب ورأسه لا يكف عن الحركة

أنا الفاعل

لماذا؟

هو العقاب الذى أستحقه

عن أى ذنب؟

فصاح بغضب:

الجهل

فقلت له:

عهدنا بك ذو حلم وخبرة

جهلنا أن الغضب استعداد فى كل فرد

وارتفع صوته وهو يقول:

وجهلت أن أى أنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يَهُن شأنه

وغَلَبنا الحزن والصمت.

القراءة (النقد)

نبدا من الآخر:

(1) "الغضب استعداد فى كل فرد"،

(2) أى إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يكن شأنه".

يبدو أن هذه البديهيات التى نتصور أنه لا جدال حولها، خاصة ونحن نرددها ليل نهار، ونتصور أننا بمجرد أن ننطقها قد حققناها، يبدو أن حلم محفوظ هنا ينبهنا إلى احتمال أننا فى حقيقة الأمر - ننساها- حتى لو ظللنا نرددها دون أن نختبرعمق وحقيقة ممارستها بتسطيح أو تزييفٍ أو كذب.

أما أن **الغضب استعداد فى كل فرد،** فقد شغلتنى هذه المسألة طويلا حتى صغتها حديثا (2007) فى شكلها الأبسط فى صورة أغنية للأطفال **"داخلنا وخارجنا"**، أكتفى بالإشارة إلى موقعها فى الموقع **"الحق فى الغضب"** مقالات الدستور 2007/7/25

ثم إننى شُغِلْت قبل ذلك (1980) بما وراء هذا الغضب الإيجابى، حين رحت أدافع عن **الوجه الايجابى لغريزة العدوان** التى عادة ما ننكر دورها الإيجابى خوفا من حضورها التحطيمى السلبى الأشهر، كانت أطروحتى عن "العدوان والإبداع" من أول ما نظّرت فى مسألة الغرائز، وأكتفى أيضا بالإشارة إلى موقعها فى الموقع **"العدوان والإبداع"** مجلة الإنسان والتطور يوليو 1980.

الجهل ذنب خطير:

حين ننكر هذا الحق (حق الغضب) جهلاً أو تجاهلاً، ونتنكر-ضمنا- لإيجابيات هذه الغريزة (العدوان)، فنحن نختزل طبيعتنا البشرية فنستحق العقاب، أقسى العقاب، وهذا هو ما بلغنى مما يمثله هذا الرجل المقيد نفسه على عمود السفينة؟

هذا هو الجهل الأول.

الجهل الثانى (الذى يبدو أيضا أنه تجاُهُل، فإنكارْ)، هو أن نخص الكرامة (التى أكرم الله بها كل خلقه)، بفئة دون أخرى، وسواء فهمنا كيف أن الكرامة نابعة أساسا من أن الله "كرم الإنسان"، من حيث هو إنسان، أو فهمناها بذاتها لذاتها بمعنى العزة والحرية والإباء، فإن جهلنا بها أو تخصيصها لفئة من البشر دون أخرى يترتب عليه ذنب آخر يستحق نفس العقاب، أو مضاعفته، وهو ما جاء فى هذا الحلم وأعلِنَ بعد **صدمة إفاقة.**

الذى يجهل (يتجاهل / يُنْكر) حق الغضب (مع أنه استعداد فى كل فرد)، كما يجهل (يتجاهل/ينكر) أن أى إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة، لابد أن يدفع الثمن؟

وهو نفسه الذى يصدر الحكم على نفسه (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا).

لكن: كيف يكون الجهل جريمة تستحق العقاب؟. أى ذنب اقترفه هذا الجاهل؟

كثيرا ما أكرر مثل ذلك على طلبتى حين أجد أن شركات الدواء قد أغلقت عقولهم إلا على ما يخدم أموالها، فى حينٌ يلقى المرضى فى وعينا من "المعرفة والمعانى" ما يعيننا على مساعدتهم ورؤية أنفسنا وإياهم، لكننى أجد مقاومة شديدة من طلبتى وزملائى لفهم أبسط هذه الرسائل، فأقول لهم: **"إن الله سيحاسبنا على ما نعلم، وعلى ما رفضنا أن نعلمه،** أو تجنَّبنَا أن نعلمه، ولو لاشعوريا، **ما دامت قد أتيحت لنا فرصة تعلُّمُه،** معرفته، إدراكه.

العقاب:

طيب ما هو العقاب الذى نلحقه بأنفسنا إذا ما أذنبنا فى حق أنفسنا فعشنا أنقص مما خلقنا الله، بمعنى **أدنى، وأقل، وأكثر تشويها؟**

نقرأ الحلم

مسرح الحلم هو سطح سفينه، **هل هى مقابل سفينة نوح؟** "صدمة الإفاقة" التى يحملها لنا الحلم، نحملها ونحن نركب الفلك لعلها تنقذنا من الاغتراب التخديرى الذى وصَلْنَا إليه على مستوى العالم؟.

بالصدفة البحتة بعد أن كتبتُ المسودة الأولى لنقد هذا الحلم وصلنى من زائرة (قارئة) كريمة تعليقا على **"يومية حالات وأحوال": "أدمغة المدمن ومستويات الوعى"(10/23)**، معلومة جعلتنى أعيد تحديث نقد الحلم. (انظر حوار الغد فى هذه اليومية)

تقول هذه المعلومة "... *طلب "هوشى منّهً" قائد الثورة الفيتنامية من رفاقة أن يربطوه بسارى مركب، ولا يفكوه مهما تأثروا بصراخه، حتى يتسنى له الكف عن تعاطى الأفيون*". هزتنى هذه المعلومة وأنا أربطها بحدس نجيب محفوظ الإبداعى برغم عكس الرسالة، ذلك أن "هوشى منّهً" يربط نفسه ليفيق من المخدّر، فى حين أن رجلنا هنا يربط نفسه عقابا على أنه استسلم لتخدير الاختزال والاغتراب وتشويه الفطرة.

ما وصلنى من تشكيل هذا الحلم أن نجيب محفوظ يبلغنا بهذا الحلم أنه:

مهما بدا العقل الفوقى حليما وحكيما، ومهما بدا يقظا متلفتا، فهو قاصر عن الإحاطة بكلية الوجود، لأنه أغلق بقية قنوات المعرفة بما فى ذلك "الحركة" و"الجسد".

العلم المعرفى

العلم المعرفى الأحدث (خاصة فى العشرين سنة الاخيرة)، يحاول تصحيح هذا الذى لحق بالوجود البشرى اختزالا واغترابا حتى التخدير، وذلك حين يذكرنا أن العواطف لها براجها المعرفية، وأن الجسد (بما هو جسد) يشارك فى التفكير كما يعلمنا متصوفونا ومتصوفوا العالم - المبدعون لا الذاهلون - أهمية بقية قنوات المعرفة المشاركة مع (وليست البديلة عن) العقل المنطق الأحدث.

النتيجة!!

هكذا يحدد هذا الحلم **بصورة تشكيلية شديدة الإيجاز والتكثيف** الأمور على الوجه التالى:

(1) إننا قيدنا وجودنا كله، حتى الشلل حين حلّ هذا الرأس المتلفِّت: العقل الفوقى، محل حركتنا الاستكشافية المعرفية (الإيمانية).

(2) إنه سواء كان التلفت إلى اليمين (أى يمين) أو إلى اليسار (أى يسار)، فالنتيجة واحدة والضياع واحد، والعقاب حتمى.

(3) إن هذا الاغتراب التخديرى المُعقْلَنْ إنما يجرحنا فى غور وجودنا إذ يختزلنا حتى تستغيث أعماقنا **"متى ينتهى هذا العذاب"**.

المشاهدون والصوت

لكن من هؤلاء الثلاثة الذين ينظرون إليه باشفاق ويتبادلون النظر فى ذهول؟

خطرت ببالى عدة احتمالات لرقم "3" هنا، رفضت إثباتها جميعا خوفا من التعسف، ومع ذلك احترمت أنهم ثلاثة (ليسوا واحدا) احتراما شديدا، دون تعليق، خاصة وأنه سيأتى ذكر الرقم 3 (ثلاثة) فى الحلم "4" (ومن يدرى بعد ذلك).

أما هذا الصوت: الذى يتسأءل: **"من فعل بك ذلك؟**
فقد يكون **صوت أحد الثلاثة**
كما يمكن أن يكون صوت الزمن
أو صوت الشخص المقيد على السارى (على نفسه بصيرة).

ننبه أيضا إلى أن **إنزال العقاب ليس مرادفا للشعور بالذنب،** العقاب هنا هو أن يعيش الإنسان ناقصا عاجزا **برغم حدة انتباهه "فى المحل"**.

ثم أن الرجل لم يكن مشدودا إلى صليب يتألم فوقه بل كان مقيدا بحبال عقله الأعلى لا أكثر.

هذا العقاب هنا **يتمثل فى الحرمان من بقيه مناهل المعرفة من ناحية، سواء كانت المعرفة بالجسد أم بالحدس أم بالحركة أم بالوجدان، كما يتمثل فى العزلة والعجز والحركة البندولية بين اليمين واليسار.**

هامش:

قبل أن أشير إلى خاتمة الحلم، وكيف وصلتْنى، أنبه إلى قول المشدود (لاالمصلوب) **"وجهلنا أن الغضب استعداد فى كل فرد"... مقارنة بقوله: "جهلتُ أن الإنسان لايمكن أن يخلو من كرامة"** وكأنه جعل **الجهل "العام" بإنكار (نحن) "العدوان والإبداع"،** هو الخلفية التى جعلته فرداً، يميز البشر **إلى "من عنده كرامة، ومن لا يستحقها".**

النهاية:
أرجو أن ينتبه قارئ الحلم لنهايته بدقة مناسبة، ذلك أن الحزن والصمت لم يكونا من مشاعر المحكوم عليه بالقيد والجمود، حتى لو شعر بالذنب، وعاقب نفسه هكذا، واعترف بجريمة الجهل. نهاية الحلم كانت حزن **وصمت الجماعة "الثلاثة** أو **الثلاثة زائد الصوت أو الثلاثة زائد الصوت زائد الرجل المقيد، أو نحن جميعا بنى البشر".**

حزننـا هو لهذا الانقسام الذى بتر الوجود البشرى إلا من عقله الأعلى المتمنطق حتى لو اتصف بالحلم و الخبرة.

ربما يكون هذا هو الحزن الدافع الأقوى لتحمل غموض وضرورة العلاقة بالآخر فى آن.

أو **الحزن الذى هو التفاعل** المناسب المصاحب لصدمة **تعرية الحقيقة.**

أما الصمت بعد هذه الرؤية فقد وصلنى على أنه ذلك الصمت المفعم بوعود اليقين وضرورة مواصلة السعى الممتد كدحاً إليه.

وبعـد

1- هل يمكن أن يقول تشكيلُ حلم بهذا التكثيف والإيجاز، كل ذلك؟

2- وهل لو عرضت هذه القراءة على مبدع الحلم - محفوظ نفسه- يقبلها؟

3- وهل من حقى أن استقبل هذا الحلم/التشكيل المكثف بكل هذا التفصيل الناقد الصعب؟

الاجابة عن السؤال الأول هى: أن نعم،

فإن لم يكن الحلم قد قاله فهذا هو ما حضرنى نقداً.

الاجابة عن السؤال الثانى هى: سواء قبلها المبدع الأول أم لم يقبلها، فهذا الأمر ليس من حقه، فالمبدع يبدع، ثم **"يسهر النقاد جراها ويُختصُم".**

الاجابة عن السؤال الثالث هى: متضمنة فى الاجابة عن السؤالين السابقين.

- ذات مرة رحت ألقى محاضرة على شباب مبعوثين تابعين لوزارة التعليم العالى إعداداً لهم لمواجهة ما يسمى "الصدمة الثقافية" عند سفرهم للدراسة فى أوربا، وكان من بين ما قلته لهم إن هناك ما يمكن أن يتعلموه من ثقافة مختلفة متقدمة، وأيضا هناك ما يمكن أن يغلقوا وعيهم عن تعلمه، وهم يقاومون أن يصل إليهم من هذه الثقافة الغريبة، **وأضفت أن الله سبحانه سيحاسبهم على ما تعلموه وعلى ما رفضوا أن يتعلموه!! (ولم يفهم أغلبهم الجملة الأخيرة)**

- لاكوف Lackoff. Philosophy in the flesh

الجمعـــــة 26-10-2007

56- حـــــــــوار/ بريـــــــــــد الجمعـــــــــة

أحمد منصور: (الجزء الأول)
(هذا تعليق عام ليس على مقال محدد):

كيف يعيش الانسان حالة من العواطف والمشاعر وينفعل فيها بشده وسرعان ما تنقضى بمجرد انقضاء الحدث او البعد عن المكان.

د. يحيى
هناك فرق بين العواطف والانفعالات (ناهيك عن المشاعر والوجدان) وما تصفه أنت هكذا، هو أقرب إلى الانفعال، وهو المظهر السلوكى الذى يصل إلى وعينا من حركة الوجدان. العلم الأحدث فالأحدث، والخبرة الأعمق فالأعمق تتناول "الوجدان" (الأصل) بشكل أعمق، وقد تتاح لى الفرصة لعرض بعض وجهة نظرى، فى نظرية متكاملة عن العواطف. المهم الآن أن نحاول أن نحترم هذا التفاعل/ الانفعال، وأن نحمد الله على أنه لايدوم، وإن كان، بينى وبينك، هو لايزول حتى لو ابتعد عن الوعى مؤقتا، **لاشئ يزول يا بوحميد، العواطف يا سيدى قناة نشطة من قنوات المعرفة، هى "تبرمج" التواصل، وتسهم فى الكشف**، ولهذا حديث آخر،

ولكننى أظنك تتحدث عن أشياء أبسط من كل ذلك.

أحمد منصور
... الإنسان فى صلاة الجمعة (مثلا) تنتابه حالة إيمانية يود لو يفعل أى شيء و سرعان ما تنقضى هذه المشاعر بمجرد أن يقول الإمام السلام عليكم و رحمه الله ناحيه اليسار

د. يحيى
"الحالة الإيمانية" التى تشير إليها هذه يمكن أن تكون **جُمّاع حركية الوجدان**، وهذا مرتبط باحتمال أن "صلاة الجماعة" وسط الناس تقوم بتحريكنا "معا" إلى هذا التوحد الوجدانى **"أنا" -"فيهم"-"فينا"-"إليه"**، وفى تصورى أن ما يتبقى من ذلك - ولو دون تركيز- حتى الجمعة التالية أو صلاة "الجماعة" التالية، هو "وجدانٌ معرفىٌ مشتمل، لا يندرج تحت ما يسمى عواطف بالضرورة، ولعل تعبيرك **"حالة"** هو الأقرب إلى الوصف الموضوعى، وإن شئت قلت الوصف المعرفى الموضوعى.

أحمد منصور

.... حتى عند مشاهدة الاخبار بما تحمل من آلام يود (الواحد منا) لو أنه يحمل سلاحه ويذهب لحرب الطغاة، وسرعان ما ينتهى كل شيء.

د. يحيى

قلت لك لا شئ ينتهى: لكن الاحتفاظ بهذه المشاعر فى بؤرة الوعى دون فعل "الآن" لوقت طويل، قد يجعلها تَفْتُرُ لتصبح أقل فاعلية وأقرب إلى الانفصال عن وظيفتها الدافعية والمعرفية معاً، **أحيانا أتصور أنهم يكررون مثل هذه المناظر حتى نتبلد فلا نثور، ونشارك، ولكن لنتعودّ ونتجّمد. أى والله.**

أحمد منصور: (الجزء الثانى)

سبحان الله، بين ما وصلنى منكم الآن وبين مقالكم من 15 سنة بعنوان "بأى حال عدت يا رمضان" **لم ألاحظ أى اختلاف**

د. يحيى:

يا بوحميد، اعذرنى إن كان قد وصلنى قولك هذا بما نبهنى إلى احتمال سخفى باعتبار أننى - إذن - لا أفعل إلا أن أكرر نفسى، يا خبرا!! لا أعتقد أن هذا هو ما تعنيه!

أحمد منصور:

.... إن كتابات الأدباء والمفكرين كأفلام السينما، ما هى إلا تسجيل للعصر وملخص للحالة التى يعيشها الناس

د. يحيى

لا أظن، .. ولا أوافق، ولا أرضى أن أكون من هؤلاء (إن وجدوا هكذا).

أحمد منصور

.....إننا لا نخطو للأمام، (كل شئ كما هو) أنا أعنى تطورنا داخليا كبشر، كل عام جديد يحمل المزيد من الأسى والكراهية والبعد عن الله و كلما زاد قولنا سبحان الله تعجبنا لما يحدث.

د. يحيى

أعتقد يا عم أحمد أن تطور البشر يتم عادة دون وعى معلن، وقد تمر فترات يتوقف فيها التطور فعلا أو حتى ينعكس، فهو التهديد بالانقراض، وللأسف أنا أشعر أن هذا بعض ما يتعرض له الإنسان عالميا حاليا، لا بدليل المقالات المعادة، والبلادة التطورية، وإنما بسبب عماء وغباء من بيده القوة القادرة على تزييف الإعلام وسرقة وإجهاض الأحلام، وهو هو من يملك تحريك غول سلطان المال، واللعب بأسلحة الانقراض الشامل القادرة على الإبادة الجماعية.

أحمد منصور: (الجزء الثالث) عن قصيدة للأطفال داخلنا

..... صدق الشاب حين قال لأخته: إن الاطفال داخلنا ليسوا أطفالاً، وأنا لا أستطيع أن أرى أحداً لازال بداخله الطفل

د. يحيى

... أنا لا أوافقك، الأطفال بداخلنا لايموتون، نحن نخاف منهم ونحبسهم، ونلغيهم، ثم نموت - إنْ كنا نموت- ونأخذهم معنا، والله سيحاسبنا على كل ذلك. أنا لا أدافع عن الطفل داخلنا (أو خارجنا) منفصلاً، لكنه (الطفل داخلنا) أحد ركائز مكونات حركية وجودنا التى نكتمل بها، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر (والأفضل أن يكون غير مباشر)

أحمد منصور

ربما (لافتقادى الطفل الداخلى) انتابتنى رغبة شديدة فى البكاء، وامتلكت نفسى وخرجت الدموع حبرا فى كلامى الماسخ

د. يحيى

يا شيخ حرام عليك، وصلنى صدقك وإصرارك وحيويتك، ربنا يبارك فيك "لنا معا".

أحمد منصور: (الجزء الرابع) العيد، والناس، والحب، وربنا

بعد أن ذهبت الى صلاة العيد ورأيت الأطفال لم أبتسم، ولو رغبةٍ منى فى العودة إلى الطفولة

د. يحيى

أنا عمرى ما تمنيت أن أرجع للطفولة! (أعمل بها ماذا؟!). هى فترة - برغم جمالها- أعجز عن الفعل المسئول القادر على أن يحافظ على استمرارنا أحياءًا، ناهيك عن تطورنا، بل هى أعجز من أن تحمى نفسها، **الشطارة أن نفجر طفولتنا "الآن فينا" لنكتمل "بها لنا".**

أحمد منصور

.... لا أعرف لماذا أعتقد أن هذا الطفل الذى بداخلى قد مات. مات منى أثناء بحثى عن عمل، أو مات مخنوقا من زحمه المواصلات، مات من الضغط النفسى، مات من البكاء، لقد تأكدت أنه مات لأنه كان الدافع الوحيد لحنينى لطفولتى

د. يحيى

قلت لك، وأكرر: إنه لا يموت، وليس دليل حياته هو أن نظل نرغب أن نرجع أطفالا، **بل الدليل هو دوام قدرتنا أن نتفجر أطفالا مسئولين،** ويمكن أن ترجع إلى يومية **(الطفل: "مشروع" يحمل كل النقائض!! فلا تختزلوه!! 6-10-2007)** حتى تتعرف على موقفى الصعب من نقد الطفولة المنفصلة من ناحية، و أيضا بالنسبة لأملى فى **"تكامل" يحوى الطفولة** نضجاً من ناحية أخرى .

أحمد منصور

...أعتقد يا دكتور يحيى أن الطفولة بداخلنا، التى تضنى نفسك بحثا عنها، لم تعد موجودة قد نتذكرها، ولكننا فقدنا الشوق لها، وإن اشتقنا، فهو فقط هروب من الواقع

د. يحيى

عندك حق نسبيا، لكن المسألة - كما ذكرتُ حالا - ليست أن

نشتاق لطفولتنا أو لا نشتاق، أنا أكره أن يُفهم موقفى من الطفولة، ومحاولتى إحياءها على أنه دعوة لبراءة ساذجة بلهاء، الأمر الذى ارجح أنه هربُ من واقع مؤلم، لا أكثر.

أظن يا بوحميد، أن هذه المسيرة الطبيعية التى أعنيها قد وصلت إلىَّ مِنْ "مىْ حلمى" فهى قد أوجَزْتها فيما أسمته **"بناء نفسها" نحن لا نرجع إلى الطفولة، نحن نبنى أنفسنا بها، مهما كان ألم النمو**، تعالى نستمع إلى مَىْ وهى تعلّق على نفس المقال:

مى حلمى

...أنا أيضا تألمت بدلا من أن أفرح..
و لكننى ما زلت أأمل في **بناء نفسي..**
أشكرك على مساعدتي لفهم **بعض أبعادي..**

د. يحيى:

ياه، يا مَىْ!

لو لم أكتب هذه اليومية إلا لهذا، لأسمعك تأملين وأنت تقولين: **"بناء نفسى"** (لا **"معرفتها"** ولا **"البحث عنها"**.. كما اعتدنا أن نردد)

ثم قولك: **"فهم بعض** أبعادى"
ومن ذا يستطيع يا مَىْ أن يفهم كل أبعاده،
إن بناء النفس هى تجميع نبضها المتصاعد دون توقف،

شكراً،

ثم اسمحى لى يا مَىْ أن ننتقل إلى الصديق رامى الذى يبعثرنى بخطاباته المتلاحقة، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع بتدفق يضطرنى إلى انتقاء واختزال بعض ما يرسل بما يشككنى فى فائدة الحوار هكذا، لكننى أشعر أننى مدين له بشئ ما.

د. يحيى

أهلا يا رامى، ترى متى تكف عن إطلاق طلقاتك المتلاحقة المتزاحمة هكذا، أشكرك يا رامى واسمح لى أن أقول لك أننى أطمأننت أكثر حين لمحت فى بعض كتاباتك أنك تعمل عملا منتظماً غير الرد على هذه اليومية بهذا التداخل السريع حتى انك لا تترك مسافة بين الكلمة والكلمة فى كثير من الأحيان، هات حديثك أولا عن **موضوع الأخلاق.**

رامى عادل

أنا بالذات لازم يا غش يا غُشش، يا ابقى حمار....

د. يحيى:

حلوة هذه!! الأرجح عندى أن إعلانك ذلك ليس تقريرا، وإنما هو تنبيه لما تشعر أنك مضطر إليه، هدئ من حماسك يا رجل، وقل لى بربك، ما دمت تتحدث عن مقال **"إعادة النظر فى منظومة القيم":** هل وصلتْكَ كيف تكون "الدهشة فضيلة"؟ أشعر أن هذه القيمة من أعمق القيم، وأغمضها فى آن.

رامى عادل

الدهشة ممكن بس، مارُوحْشى فى أبو بلاش،

د. يحيى

الدهشة فعلا يا رامى .. تهدد بأن نرى الأشياء – معظم الوقت- وكأنها جديدة على وعينا، وبالتالى لو تمادت هكذا.. يمكن أن "نروح فى ابو بلاش"!! أنا معك فى الخوف من فرط الدهشة الأمر الذى قد يجعلنا نتمادى حتى يرى الواحد "نفسه أنه ليس هو"، حتى تنكر الفتاة أباها فعلا فى حالة المرض، أو ينسلخ أى منا من نفسه، وهكذا، **إن هذا يعدّ أعراضا مرضية صريحة، وكل هذا يخرج بالدهشة عن كونها فضيلة**، يبدو أن المهم هو **ضبط الجرعة و تحمل مسئولية ما يترتب على الدهشة من تغيير خلاقّ.**

ولكن دعنى أداعبك، وأُشْهدُ الأصدقاء على بعض شطحك

رامى عادل

... أخيراً وصّلتك يا مرسى، إن شاء الله جايلك بكره، وباحب الحلم اليومى ....

د. يحيى:

لم أفهم جيدا ما تقصد، لكننى توقفت هادئا آملاً أمام ".. وباحب الحلم اليومى" وصلنى أنه غير حلم النوم، وغير أحلام اليقظة، لو أن اليوم العادى أصبح حلماً واقعيا، إذن لتغيَّر وجه الكون، هل هذا ما تقصده؟ لا أظن، لأنك تتمادى بعدها فى الشطح جدا

رامى عادل

يا د. يحيى، ما اقصدش، أناعايز أخرج من الشرنقة، أنا عايز اشوفك من غير ما أقلدك من غير ما أكون أنت

د. يحيى

أوافق مائة فى المائة، يرعبنى من يتصور أنى أفرح حين يصبح هو مثلى وهو يتبع نهجى، ذات مرة تكلمت-شعراً- عن "دربىَّ" الخاص، ورفضت أن يسلكه من يتصور أنه مثلى، قلت فى ذلك على ما أذكر **"المِثلى: لا يسلك إلا دربَهْ"، يحفره بأنين الوحدة.**

لكن دعنا يا رامى نواصل عملاً يوميا روتينيا، وأرجوك أن تحرص أن تفك الكلمات وتبعدها عن بعضها البعض حتى أستطيع أن أتابعك، أنت أحيانا ترسل السطر كلّه كلمة واحدة يا رامى بلا أى مسافات، أنا لا أعرف كيف أنتقى من رسائلك المتدفقة المتداخلة ما أصنع به حواراً، لا جدوى من كل ما نقول، ولا أمل فى حلم يومى إلا إذا خرج من **"واقع يومى"**

هيا بنا يا رامى نستمع إلى "دون كيشوت أستراليا" ابن أخى محمد.

د. محمد الرخاوى

.... البرجوازية المعششة فى النفوس العيانين، تكبر وتضرب فى مقتل، تحول البنى آدميين إلى دود.

د. يحيى
طيب و"بعدين"؟

د. محمد الرخاوى
... فتلاقى كل واحد عايز ياكل فى بير سلم أو فى فيلا، ومايفكرش لا فى اللى خَلَفُهْ، ولا فى مصيره ولايمكن حتى فى بنى جنسه

د. يحيى
وأنت يا محمد (وأنا)؟ ماذا نفعل بمجرد التفكير هكذا؟، وهذا الكلام؟ وحتى هذا الحوار؟

د. محمد الرخاوى
.... الحكاية كلها دود بياكل، ويقولك نعمل مترو أنفاق، وكبارى وضريبة مبيعات عشان الدود يعيش

د. يحيى
لا لا لا كفاية يا محمد، أنت تكرر أكثر من احتمالى يا شيخ، ومع ذلك سأتركك تكمل بعض بعض ما أرسلتَ حتى نًشهد الأصدقاء على إصرارك على نفس النغمة، وعلى مبرر اعتذارى منسحباً.

د. محمد الرخاوى
هى الحياة زحمة عربيات واقفة بالساعات فى وهم كبير؟ هى الحياة عدد جامعات؟ مفرمة بتدخلّ 4/3 جهلة تعملهم قشور العلم وتخرجهم من الناحية التانية مفرومين، أفندية، عايزين يجيبوا السيارات البرجوازية؟، ولاّ شقة فى الحى العاشر؟ أما المهمة مش مهمة، لأنها كلها "دود" عايز ياكل فى فضلة خيرك، طب بس هو فين خيرك؟ هو خيرك فى التعريص والهوان وقلة النخوة والتسقيف لكل حاكم بيخوزق فى المحكومين

د. يحيى
.... يكفى هذا يا ابن أخى، حرام عليك يا شيخ، هيا نفكر معا فى بداية الخلاص، كلّ من موقعه هيا نتوقف عن كل هذا **السباب "فى المحل"**، هيا، نفكر ربما معا..

د. محمد الرخاوى
... اللى فاهم أو يفكر يبقى مجنون، أو بالكتير مخصى فالخصى فى الزمن ده نص الجدعنة.

د. يحيى
سوف أنتقى آخر مُقْتَطَفَيْن من تدفقك "الدون كيشوتى" هذا: واحد عن العرب، والثانى عن الغرب، والفرق نقطة على العين حتى يعذرنى الابن د. كريم المتعاطف معك، وحتى لا يتهمنى بالتحامل عليك، هات ما عندك عن **"العرب"**

د. محمد الرخاوى
.... العَرَبْ جَرَبْ وحياتك، وانت فاهم واللى خلقك، معظمهم زى المعيز بس المعيز بتجيب لبن أو حتى ترعى فى ...

د. يحيى

طيب شكر الله سعيك، **والغًرْب؟**

د. محمد الرخاوى
نيجى بقى للغرب "المهتوكين" (بدلا من الكلمة الأخرى التى استعملها لأنها غير صالحة للنشر!)، فالدود هناك شياكة، وكل دودة اشترت لها عربة تقعد تلف حوالين نفسها بس برضه بتموت وهى دودة، يا خلق هووه فوقوا بقى ولا انشالله عنكم ما فقتم دى الحياة راح تفوقكم، والدنيا لازم تكون زى ما ربنا خلقها، بس يعيش فيها اللى يستاهلها!

د. يحيى
إللى هوّا مين؟ الله يسامحك

د. محمد الرخاوى
... دعنى أؤكد لكل من يتعاطف معى أن أبلغه أننى هاجرت بجسدى فقط لأن همى هو الوعى الوجودى كله

د. يحيى
لا ياشيخ!! الله نوّر!! كيف؟

د. محمد الرخاوى
أى قادم جديد إلى هنا أسأل نفسى هل سيرى ما أرى. هل سيبيع نفسه بثمن بخس دراهم معدودة؟

د. يحيى:
فبماذا تنصح الابن د. كريم المتعاطف معك؟

د. محمد الرخاوى
أقول له: قبل أن تهاجر فلتسأل نفسك أولاً: هل أنت هارب من نفسك أم أن هجرتك موضوعية وهمك مهاجر معك؟؟؟

د. يحيى
طيب وأنت؟

أنت تتصور أن همّك هاجر معك، فهل همك هذا هو الذى علّمك أن تنطلق هكذا تصلح الكون "بالشتيمة" ثم تختم كلامك كل مرة أنه "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام" طيب ازاى؟ تحديدا: كل واحد منّا كل ثانية، يعمل ماذا؟ "ليبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام"، ماثلا دافعاً فى وجهه؟ نقولها ألف مرة ولا نعرف كيف. هل عندك شئ محدد.

د. محمد الرخاوى
... فلنقتل فى داخلنا وخارجنا معنويا كل ما يجعلنا نُشّرك بالله، ويمكن أن يكون معنى قتل الخضر للطفل (بأمر مباشر من الله) هو أمر من الله لنا بقتل أى شئ يجعلنا نشرك.

د. يحيى
فلماذا رفضتَ ما وصلنى من أن قتل الطفل البدائى المنفصل داخلنا يمكن أن يكون هو المقصود بأمر مباشر من ربنا، مثل هذا الأمر المباشر من الله لانقاش حوله، لكن من حقنا أن نفهمه بطرق متعددة .

د. محمد الرخاوى

.... لنتذكر .... أن الله يريد أن يرحم الوالدين وليس الطفل

د. يحيى

الله سبحانه - يرحم الجميع- وهو لايرحم الوالدين على حساب الطفل، ولا يطلق لـلطفل سراحه مستقلاً على حساب حركية نضج الوالدين إليه، إلى الله، إلينا، **الله خلقنا لنتكامل بكل ما فينا، ومن فينا** فإذا أصرّ طفلنا داخلنا أن ينفصل ليقود المسيرة، فالله الغنى عنه، نشلّه، نقتله مؤقتا، نستغنى عنه مرحليا حتى نروّضه لنكون معه "إليه" سبحانه وتعالى! هذا ما وصلنى من "زكّاها" يا محمد، يعنى "نمّاها" من النمو، نمّاها "بفجورها وتقواها" معا، لنكون معا "نحن" فى الداخل والخارج": "إليه" سبحانه.

يا محمد: هل عندك وقت نستمع معاً **"لأسماء"** وهى أول صديقة لهذه اليومية، وهى صغيرة طيبة صادقة، ثم إنها تبدو عكسك تماما.

أسماء

ما فائدة هذا البحث **(إعادة النظر فى منظومة القيم والأخلاق)** اذا كنتَ شخْصاً عادياً، أليس ممكنا أن أكون مخطئة فى ما أقرره فى هذا البحث؟

د. يحيى

يا أسماء، من حقك أن تخطئى، والعِالِم الذى لا يخطئ ليس عالِما، العْلُم لا يكون عِلْما إلا إذا قَبِلَ الخطأ والتفنيد، أما الفائدة فهى أن نتعلم أن البحث العلمى هو حق الشخص العادى، وليس حكرا على العلماء، وأن التفكير النقدى هو البنية الأساسية للبحث العلمى.

أسماء

هل كل فرد سيعمل على تلك الموضوعات (منظومة القيم) كلها ام ان كل فرد يأخذ جزءاً منها؟

د. يحيى

كل واحد واحتماله، وكل واحدة وشطارتها، والله المحاسب ما رأيك نبتدع شعاراً يقول: **"مِنْ كلٍّ بحسب اجتهاده، ولكلٍّ بحسب كدْحه"!**

أسماء

ما المدة المحددة لإنهاء هذا البحث؟

د. يحيى

المدة هى نهاية أعمارنا (وليس عمرك أو عمرى وحدنا).

أسماء

هل النتيجة ستكون امام الكل؟ أم أمام البحاث فقط؟

د. يحيى

أولا: البُحَّاث هم جميعنا معاً،

وثانيا: النتيجة هى جُمّاع ما نحاوله كلٌّ على حدة وجميعاً

معاً أيضا، أما مسألة أمام الكل فهذه ليست القضية، لأننا لن نضع "جدولا جديدا" "القيم جديدة"، وإنما نحن نحاول أن نعّرى الزيف، ونراجع ما آالت إليه القيم المزيفة، ونجتهد لتنمية ما نرجح أنه أبقى، ليمكث فى الأرض، لعل وعسى.

أسماء

أخيرا هى فكرة رائعة اعجبتنى جدا

د. يحيى

شكرا.. "عالبركة"، هل عندك شئ آخر؟

أسماء

(نعم): ممكن توضح لى أكثر معنى الدهشة، وهل هى مثل التأمل؟

د. يحيى

لا .. هى ليست التأمل، ثم إنى اتحفظ فى مواجهة التأمل عامة، بما فى ذلك تأمل "اليوجا"، وحتى استغراق الصوفى إذا اتجه **إلى داخله** أساساً، أحذر منه إذا انقلب تأملا ذاتيا صِرْفاً ، الدهشة الخلاّقة يا أسماء تبدو لى أحيانا عكس ما يسمى التأمل "الدائرى" المغلق.

أسماء

... هل "أندهش" "يعنى" استغرب من حاجة ماكنتش واخدة منها بالى وارفع حواجبى وابرق عينى واقول ياااااااااه

د. يحيى

ليس تماما، الدهشة هى بداية طَرْق باب الغيب/الإبداع.. هى احترام السؤال، هى أن ترى نفس الشئ بشكل جديد، هى التردد فى التسليم للإجابات الجاهزة..، وكل هذا يستطيع أن يجربه ويختبره أى فرد منا دون أن يحصل على شهادة أكاديمية أو يلصق على جبهته لافتة أنه "عالم".

أسماء

طيب وهل البحث الشعبى الذى سوف يقوم به الإنسان العادى هو مجرد الإجابة على الاسئلة التسع (التى جاءت فى النهاية)؟ أم ماذا؟ أرجو توضيحا أكثر.

د. يحيى

طبعا لا، ولشرح كيف يقوم الإنسان العادى ببحث علمى أحيُلك إلى كتاب أفادنى فى هذا كثيرا هو كتاب "سبع تجارب قد تُحوّل وجه العالم" لست متأكدا إن كنت ستعثرين على نسخة منه أم لا، دعينى-الآن- استسمحك يا أسماء ننتقل إلى أصدقاء عقبوا على يومية "حالات وأحوال" (عن الإدمان)، ودعينا نبدأ بالابن الصديق المنتظم د. أسامة عرفه.

د. أسامة عرفة

كنت لا أفهم كثيرا ولسنوات طويلة مقولتك المتكررة أن "الذهان اختيار" إلى أن سمعتها من أحد مرضانا الفصاميين

الطيبين أنه اختار الجنون، كانت صدمة شديدة لوعيى جعلتنى أعيد تقليب كل الأوراق.

د. يحيى

أخيرا يا أسامة!! شكرا، هذا يجعلنى لا أملّ من الاستمرار أو التكرار، ولكن ما علاقة ذلك بالإدمان؟

د. أسامة

... خلال معايشة المتعافين من الإدمان و مصاحبة الانتكاسة ثم العودة ومع احترامى لكل التأثير العضوى الطاغى لكيمياء المخدر على المخ العضوى إلا أننى لاحظت عدة أمور: **أولا:** ان الإدمان إختيار .. و أن الانتكاسة أيضا إختيار. **ثانيا:** أو أولا – ان الإدمان لغة حياة. **ثالثا:** ان الإدمان كما هو عرض لأسرة مريضة ممكن أن يكون أيضا عرض لمجتمع مريض. **رابعا:** فى قضية العلاج وجدت أن البصيرة بالمرض رغم أهميتها لا قيمة لها فى العلاج مالم تتحول لفعل حقيقى. **خامسا:** إن الإرادة الحقيقية قادرة على تجاوز الأثر الكيميائى للمخدر بل قادرة على إعادة تنظيم عمل المخ وموصلاته ومستوياته، شريطة ضبط الاتجاه والوقت الفعال المناسب.

د. يحيى

أوافقك يا أسامة تماما على ما قلت حتى رابعا، **أما خامسا** فدعنى أصرح لك أننى خشيت أن تُفهم الناس "الإرادة" بما يشاع عنها من إعلان شعورى وتعميم كلامىّ وما شابه. أحيانا أداعب المدمن قائلا: لا تشدّ إرادتك هكذا وأنت تحزق "حتى لا تنقطع منك، الإرادة – يا أسامة-التى تعيد برمجة مستويات المخ معاً، هى القادرة على إعادة تنظيم عمل المخ (برمجته)، وهذه ليست الإرادة كما يعرفها الناس، دعنا نبحث عن اسم آخر لا يحضرنى الآن، لكنه أقرب إلى "إتخاذ القرار متعدد المستويات معاً"، آسف، إنْسَ هذا.

هيا الآن ننتقل إلى نقطة أصعب عن الوعى وتعليقك بهذا الشأن.

د. أسامة

الوعى حالة لها طعم ومذاق، حتى حالة وعى الموت **"كل نفس ذائقة الموت".**

د. يحيى

يا خبر يا أسامة!! أشكرك يا شيخ، لست متأكدا إن كنت تعلم مدى انشغالى حالياً بمسألتَىْ **الوعى والموت**، لا..، ليس فقط هذه الأيام، ولكن طول عمرى، ولعلك تعلم كيف اختزل النفسيون (أطباء النفس، وعلماء نفس) موضوع الوعى حتى استبعدوه من الفحص، والدراسة أصلاً، اللهم إلا **"معرفة الزمان والمكان والأشخاص"، والانتباه، واليقظة!!!**، حاجة تدعو إلى الخجل يا أسامه!!، المهم أن الفلاسفة والشعراء والطبيعة الحديثة والمتصوفة والتطوريين لحقوا المسألة وهم يقومون بالواجب نحو الوعى والوجود والفطرة معاً.

وصلتُ مؤخرا **لـربطة بين الوعى الشخصى، والوعى الكونى إلى وجه الله فى علاقة كل ذلك بالسعى والكدح إليه حتى أننى فهمت الموت من خلال بعض النقلات،** مما لا مجال لتفصيله هنا والآن، وإن كنت أعرف أننى سأعود إليه يوما - إن كان فى العمر بقية.

المهم أن يكون قد وصلك من كلام طارق ما نّورنا فى هذه المنطقة، عن تعدد مستويات الوعى.

د. أسامة

... كل حالة حسب مستوى الوعى ضمن هيراركية متسعة الدوائر أو الحلزون أياً كان.

د. يحيى

الذى أتضح لى أكثر من نص كلام طارق هو أن "الدماغ" ليست وعياً جديدا، بقدر ما هى **دراية بالنقلة من وعى إلى وعى،** وأن تَجّدد ذلك باستمرار هو الذى يحقق للمدمن المطلوب، وهذا ما دعى طارق ذو السبعة عشر عاما أن يقوم بكل هذا التجريب طول الوقت، فيعلمنا ما تعلمنا، شفاه الله.

د. أسامة

هل المطروح هنا مستويات الوعى أم مستويات اللذة والنشوة وإن كان من الصعب الفصل، وأيهّما السبب، وإيهما النتيجة؟

د. يحيى

لا أظن، عندى أن "مستوى الوعى"، هو منظومة أشمل جدا، وإن كنت أوافقك على صعوبة الفصل، ولابد أن نعود إلى ذلك معاً خصوصا لو خصصنا يوما أسبوعيا ثابتا فى هذه اليومية لمناقشة مسألة الإدمان باستمرار.

تعالى يا أسامة نستمع معا لواحد من أصغر أبنائى يشاركنا الرأى فيما وصله حول الإدمان من نفس الموضوع وهو **د. كريم شوقى**

د.كريم

(مصداقا للعرض الذى عرضتَه عن الدماغ الذى يعمله المدمن، وأن ذلك يعنى هو الوعى بالنقلة) **قال لى أحد المدمنين:**

...عارف يا دكتور كريم أحلى ضربة بتبقي هى اللى بعد العلاج عشان بتعمل أحلى دماغ.

د. يحيى

ياه، يا كريم! بالضبط !! هذا هو ما أردت توصيله من هذه الحالة، بالضبط، إن "الدماغ" هو الوعى (الدراية) بهذه النقلة، هو ليس حالة الوعى الجديد، وهذا ما قلته للدكتور أسامة عرفه حالا. لقد لقطتّها يا رجل، شكرا لك (ولطارق شفاه الله).

السبـــــــت 27-10-2007

57-التحكـُّــــــمْ، والخـــــــوف من فقـــــــــــدهً (الأخير)

الـلـعـبـة الـتـاسـعـة

لا يـاعـم دا أنـا لامـم نـفـسى بـالـعـافـيـة بـس دا مـا يمـنـعـش انى ...

الـلـعـبـة الـعـاشـرة

لازم أعـرف أنـا فـين و أنـت مـين قـبـل مـا أسـيـب مـاهـو بـرضه...

ضيـوفـنـا الـكـرام هـم نـفـس ضيـوف حـلـقـة **"الـتـحـكـم والخـوف مـن فـقـده"** (مـن بـرنـامـج **"سـر الـلـعـبـة" بـتـاريـخ 30-3-2005)** وقـد نـشـرت الحـلـقـات الخـمـس الأولى بـتـاريـخ **(الـلـعـبـة 1 يـومـيـة 3-10)** والـثـانـيـة **(لـعـبـتـان الـــ (2،3) يـومـيـة 10-10)** الـثـالـثـة **(الـلـعـبـة الـــ (4) يـومـيـة 14-10)** والـرابـعـة **(لـعـبـتـان الـــ (5،6) يـومـيـة 20 - 10)** والخـامـسـة **(لـعـبـتـان الـــ (7،8) يـومـيـة 22 - 10)**

الـسـيـدة: مـنى، كـلـيـة الـفـنـون الجـمـيـلـة
الأسـتـاذ: فـوزى، مـدرس تـربـيـه فـنـيـة
الأسـتـاذة: سـوزان، صحـفـيـة
والـدكـتـور: هـانى مـدرس مـسـاعـد (طـب نـفـسى) جـامـعـة 6 أكـتـوبـر

ملاحظات مبـدئـيـة

هـذا هـو الجـزء الأخـير مـن هـذه الحـلـقـة، ولا أعـرف إن كـان المـتـابـع لهـا قـد اسـتـطـاع أن يـصـبر عـلـيـنـا هـكـذا أكـثـر مـن شـهـر وهـو يـربـط بـين الحـلـقـات المـتـتـالـيـة أم أن الخـيـط قـد فـقـد مـنـه، ونحـن الـسـبـب، سـواء كـان هـذا أو ذاك فـلـيـعـذرنـا الـزائـر/الـقـارئ فـنـحـن مـا زلـنـا نجـرّب ونـنـتـظـر اقـتـراحـاتـه، وإلى أن نـصـل إلى مـا هـو مـنـاسـب لـه ولـنـا، نـنـصـحـه، وخـاصـة إذا كـان زائـرا جـديـدا، أن يـرجـع إلى الحـلـقـات الـسـابـقـة فى أرشـيـف هـذه الـيـومـيـة **(أنـظـر عـالـيـه)**.

كـمـا نـنـصـحـه بـأن يـطـبـع هـذه الحـلـقـات، أو يـقـوم بـنـقـلـهـا إلى حـاسـوبـه لـيـقـرأهـا مجـتـمـعـة، ثم يـرسـل لـنـا تـعـلـيـقـه إذا تـفـضـل.

والآن إلى نـص الـلـعـبـة الـتـاسـعـة

لا يـاعـم دا أنـا لامـم نـفـسى بـالـعـافـيـة بـس دا مـا يمـنـعـش انى ...

أ/سوزان: يا دكتور هانى لا ياعم دا أنا لامّة نفسى بالعافية بس **دا ما يمنعش انى اسيبها احيانا**

د/هانى: يا مدام منى لا ياعم دا أنا لامم نفسى بالعافية بس **دا ما يمنعش انى زى الحزمة المربوطة اللى بتتفرفط ....**

أ/منى: يا دكتور يحيى: لا ياعم دا أنا لامم نفسى بالعافية **بس دا ما يمنعش انى ساعات تحصل حاجات انا مش مسئولة عنها، يعنى بتطلع كده غصب عنى**

د/يحيى: أستاذ فوزى لا ياعم دا أنا لامم نفسى بالعافية **بس دا ما يمنعش انى انا اللى عامل كده ولازم اتحمل المسئولية، وذنبى على جنبى**

ا/فوزى: عزيزى المشاهد لا ياعم دا أنا لامم نفسى بالعافية **بس دا ما يمنعش انى ادور على حقوقى شوية واسيب نفسى شوية**

المناقشة

يحيى: فيه حاجة فى اللعبة دى محيّرانى شوية، حد يحب يغير فى الفاظها

أ/فوزى: انا نفسى اشيل "إنى"

د/يحيى: (معقول) ما علينا، هو انا اتخضيت أولا من حكاية لامم نفسى، بس دا ما يمنعش (خيل إلى) إن فيه تناقض شوية فى اللعبة.

د/هانى: التناقض اللى فيها مش (باين)

د/يحيى: بس انت قلت كلام مهم جدا (يا دكتور هانى) حكاية "زى الحزمة اللى بتتفرفط"، أظن (قريب من) نفس الكلام اللى قالته "منى"، مش كده قولتى **"بيطلع غصب عنى"**. إنما حكاية مسئولة ومش مسئول دى عايزة توضيح، الظاهر إحنا مسئولين عن اللى بيطلع، وعن السيبان، وعن اللم، مادام أنا لامم نفسى، يبقى انا مسؤل عن كده، كنت هاكمل: مش من حقى اشتكى (بس بلاش).

أ/ منى: هو ممكن فيه حد يستفز اللى قدامه بحيث يخليه غصب عنه يطلّع حاجات فى مواقف معينة

د/يحيى: برضه حتى وهو بيطلع غصب عنه، بيبقى مسئول عن اللى طلع منه

أ/ منى: ... ولا بيبقى خلاص خرج عن شعوره؟

د/ يحيى: لأ كلها مسئولية: السيبان مسئولية، واللمةً مسئولية، أنا بيتهيأ لى هو ده اللي عاوزين نوصله للناس ونفسنا. على فكرة أنا مابا وصلش حاجة للناس، البرنامج ده بيختلف في كده، إحنا مش بنوصل حاجة للناس بنوصل حاجة لينا، ومن خلال ما بنكون صادقين، والحمد لله الأمور مشيت بتروح

الـنـاس عـلـى طـول لاقـطين، أنـا أظن حـكـايـة لامـم نـفـس بـالـعـافـيـة واخـتـلاف الاسـتـجـابـات بـتـقـول إن الـلـمـة المطـلـقـة مـسـتـحـيـلـة، وإن فـيـه حـاجـة هـاتـفـرفـط مـني هـاتـفـرفـط مـنى، وإذا انـفـرطت بـرضـه أنـا مـسـئـول، وكـمـان أكـتـشـف فى نـفـسـى إن الـلـمـة زيـادة عـن الـلـزوم مـسـئـولـيـتى.

أ/ فـوزى: أنـا رأيـي إن هـو مـش حق مـن الحقـوق. ....

المـنـاقـشـة الـعـامـة

بـشـكـل عـام أشـعـر الآن أن هـذه الـلـعـبـة لم تـضـف جـديـدا إلى مـا ذكـرنـاه فى الألـعـاب الـسـابـقـة، الـلـهـم إلا شـرحـا ثـانـويـا لـلـمـأمـول مـن تـوظـيـف الـبرنـامـج لـتـعـمـيـق المـسـئـولـيـة، مـسـألـة "غـصـبـا عنى" شـاعـت فى مجـتـمـعـنـا بـشـكـل كـاد يـصـبـح وبـائـيـا، حتى ان مـن يـتـهـمـنـا بـالـلـجـوء طـول الـوقـت لـتـفـسـير الأزمـات، والـسـلـبـيـات وبـأنهـا مـن فـعـل فـاعـل (مـا يـسـمـى بـالـتـفـكـير الـتـآمـرى) يمـكـن أن يـربـط ذلـك بـشـيـوع الاعـتـذار بحـكـايـة "غـصـبـا عـنـا".

الـتـعـقـيـب: فـردا فـردا

سـوزان

مـازالـت سـوزان تـبـدو حـكـيـمـة، ومخـتـارة فى تـوقـيـت وجـرعـة الـسـمـاح بـالـسـيـبـان

مـنى

تـبـدو هـنـا أكـثـر تـبريـرا لاحـتـمـال الـسـيـبـان الاضـطـرارى، الأمـر الـذى لا يمـكـن الجـزم بـه عـلـى أنـه أضـطـرارى.

د. هـانى

تخـلـص د. هـانى هـنـا مـن مـهـنـتـه نـسـبـيـا حـيـث تـشـير إجـابـتـه إلى حـجـم الحـزمـة الـتى يـربـطـهـا بـربـاط بـقـدر مـا يـسـتـطـيـع، لـكـن يـبـدو أن الـربـاط لـيـس كـافـيـا، تـرى هـل الـذى يخـلـخـل إحـكـام الـربـاط هـو ممـارسـتـه المـتـزايـدة لـلـطـب الـنـفـسـى، ومـا يـفـعـلـه المـرضى بـنـا؟

فـوزى

مـازال فـوزى يحـسـبـهـا بحـرصـه الـواضـح، وهـو هـنـا يـربـط بحـثـه عـن حـقـوقـه بـالـتـحـكـم، فى حين يـربـط الـسـمـاح بـالـسـيـبـان بـعـكـس ذلـك، وكـأنـه مـازال يـقـاوم حقّـه فى الـسـيـبـان فـهـو مـازال كـمـا هـو: مـدافـعـاً مُـحِـقّـا طـيـبـا طـول الألـعـاب الـعـشـرة.

د. يحـيـى

اعـتراف د. يحـيـى بـأنـه "الـلـى عـامـل كـده" ربمـا يـشـير إلى فـعـل الإرادة الـواعـيـة أكـثـر فـأكـثـر ربمـا مـن مـوقـع مـهـنـتـه، أو عـمـره، أو إدراتـه لـلـحـلـقـة، أو كـل ذلـك.

***

الـلـعـبـة الـثـامـنـة:

لازم أعـرف أنـا فـين، وأنـت مـين، قـبـل مـا أسـيـب مـاهـو بـرضـه......

د/ هانى: يا استاذ فوزى لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو **برضه إنت شايفني وأنا باسيب**

أ/ فوزى: يا مدام سوزان لازم أعرف أنا فين وأنتِ مين قبل ما أسيب ماهو **برضه السيبان ده عاوز حسابات، لازم يبقى فيه حسابات**

أ/ سوزان: يا منى لازم أعرف أنا فين وانت مين قبل ما أسيب ماهو **برضه الحرص واجب.**

أ/ منى: يا دكتور يحيى لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو **برضه تتحملني في السيبان.**

د/ يحيى: عزيزى المشاهد لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو برضه إيش ضّمنّى بصحيح.

المناقشة

لم يعلق المشاركون بأية طلاقة أو تفصيل على هذه اللعبة، مثلما حدث فى اللعبات التسع السابقة فكان علينا أن نناقش هذه اللعبة مباشرة على الوجه التالى:

المناقشة العامة

بدا لى أن هذه اللعبة الأخيرة هى بمثابة التكملة للعبة الثانية **"لو عارف إن حد حايستحملنى يمكن اسيب نفسى"** وأيضاً اللعبة السادسة **"سيب أنت الأول وانا ساعتها"**. الإضافة التى تضيفها هذه اللعبة هنا ربما تشير إلى: أن سماحى بالسيبان أمام آخر لا يكفى فيه أن أطمئن إلى أن هذا الآخر قادر على تحمل نتيجة سيبانى، وإنما قد يلزم -أيضاً- أن أعرف مَنْ هذا الآخر، حتى أستطيع أن أشارك فى تقدير إن كان يمكن أن يتحملنى أم لا، أما حكاية **"أنا فين"** فهذه جديدة فعلاً، لأنها تربط السماح **بالمكان، والمجال** وقد تذكرتُ الآن، وربما وأنا أعدّ اللعبة تلك العادة اللطيفة التى يعملها بعضنا وهو فى الحمام حين يسمح لنفسه أحياناً بالغناء لنفسه بصوت مرتفع، الأمر الذى لا يقدر-عادة- أن يمارسه خارج الحمام، وكأن التعرى ولو من الملابس بعض الوقت فى مكان مغلق، قد يسمح لنا بما لا نستطيع أن نمارسه فى مكان آخر. وكذلك "أنا فين" هنا قد تشمل أيضاً "المجال" و "المحيط" وربما الوقت الذى يسمح بذلك.

التعليق فرداً فرداً

هانى

بدا أن تحفظ د. هانى وحرصه أن يعرف "من هو" هذا الآخر الذى سيسيب نفسه أمامه، هو بسبب أن هذا الآخر سوف يكون موضع سره، "ماهو برضه .... شايفنى"

فوزى

مازال فوزى أكثر أفراد المجموعة حسابات وتحسبات.

سوزان
لم تضف سوزان إلا ما كررتْه سابقاً، وهو ما أكّد تحفظها الهادئ **"ماهو برضه الحرص واجب".**

منى
لم تنس "منى" أنها توجه كلامها إلى الطبيب المسئول، وأيضاً هو المسئول عن إدارة الحلقة، فهى تذكره بواجبه أن **يتحملها إذا ما سابت نفسها.**

د/ يحيى
لم يختلف موقعه وحرصه عن اللعبات السابقة، فهو مازال - برغم موقفه هذا، أو بسببه- يطلب ضمانات أكثر فأكثر.

تعقيب ختامى على العشر لعبات (من التسجيل)

د/ يحيى: إحنا كده لعبنا عشر لعبات وأنا فعلاً مش عاوز أقول شاكر تاني. بس فعلا أنا مطمئن ومبسوط، كتّر خيركم ان انتم سيبتوا نفسكم. إحنا دخلنا في منطقه فيها كلام كتير وشعارات كتيرة وادعاءات كتيرة، ودائماً نتصور إن القهر من الخارج مش من الداخل، أتارى الرقيب جوانا محترم (زى ما شفنا)، فاللي عاوز يشتغل فى الحرية بصحيح أظن مافيش داعي يحط كل حاجة بره، القضية حقيقية وداخلية قبل ما تبقى خارجية، ياريت كل واحد يكون طلع بحاجة جديدة وصلته من العشر لعبات على بعضها، نبلغها لنفسنا وبعدين يمكن تصل الى المشاهد .... من كل اللى عملناه

د/ هاني: يعني أنا من العشر لعبات وصلني إني إتحملت الاختلاف في كل لعبة . اللعبةً فيها حاجتين دايما كنت باحس وأنا باقول إنى باحمل حاجتين، زى ما يكون دماغي إتخرقت، وانا بعمل الحاجتين دول، يعني باقول حاجة، وباستحمل نقيضها جوايا يعني.

د/ يحيى: حد (تانى) يحب يعلق على العشر لعبات على بعضها؟

أ/ منى: يعني انا لازم واحدة أحبها، لازم أبتدي بالمبادرة إن أسيب لها في العلاقة مابيني وما بينها، علشان أسمح بالعلاقه تكون ما بينا كويسة جداً، تحقق الغرض إن الواحد يعرف يسيب نفسه مع بعضنا.

أ/ سوزان: الملخص اللي أنا حسيته من العشر لعبات إن الإنسان . أنا أو الإنسان لازم نبتدي من جوه أن انا أنساب أو أعطي الحريه **لنفسى من جوه لبره،** وبعدين **اعطى للأخر الفرصة إن هو كمان ينساب وينفتح** وبكده ممكن العلاقة تصير ف جو صحيح.

خاتمة

د/ يحيى: عزيزى المشاهد .. شكراً لتحملك مشاركتنا هذه المخاطرة المحسوبة، أرجو أن نكون قد نجحنا فى أن نعرى نفسنا

ما أمكن، **كما أرجو أن يكون قد بلغتك الخطورة المناسبة، كل واحد يحدد المساحة والتلقائية ويعرف إن من حقه يسيب، وإن مسئوليته إنه يتحمل نتائج اللى طلع، وإنه عليه برضه مسؤلية عدم السيبان.**

أنا هاقول العشر العاب تانى وباعزم عليك - عزيزى المشاهد (والزائر) - أنك تلعبها مع أصحابك ،مع أسرتك، مع نفسك فى المراية، (حسب ما تقدر)

اللعبة الأولى: ياخبر .. دانا لو سبت نفسي .. يمكن .....

اللعبة الثانية: لو عارف إن حد هيستحملني، يمكن أقدر أسيب نفسي **.. وساعتها. ....**

اللعبة الثالثة: أسيب نفسي بتاع أيه**.. ده أنا حتى ...**

اللعبة الرابعة: سيبان بسيبان **.. أنا ممكن إني .....**

اللعبة الخامسة: حتى في الحلم، أنا مبقدرش أسيب نفسي على راحتها ... **لحسن ....**

اللعبة السادسة: سيب انت الاول ، **وانا ساعتها ....**

اللعبة السابعة: انا مش ممكن اسيب نفسى إلا **لما اعرف انى ...**

اللعبة الثامنة: اللى مانعنى اسيب نفسى... **هو ....**

اللعبة التاسعة: لا ياعم دا أنا لامم نفسى بالعافية بس **دا ما يمنعش انى ....**

اللعبة العاشرة: لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما **أسيب ماهو برضه......**

****

وإلى لعبة تالية نرجو أن نصقل المنهج أكثر فأكثر، بالمحاولة والمراجعة،

وفى انتظار مشاركتكم دائما: نقداً وتوجيهاً واقتراحاتِ.

- هذا التعقيب الختامى، كما فى غيره من كلام د. يحيى، ليس بالضرورة هو التسجيل الحرفى، نظراً لاختلاف وسيلة توصيل الرسالة المراد توصيلها، فالأمر يختلف من الشفاهية للكتابة، لكننا حرصنا دائما على الالتزام بالهدف والمعنى طول الوقت.

الأحـــــــــد 28-10-2007

58-السيـــــــــرة الذاتيـــــــــة والإبـــــــــداع

هرمان هسّه وتجليات التعدد إلى التكامل (إليه..) (1)

لظروف اضطرارية، قرأت أمس عمل (رواية) **"سد هارتا"**، **"لهرمان هسه"**،

هذه الظروف الاضطرارية ليست سراً، فهو الكتاب الذى سوف نناقشه يوم الجمعة القادم 2-11-2007 فى الندوة الثقافية التى تعقدها مستشفى دار المقطم للصحة النفسية بالاشتراك مع جمعية الطب النفسى التطورى، وسوف يقوم بمناقشته أ.د. مدحت الجيار، وأ. هيثم عبد الفتاح.

طيب أين الظروف الاضطرارية؟

ذلك أننى كنت قد قررت -والأمر كذلك- أن أقاطع هذه الندوة احتجاجا على اهتزاز قيمها، وتراجع نظامها، الأمر الذى التزمنا به شهريا لأكثر من ثلث قرن (منذ 1974)،

كنا قد اشترطنا أن يكون العمل، قيد المناقشة، فى هذه الندوة، فى متناول الحضور، وذلك قبل موعد الندوة بوقت كاف، حتى تتم قراءته من معظم الحضور، وقبل التقديم، ومن ثم يأتى التقديم إضافة نقدية، وتكون المناقشة جادة مثمرة، بما يمكن به أن نحقق أهداف الندوة التى حددناها منذ البداية، ذلك بعد أن تعاهدنا على ما يلى:

أولاً: ألا تكون الندوة صوتا واحدا (المقدم أو المقدمان، مثلاً)

ثانياً: ألا تكون استعراضا سَرْديا،

ثالثاً: ألا تكون مباهاة موسوعية،

رابعاً: ألا تكون –مجرد- احتفالية اجتماعية للمؤانسة غير المعلنة

إذن لماذا الندوة؟

تصورنا، (ورحنا نكرر ذلك بسخفٍ لحوحْ) أننا نأمل أن تحقق الندوة للمقدمين والحضور

أولاً: إضافة معرفية (لا مجرد زيادة معلوماتية)

ثانياً: دعوة لإعادة النظر

ثـالـثـاً: تحريكا لـلـوعى (بـأى درجة)

رابـعـاً: أمـلا فى تـغـيير مـا (كـنـا دائـمـا نـقـول جدًّا كـالهزل، أو هزلا كـالجدّ، ولـو واحـد فى الألـف).

طيب، هل حققت الـندوة بـعد ثـلث قرن أيـا من هذا ؟

الإجابـة : لا أظن

ولا أسـتطيع أن أنـفـى بـإطلاق .

الـذى حدث أن الحضور الأفـاضل، ويـتراوح عددهم حول الـثلاثين، أصبحوا هم نـفـس الـوجوه تـقـريـبـاً ، ولا اعتراض عـلـى ذلـك فـهـذا نجاح فى ذاتـه، يـضاف إلـيـهم حضور (شبه إلـزامـى) لـلـزمـلاء من الأطـبـاء الـنـفـسيين والمعالجين والأخصائـين الـعـامـلـين بـالمستشفـى، هؤلاء وأولـئك، بـرغم انـتظام الحضور أخذ يـتراجع الـتـزامـهـم رويـدا رويـدا بما فى ذلـك الالـتزام بـقـراءة الـعمل مسبقـا، طبـعـا هذا يـرجع أسـاسا إلى خطإ من جانـبـنـا (منظمّى الـنـدوة) لأن الـعـمـل المقدم عادة يـكون صعب الحصول علـيـه (مع أنـنـا نـلـتـزم بـتـصويـره إن كـان غير مـتـاح) بـالإضافـة إلى تـقـصير آخـر، هـو أنـنـا كـنـا لا نخطر الـضـيـوف الأفـاضل بـاسـم الـعـمـل ومكـان نـشره قـبـل الـنـدوة بـوقت كـافٍ، وبـالـتـالى لا يـتـمكـن الـضيـوف من قـراءتـه استعدادا لـلـنـدوة .

حين **لاحظت كل ذلـك فى الـسـنـوات الأخيرة، ثم شككت فى مصداقـيـة وجدوى الحضور الإلـزامـى لـلـزمـلاء الأصغر** (مع أنـى اعتبر هذه الـنـدوات مـهـمـا كـان مـوضوعـهـا بمثـابـة جزء جوهرى أسـاسى فى تـدريـب الـذيـن يـعـمـلـون فى هذه المستشفـى بـاعـتـبـارهـا مستشفـى المجتمع الـعلاجى)، **بـدأت أقـلـق عـلى مسار ومصير الـنـدوة،** وظلت هـواجسى تـتـزايـد مع الـتـمادى فى عدم الالـتـزام، حتى أنـنى كـنت أحيانـا فى بـدايـة كل نـدوة أسأل **عن: من الـذى قـرأ الـعـمل مسبقـاً،** أفـعل ذلـك وأنـا أقـول أحيـانـا (متصنعـاً المزاج) **"الـلـى قـرا الـعمل يـرفـع إيـده"** - حتى نهرنى ابـنى محمد (الـذى كـان مسئـولا عن هذه الـنـدوات الـثـقـافـيـة عددا من الـسـنـوات) بـاعـتـبـار أن الحضور لـيسوا تـلامـيـذا فى سـنـه ثـالـثـة إعدادى، ولـيس من حقـى أن أسألهم عن الـذى "عمل الـواجب" فـتـوقـفـتُ مُكَرهـا عن مثل ذلـك

مـرة أخرى : أيـن الاضطرار بـعد كل هذا الحكى ؟

الـذى حصل أنـى حين بـدأت كـتـابـة هذه الـنـشرة الـيـومـيـة لـلإنـسان والـتـطور فى هذا الموقـع منذ أول سبـتـمبر 2007 ، رجوت ممن أعرف من ضيـوف الـنـدوة. وجماعات الحضور الإلـزامـى أن يـتـابـعـو مـا أكـتب، مـا أمكـن ذلـك استكـمالا لـفـكـرة الحوار الـتى تـتـبـنـاهـا الـنـدوة، رجوتهم أن يـتـابـعـونى ولـو فى الـبـدايـة، حتى يـصححونى، ويـوجهونى إلى أن أسـتـقـر عـلى مـنـهج، أو أتـعـرف عـلى المخاطَب، أو أحدد الهدفْ، خاصة فى مـرحلـة الـتـجريـب الأولى الـتى مـازلـت فـيـهـا حتى الآن، وانـتـظرت من أىٍّ ممن وصلـهـم رجائـى أى تـعـلـيق أو نـقـد أو إشارة، فـلـم يحدث أى من ذلـك، فـكـررت الـطلـب وكـتـبـت بـعضه فى بـعض الـيـومـيـات هنـا، ولم يـسـتجب أحد، فـطرحت عـلى نـفـسى أسـئـلـة عـلـى الـوجه الـتـالى:

1- ألستُ أنا هو هو الذى يحرصون على أن أحضر الندوة، لأحرك النقاش وأساهم فى التعقيب؟

2- أليس ما أكتبه فى هذه اليومية هو فى نفس الإتجاه. ولنفس الغرض " تحريك الوعى والأمل فى التغيير ؟"

3- أليس الهدف فى نهاية النهاية هو أن نتحرك معاً لنفهم فنعمل، كلٌ بما تيسر له، أىَّ شئ، بأى قدر، لعل وعسى؟

4- أليست هذه اليومية هى امتداد لمجلة الإنسان والتطور التى كانت تصدر فصلية، لتؤدى نفس الوظيفة التى تهدف لها الندوة والجمعية، لعلنا نحقق نفس الأمل فى نفس الإتجاه، لنفس الهدف؟

بصراحة -وربما لحاجتى الشخصية- اعتبرت أن **الرد** على هذه الأسئلة **جاءنى سلبا**، من واقع هذا الصمت، والعزوف عن المشاركة فى مناقشة هذه النشرة اليومية الإلكترونية لمجلة الإنسان والتطور، وخرجت من ذلك بأن علىّ أن أراجع من جديد ما وصلتْ إليه حال هذه الندوات، وتزايدت شكوكى فى احتمال تحقيق أى من أهدافها (ولا أقول أحلامها) السالفة الذكر.

نتيجة لذلك، اعتذرت عن عدم حضور ندوة أكتوبر (2007 الشهر الماضى) مع أن موضوعها كان فى بؤرة إهتمامى **"حكايات الدقهلية". مجموعة** مختارة **من القصص الشعبية.** تأليف **(د.فتوح أحمد)**، هذا الموضوع يتصل مباشرة بباب **"مثل وموال"** الذى ظل يصدر طوال عشرين عاماً فى مجلة الإنسان والتطور، وكنت أحرره بدون اسم، حتى جمعت بعضه ونشر فى كتاب الهلال بنفس الاسم: **"مثل وموال"**

اعتذرت عن ندوة الشهر الماضى وأنا متألم أشد الألم، ذلك لأنها أول مرّه اعتذر فيها احتجاجا هكذا منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وتصورت أن هذا الاعتذار الاحتجاجى سيُحْدث للقائمين على الندوة "صدمة" تجعلنا نعيد النظر فى كل شئ، طبعا كان هذا التصور مرتبطا بفكرتى عن نفسى أننى لابد **"رجل مهم"، وأنهم سوف يفتقدوننى جدا**، وأن الأمور سوف تنصلح، قال ماذا؟ نظرا لحرصهم على ألا أعتذر ثانية.

الذى حدث أنهم لم **يسألوا فى "صحة سلامتى"** بالنسبة للندوة القادمة، انتظرت ولا صوت ولا خبر، حتى وجدت نفسى أننا أصحبنا فى يوم 23 أكتوبر 2007 ولم يبق على الندوة القادمة (2نوفمبر2007) إلا بضعة أيام، ولم يخبرنى أحد بموضوعها بعد، ولا أرسلتْ لى الابنة الكريمة سكرتيرة الندوة د. بسمه محمد نسخة مما سيقدم فيها، ولا هى استشارتنى فى موضوعها كما اعتادت.

قلت فى نفسى، هكذا تكون الإفاقة (إفاقتى أنا) - يبدو أنهم - أخيرا استغنوا عن خدماتى،

وأيضا انتبهت أننى لابد كنت مغرورا فى تقدير أهميتى، وحرصهم على حضورى .

ما علينا

تطفلت على ابنتى د. بسمة وسألتها عن موضوع الندوة فأخبرتنى أنها **رواية "سد هارتا"**، لهيرمان هيسه!! يا خبر يا بسمه!، أليس هو صاحب "دميان" الذى قدمته سنه 2005 ؟ قالت: نعم، وقدمنا له أيضا **"أيام من حياتى"** فى نفس السنة تقريباً، قلت لها : "ولِمَ لْم تخبرينى حتى الآن ولم يبق على الندوة سوى أيام، أين الكتاب؟

"أشفقت عليها خشية أن تكون قد تصورت أننى ألومها بصفتها الشخصية، ولم تقل لى طبعا أنهم أو أنها استغنت عن خدماتى، ولا حتى أنها فهمت أننى قاطعت الندوات كلها فأشفقت أن تضغط علىّ، ولم تقل لى أيضا ما لا أعرفه. المهم وعدتنى أن ترسل لى الكتاب، وأنا مازلت محتجا -أو أبدو كذلك- مصرًّا على عدم الحضور

ثم ماذا؟

وأنا فى هذه الحالة من الاحتجاج ("مقموص يعنى") وصلنى الكتاب.

ولأن لى رأيا فى رواية **"دميان"** أبديته فى الندوة التى ناقشناها فيه، وأيضا فى **"هيرمان هسه"** نفسه، ولأنه كان لى اعتراض شديد أن نعتبر **"أيام من حياتى"** هى سيرته الذاتية، لم أستطع إلا أن أزيح كل ما أمامى وأقرأ كتابه الجديد المقترح (يقال روايته!) "سد هارتا"، ووجدتنى أنتهى منها فى جلسة واحدة من فرط ما شدتنى (مضطرا !!)،

استتبعَ ذلك أننى وجدت نفسى: **أولاً:** أرجع إلى سيرته الذاتية المزعومة "أيام من حياتى"، وأيضا إلى دميان وأقرأهما من جديد **وثانيا:** أقرر أن اكتب ناقدا هذه الأعمال الثلاثة معاً فى هذه اليومية بهذا العنوان !! **السيرة الذاتية والإبداع: هرمان هسه، وتجليات التعدد إلى التكامل (إليه)!**

آسف!!! . . ما هذا ؟

انتهت "اليومية" قبل أن أبدأ فى كتابة الموضوع

هل تنتظرون حتى الغد

آمل ذلك.

ملحوظة

برغم أننى مازلت عند قرارى ألا أعود للندوة الثقافية الشهرية (إلا مضطراً، يعنى يتحايلوا علىّ جداً جداً) فإننى أدعو كل زوار هذا الموقع لحضور كل من الندوة العلمية الساعة الثالثة ظهراً والثقافية الساعة السادسة يوم 11/2 ومرفق مع هذا تفاصيل ذلك.

فإليكم الدعوة

الندوة العلمية الجمعة 2 نوفمبر 2007
تـغـيـر الـذات !

"فترات بـاحس كـأنى فى فيلم، أو كـأنى بـاحلم.. بـاحس كـأنى بـاتفرج من بعيد علىَّ وعلى اللى بيحصل..."

- هل سبق وأن عايشت مثل هذه الخبرة؟!
- ولـو لـلحظات؟
- هل هذا عَرَض؟
- أم مَرض؟

-وهل هناك داع للتفرقة، وما هى دلالات كل ذلك؟!!

أسألة متعددة يجاب عليها فى الندوة العلمية [الجمعة الثانى من نوفمبر 2007]

تقديم: د. أحمد عثمان

Depersonalization

"Sometimes I feel as if I'm in a movie, or as if I'm dreaming..,

or as if ,and from a distance, I'm watching my self and what's going on…"

- Have you ever lived such experience?!
- Even if its for moments?
- Is it a symptom?
- Is it a syndrome?

-And would it be of value to differentiate?! And what is the significant of all of that?

Answers to all questions will be found next scientific seminar {Friday. Nov.2nd}

Dr. Ahmed Othman

سكرتير اللجنة العلمية: د. يحيى جعفر

*** ملحوظة:** الندوة العلمية بدار المقطم، هى ندوة شهرية تقام يوم الجمعة الأول من كل شهر، وهى دعوة للحوار العلمى تهدف أساساً إلى تناول المواضيع الإكلينيكية، والتطبيقية بشكل عملى.

* تعقد الندوة الساعة الثالثة عصراً - بقاعة المحاضرات بمستشفى دار المقطم للصحة النفسية 10 مدينة المقطم 25080223 - 2 5080876

يقوم أتوبيس خاص من أمام دار الحكمة - شارع قصر العينى ظهر يوم الندوة - قبل الميعاد المثبت بساعة كاملة.

الـنـدوة الـثـقـافـيـة الجمعة 2 نـوفـمبر 2007

تـنـاقـش الـنـدوة كـتـاب:

"سد هـارتـا"

نـثـر من الهـنـد

"وإذا مـا أنـصت سد هـارتـا بـدقـة إلى الـنـهـر هـذا، إلى هـذه الأغـنـيـة المـتـألـفـة مـن آلاف الأصـوات، وإذا مـا امـتـنـع عـن الإصغـاء لـلألم أو الـضـحـك وعـن إقـران نـفـسه بـصـوت مـعـين مـن الأصـوات وعـن الـغـوص فـيـه، إذا مـا اسـتـمـع إلى الجـمـيـع، إلى الـكـل وإلى الـوحـدة، فـإن نـشـيـد الألـف صـوت الـعـظـيـم يـتـألـف مـن لـفـظ واحـد: أوم، الـكـمـال."

المـؤلـف: هـرمـان هسه

تـرجمة: جيزلا فـالـور حجّار

الـنـاشـر: مـكـتـبـة نـوبـل

تـقـديم: أ.د. مـدحـت الجـيـار - أ. هـيـثـم عـبـد الـفـتـاح

سكـرتـير الـنـدوة: *د. بـسـمـة محـمـد*

***مـلـحـوظـة**

تـعـقـد الـنـدوة الـسـاعـة الـسـادسـة مـسـاءاً - بـقـاعـة المحـاضـرات، بمـسـتـشـفـى دار المـقـطـم لـلـصـحـة الـنـفـسـيـة ، شـارع 10 مـديـنـة المـقـطـم.

الإثنيـــــن 29-10-2007

59- السيـــرة الذاتيـــــة والإبــــداع: هرمـــان هِسّـــهْ

تجليات التعدد إلى التكامل (إليه..) (2)

رفض نجيب محفوظ أن يكتب سيرته الذاتية، وفى رأيي أن هذا من أفضل ما استن من سنن. من الذى يستطيع، أو يجرؤ، أو يعرف ما هى "سيرته الذاتية"؟ لن أدخل فى تفاصيل هذه القضية فقد تناولتها بقدر كاف فى **ثلاثية ترحالاتى [الترحال الأول: الناس والطريق، الترحال الثانى: الموت والحنين، الترحال الثالث: ذكر ما لا ينقال]** كما ناقشتها فى مقدمة نقدى **لأصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ،** وبرغم أن الكثيرين اعتبروا ثلاثية "الترحالات" سيرة ذاتيه لشخصى، إلا أننى فضلت أن أتعامل معها باعتبارها أقرب إلى أدب الرحلات، بما فى ذلك ما أسميته "رحلات الداخل والخارج، وبالعكس.

لكننى أذهب إلى أقصى الطرف الآخر حين أعتبر أى مبدع حقيقى لا يكتب (يرصد/يسجل/يشكل) إلا نفسه، إذ لا بد أن نعثر على المبدع فى أعماله دون استثناء، وقد بلغ بى الاقتناع بهذا الفرض مؤخرا أن جعلته يشمل كل أنواع الإبداع بما فى ذلك الإبداع العلمى. هل يمكن أن يعنى ذلك أننا يمكن أن نتعرف على شخص أينشتاين فى نظريته النسبية؟ إجابتى (أرجوك لا تندهش) أن "نعم" يمكن (تصوّر!)، هذه قضية تحتاج إلى عشرات بل مئات الصفحات لشرح بعض مداخلها، فلنؤجلها.

تأكد لى هذا الاحتمال الغريب (أن الكاتب المبدع لا يكتب إلا نفسه) أكثر وأنا أقرأ الأعمال الثلاثة التى أشرت إليها أمس **لهرمان هِسّهْ: "أيام من حياتى"** (ترجمة أحمد عمر هاشم طبعة 1999 الناشر دار سندباد للنشر والتوزيع)، ثم **"دميان"** (ترجمة عبده الريس، الناشر الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة آفاق عالمية) ثم **"سد هارتا"** (ترجمة جيزلا فالور حجّار، الناشر دارالمدى للثقافة والنشر)، قرأت هذه الأعمال *مضطرا* معا فى الظروف التى ذكرتها أمس، وحضرتنى عدة فروض تتعلق بهذا الشأن، وأولها ما ذكرته حالا من: **أن إبداع المبدع الحقيقى لا يمكن أن يخلو من سيرته الذاتية على مستوى ما،** وهذا شديد الارتباط بما أسميته **"الواقع الإبداعى"**، وبالنسبة لهيرمان هسّه، فإننى تصورت أنه يمكن من خلال قراءة من هو هو، وإلى أين، أن نحقق جانبا هاما مما يشغلنى بشأن

طبيعة النفس البشرية ومسارها، من حيث البدء بـ: **تعدد مستويات الوعى** (الذوات داخلنا وخارجنا) **فى سعيها الدائب نحو التكامل الممتد**، والذى تسمى بأسماء مختلفة، لعل ما نبدأ به هنا هو اسم **"التفرد"** Individuation الذى استعمله كارل يونج، خاصة وأن هرمان هِسّهْ الذى غامر بأن يدخل خبرة التحليل النفسى شخصيا، وقد تم له ذلك من منطلق مدرسة كارل يونج المسماة بعلم النفس التحليلى analytic psychology. وليس التحليل النفسى psychoanalysis ليس المهم – فى هذه المرحلة من التقديم- أن نناقش إلى أى مدى تأثر هرمان هِسّهْ بما خَبَره شُخصيا أثناء التحليل، فاقتنع به، أو عاشه (لا يمكن الجزم) فَنَضجَ فى إنتاجه. ليس هذا هو المهم الآن (وسوف نعود إليه فى **دميان**، وإلى درجة أقل فى **سيدهارتا**)، المهم هو أن هِسّهْ نفسه قد عاش بذاته، وفى إبداعه، بما يدعم **فرض التعدد للنمو**، بما حفزنى أن أعيد تقديم هذا الفرض من خلال الجمع بين بعض سيرته الذاتية (أيام من حياتى)، وهذين العملين الهامين، فى هذه الأطروحة.

تعريف موجز جدا

- ولد هرمان هسّه فى 2يوليو سنة 1877 وهو يصف ذلك بقوله " فى يوم حار من أيام شهر يوليو 1877، ثم يضيف "... وحرارة تلك الساعة التى ولدت فيها، هى التى أحببتها بلا وعى"، ثم يفسر بذلك تفضيله للجو الحار وحنينه المتصل إلى الجنوب (الهند خاصة).
- يُصنف هِسّهْ على أنه شاعر، وروائى، (ورسام تشكيلى أحيانا)
- حصل على جائزة نوبل فى الآداب سنة 1946
- هرب – طفلا – من التعليم العام
- ظل رافضا (ثائرا/محتجا/منسحبا/مبدعا) للواقع الخامد، والسلطات المغتربة.
- تزوج ثلاث مرات وأنجب ثلاثة أولاد من زوجته الأولى.
- مرض ابنه الأصغر مرضا شديدا ظهر فى أعماله.
- مرضت زوجته مرضا عقليا ودخلت مستشفى أمراض عقلية، وماتت
- كانت له مواقفه، ومشاركته، وإسهاماته فى مجريات عصره، وخاصة بالنسبة للحرب العالمية الأولى وما حولها
- ذاع صيته وانتشرت أعماله وترجمت إلى 54 لغة (على الأقل) حتى الآن
- بقية المعلومات وقائمة بأعماله يمكن الحصول عليها من أى موقع أو موسوعة

عودة إلى مسألة السيرة الذاتية والإبداع

ليست المسألة أننا بصدد دراسة مبدع بهذا الحجم لنصفق له، أو لنعريه، أو لنشخّصه!، لكن الهدف من هذه الأطروحة

التى قد تمتد مناقشتها لأسابيع أن **نتعلم من مبدع بهذا الصدق، وهذا الحدس، نتعلم منه ما هو السحر، وما هو الشعر، نتعلم ما هى الطفولة وما هو النمو، نتعلم ما هو الخيال الأوقع من الواقع ، وما هو الواقع الأكثر زيفا من أى حقيقة، نتعلم كيف تتجلى نفس الطاقة الفطرية بكل حركيتها النابضة التشكيلية فى إبداع فائق، وكيف تصدم فتتناثر أو تتشتت، ثم تتجمع ، نتعلم كيف ينحرف المسار بتلك الطاقة حتى يصل الأمر إلى جريمة لا يمكن تصورها -إلا خيالا- من مثل هذا الإنسان الصادق الرائع الجميل، وكيف يتقبل هو كل ذلك ولا يكف عن إبداعه وعطائه طول الوقت.**

لا أطمع فى أن أغطى كل هذه المناطق بما تستحق، كما لن أطيع هاجسا يغرينى بالاختزال أو التقريب، فلنتفق على المنهج إزاء هذه المغامرة.

ابتداء سوف أقدم فرض (أو فروض الدراسة) بشكل عام (قابل للتعديل والتطوير لاحقا)

- سوف أقصر بحثى (فى المرحلة الحالية)على هذه الأعمال الثلاثة السالفة الذكر
- أنصح الزائر (القارئ) الذى سوف يتابعنا أن يقرأ الأعمال الثلاثة بنفسه لنفسه بطريقته، (حتى قبل استكمال النقد) ، وان يصل إليه ما يصله بطريقته أيضا
- أرجو من المتابع أن يتحمل عدم الانتظام فى النشر خوفا من التشويه أو التعسف (لو أرغمت نفسى على الانتظام جدا)
- أرجو أيضا من المتابع أن يعود إلى الحلقات السابقة، وهو يتلقى الحلقة الجديدة ما أمكن ذلك، ويا حبذا لو طبعها أولا بأول.
- آمل أن ينبهنا من يشاء إلى ما نخطئ فيه، أو نتجاوزه، (كلما عَنّ له ذلك)
- أعلم أنها مغامرة أن يُكْتب عمل نقدى بهذا الحجم (لا أعرف حجمه تحديدا الآن) بهذه الصورة المتقطعة، لكننى، وبمنتهى الصراحة، ورّطت - كالعادة - نفسى حتى أنجزه، ولعلى أتبع نفس النهج فى معظم الأعمال النقدية التى لم أتمها أو أنشرها بعد، وإن كنت على يقين أنه بعد نشر هذه الحلقات، سوف يحتاج الامر إلى إعادة كتابة، وإعادة تحرير، قبل أن يصدر العمل مكتملا.

وسوف نكون معا غالبا (إن كان فى العمر بقية)

تحذير

أرجو من المختصين فيما هو نفس، وبالذات الطب النفسى والتحليل النفسى، ألا ينتظروا من هذه الدراسة **تشخيصا**، أو ترجمة سلوك إلى **أعراض**، أو اختزال النمو إلى **عقد شائعة**، أو أيّا مما شاع عند من يتبع أو يتصور انه يتبع ما يسمى **النقد الأدبى النفسى** (يمكن الرجوع إلى أطروحتى عن **العلوم النفسية والنقد الأدبى** مباشرة أو فى **كتاب تبادل الأقنعة**)

تساؤلات الأطروحة

1. نحن لا نعرف الطفولة، فهل يعرفها هِسّهْ؟ يعرف ماذا؟ إلى أى مدى ؟

2. هل عاش هِسّهْ طفولته رغما عنهم، وهل ظل يحتفظ بها حتى نهاية حياته؟

3. كيف تجلت الطفولة فى ما نتناول من هذه الأعمال الثلاثة؟

4. نحن لا نعرف ما هو الشعر، وكيف يكون الإنسان شاعرا إذا أراد، أم أن هناك احتمالات أخرى؟ وهل نجح هسّه أن يكون شاعرا، وهل استطاع إلا أن يكون شاعرا؟

5. نحن لا نعرف الخيال، ذلك الواقع الآخر، أو الواقع الأول، ويبدو أن هِسّهْ يعرفه بما يتيح لنا أن نعيد التعرف عليه، ولكن إلى أى مدى يمكن أن يكون هذا الخيال (الواقع) بديلا، أو دعما، أو إبداعا؟

6. نحن لا نعرف علاقة السحر الأبيض بما هو إبداع، ولا السحر الأسود بما هو إجرام، وهل يمكن أن يكون الإجرام إبداعا؟

7. ثم هل من إضافة دالة فيما يتعلق بعلاقة المرض النفسى/العقلى بالإبداع؟، وبالعكس: ما هى علاقة الإبداع بالمرض النفسى (ويستحسن ألا نعتبر ذلك تكرارا)؟

8. ثم كيف نقبل تعدد ذواتنا (مستويات وعينا) الذى تجلى فى سيرة هِسّهْ وأعماله بهذه الصور المتعددة، لنتكامل به (بتعددنا) لا لنتناثر بسببه، أو لنهرب فيه؟ (كما يتجلى كل ذلك فيما نحن بصدده)؟

9. ثم هل ثمَّ احتمال أن يساعدنا كل ذلك على مواصلة كدحنا إلى تكامل أعلى فأعلى، متجهين نحو وجه الحق سبحانه وتعالى، بلا توقف، ولا نهاية ؟

10. ثم كيف يساعدنا ذلك أفرادا وجماعات ونوعا فى مواجهة أزمة الإنسان المعاصر؟

أكتفى بهذا القدر من التساؤلات، التى لا أعد طبعا بالإجابة عليها، اللهم إلا بما تيسر فى حدود قراءة هذه الأعمال الثلاثة دون غيرها.

الفرض

(1) الإنسان كائن له تاريخ، وهو يحمل كل تاريخه "هنا والآن"، وتاريخه مفتوح إلى ما لا نعلم.

(2) الإنسان المعاصر متورط فى إنجازاته الرائعة المغتربة، ومن أخطرها سيطرة المستوى الأحدث طول الوقت، على حساب الأسطورة والخيال والإبداع والتكامل

(3) الإنسان كائن مركب، متعددةٌ مستويات وجوده، وعيه، دماغه، ذاته، وهذا التركيب يتحرك بآليات نابضة نحو تكامل ممتد (فى الظروف الطبيعية)

(4) الإبـداع، خاصة الإبـداع الـروائـى يـعرى بـعض تـلك الحقـائـق، كـمـا يـضع لـنـا أسهـمـا فى الاتجاه الـصحيح

(5) المرض الـنفسى/الـعقـلـى هو الـوجه الآخر الـسلبى لهذا الـتـعدد، ومـن ثم هو يمثـل احتمـال فـشل المسيرة أو انـتـكاسـهـا، لـكـنه يـعـلـن حركيـتـهـا وتحديـاتهـا أيضا.

(6) الـتـبـادل بـيـن المـرض، والـشـذوذ، والـشـطـح، والجريمة والإبـداع وارد بـاسـتـمـرار.

الـعـنـاصر (المحتمـلـة مـبـدئـيـا)

1. الـطـفـولـة والخيـال والـواقـع
2. الـسحر والـديـن والأسطورة والإبـداع
3. تـعـدد المستويـات (الـذوات) والمـرض الـنفـسى
4. حركـيـة الحيـاة ومـا هـيـة الـشعر
5. الحوار مـع الـطـبـيـعـة إلى المطلق
6. إبـداع الـذات والإيمـان

اسـتـطـرادات مـثـيـرة

حتى لا تـكـون هـذه الـيـومـيـة الـيـوم مجرد عـنـاصر وأسئلة وفـروض، فـضلـت أن أنهـيهـا بـإشـارة مـبـدئـيـة إلى بـعض الأحداث الـتى تـوقـفـت عـنـدهـا، وسوف أعود إلـيهـا لاحقـا، لـكـنهـا قـد تحتاج من الـقـارئ مـنـذ الآن بـعض الانـتـبـاه الخاص قـبـل أن نـصـل إلى مـنـاقـشـتـهـا، ومـن ذلـك:

- إن هـرمـان هسّـه حـاول الانـتـحـار حـول سن الخامـسة عشرة
- إنـه دخل مـسـتـشـفـى لـلأمـراض الـعـقـلـيـة آنـذاك
- إنـه عـولج بـالـتـحـلـيـل الـنـفـسى (مـدرسة كـارل يـونـج) عـددا مـن الـسنين فى سن 39 & 44
- إن زوجـتـه الأولى أصيـبـت بمـرض عـقـلى
- إنـه بـعـد أن بـلـغ الـسبـعين، ونـال كـل ذلـك الـتـكـريم بمـا فى ذلـك نـوبـل، وكـذا دكـتـوراة فـخـريـة مـن هـنـا وهـنـاك، استعمل - كـمـا يـقـول- الـسحر الأسـود لـغـوايـة طـفـلـة، وحـوكـم، وسجن.

وقـفـة خـاصة

هـذه المعـلـومـة الأخيرة -بـالـذات- لم أسـتـطع أن أسـتـوعـبـهـا فى سيـاق مـا وصـلـنى مـنـه وعـنـه، وقـد رحـت أبحث عن تـفـاصيـل أكـثـر ممـا ذكـرهـا الـكـاتـب نـفـسه فى **"أيـام مـن حيـاتـى"** فى كل المـتـاح مـن مـصادر عـلـى الـنـت وغـيره، فـلـم أجـد أكـثـر ممـا ذكـر، كـمـا لم أجـد أحدا مـن نـقـاده أو مـهـاجمـيه قـد تـوقـف عـنـدهـا كـمـا تـوقـفت، وسوف أحاول أن أثـبـتـهـا كـمـا ذكـرهـا بـالـنـص ص 102

"........ قـد ولـدت سـاحراً، وعـن طـريـق لاوتـسى وآى تـشـنـج عـرفـت مـنـذ فـتـرة طـويـلـة وبـشـكـل أكـيـد طـبـيـعـة مـا يـسمـى بـالـواقـع الـطـارئ أو المـتـغـير، ومـن خلال الـسحر عـالجت هـذا الـواقـع حـسب رغـبـاتـى، وشـعـرت بـسـعـادة كـبـيرة وأنـا أفـعـل ذلـك **وأعـتـرف أنى لم أقـتـصر عـلى الحـديـقـة المـبجـلـة المعـروفـة بـالـسحر الأبـيـض، بـل جـرتـنى**

تلك الشعلة الصغيرة الحية داخلى، من حين لآخر، إلى ذلك الجانب الأسود من السحر.

وبعد أن تجاوزت السبعين من العمر، ومباشرة بعد أن اختارتنى جامعتان لمنحى الدكتوراه الفخرية، قدمت للمحاكمة بتهمة غواية طفلة صغيرة باستخدام السحر. فى السجن، رجوتهم أن يسمحوا لى بقضاء وقتى فى الرسم، ووافقوا على ذلك، وأحضر لى الأصدقاء عدة الرسم والألوان، ورسمت منظراً طبيعيا على حائط الزنزانة، وهكذا عدت ثانية إلى الفن، ومع كل ما عانيته وتحطم كثير من الآمال، إلا أن ذلك لم يمنعنى من استحلاب المتعة مرة أخرى من كؤوس الفن النبيلة، ومن إقامة عالم صغير جميل **كالطفل الذى يلعب**، ومن التمتع من كل قلبى بهذا العالم والتخلى عن كل الحكمة والمجردات الإنسانية والعودة إلى شهوة الخلق البدائية.

....

... وكنت سأختنق وأصبح هباء فى جهنم الأوراق هذه لولا رسوماتى التى أنعشتنى وأراحتنى، وتلك اللوحة المنظر الجميل الصغير الذى جدد لى الهواء والحياة. كنت أقف يوماً أمام لوحتى حين جاء الحراس مهرولين بطلب الاستدعاء الممل، وحاولوا انتزاعى من استمتاعى، شعرت فى تلك اللحظة بالإرهاق والنفور من هذا الاستعجال، ومن هذا الواقع الخالى من الروح، واستغرقت وقتاً طويلا لأضع حدا لحزنى، ولو لم يسمح لى بأن ألعب لعبة الفنان البريئة دون إزعاج، لاستنجدت بتلك الفنون الأشد صرامة والتى كرست لها سنوات كثيرة من حياتى، فبدون سحر سيصبح العالم مكاناً لا يطاق.

استدعيت إلى ذهنى التركيبة الصينية، ووقفت لدقيقة أكتم نفسى، **وحررت نفسى من وهم الواقع**، ثم رجوت الحراس بدماثة، أن يصبروا لحظات، لأنى أريد أن أصعد إلى المشهد الذى رسمته لأبحث عن شئ فى القطار، ضحكوا بطريقتهم المعتادة، فقد اعتبرونى مجنوناً.

ثم بدأت أصفر وأصفر، وخطوت إلى الصورة، وصعدت إلى القطار الصغير الذى سار حتى النفق المظلم، ولبرهة ظل الدخان الأسود الذى يخرج من النفق مرئياً، يخرج مندفعاً من الثقب الدائرى، ثم اختفى الدخان، واختفت الصورة وأنا معها

وظل الحراس واقفين تغمرهم حيرة كبيرة".

ما هذا؟
أين الخط الفاصل بين الواقع والخيال؟

حين انتقل هسّه فجأة وهو يحكى بعض سيرته الذاتية من ذكر التهمة إلى التواجد فى السجن بهذه السلاسة، دون أى تعقيب أو نفى للتهمة، ولا هُوَ ذكر أية تفاصيل أخرى إلا خبرته فى السجن، لم أستطع أن اقبل أيًّا من ذلك بنفس البساطة، وحين بحثت عن هذه الواقعة التى حسبت تاريخها فوجدتها بعد نوبل مباشرة تقريبا (... بعد أن تجاوز

السبعين) ولم أجد عنها فى المصادر المتاحة أية تفاصيل أخرى، لم أرتح لقبولها هكذا كما هى، حتى أننى فضلت فى هذه المرحلة من الدراسة أن أضعها بين قوسين، وخاصة أن موقف الحكى (سيرة ذاتية!!) انتهى بهذه النهاية التى جسدت له لوحته على الحائط حتى اختفت اللوحة واختفى هسّه معها وظل الحراس واقفين تغمرهم حيرة كبيرة.

إن لم يكن الأمر كله خيالا محضا فكيف نتصور هذا المبدع الجميل الرائع يغوى طفلة بسحر أسود، ويحاكم، ويدان، وهو حائز على نوبل، وهو فى السبعين من عمره، وكل ما يحكيه حول هذا الحادث وما أحاط به من محاكمات هو سخف الإجراءات وغباء المكتبيين، ثم هذا الخيال الجامع الذى يمحو الواقع بكل هذا اليقين.

هو يسترسل وهو يصف كيف تواصل خياله مع الصورة التى رسمها على الحائط، والتى تجسدت له حتى صعد وركب القطار واختفى هو والصورة عبر الحائط؟

كان من الممكن أن أؤجل طرح هذه التساؤلات حتى أتحقق من مصداقية الحدث، بما فى ذلك الرجوع إلى الثقاة المختصين فى تاريخ مثل هؤلاء المبدعين، إلى أننى فضلت أن أستغل هذه الطريقة المسلسلاتية فى النشر الإلكترونى هكذا، لأشرك الزوار والقراء معى فى بحث هذه المسألة، فأطلب ممن يهمه الأمر أن يفيدنى بأى تفاصيل تتعلق بهذا الغواية لتلك الطفلة، ثم هذه المحاكمة اللاحقة.

ما استفدته من هذه الحيرة المؤقتة، هو أن هذا المبدع **فرض علىّ موقفه من الخيال الواقع، والواقع الزائف، حتى أوصلنى إلى هذه الاحتمالات العجيبة.**

هذه مجرد عينة من تحديات النقد المطروح.

الثلاثـــــــاء 30-10-2007

60- حــــــــالات وأحــــــــوال (طــــب نفســــى)

.... عن الـفصام

وصلنى من أصدقاء وزملاء أن "جرعة العناصر" والتساؤلات، التى ظهرت أمس كمقدمة لقراءة سيرة وشخصية **"هرمان هسّه"** من إبداعه، كانت أكبر مما يتحمل زائر الموقع، كذلك كان الحديث عن المنهج، ثم إن طرح كل تلك الفروض بهذه الطريقة ربما تجعل الزائر، خصوصا الكسول أو المتعجل - يعرب عن إكمال الموضوع أو متابعته، خاصة إذا ظهر فى حلقات، وقد قبلت تنبيههم الكريم، فوجب الاعتذار.

هذا كله صحيح، ومهم، ولابد أن أضعه فى الاعتبار، خاصة وأن هذا الأسلوب قد تكرر منى، منذ بداية كتابة هذه النشرة اليومية: مرة وأنا أكتب عناصر (ومصادر) **ماذا حدث للمصريين** ، ومرة وأنا أكتب عن إعادة النظر فى **إشكالة القيم والأخلاق** ، النتيجة أنه بدلا من أن تتزايد التعقيبات والمداخلات على ما كتبت وأكتب، تراجعتْ، إلا من هؤلاء الأصدقاء القلائل الذين أتصور أنهم مستمرون لمجرد أنهم يصبرون على العبد لله حتى "يرسى له على بر".

ستون يوماً مضت على ظهور هذه النشرة، ولم أستطع أن أحدد موقعها بين كل ما أكتب، ولم أتعرف على الفئة الأوْلَى بالخطاب من خلالها، ولم أستقر على جدول ثابت لأيام الأسبوع - كما حاولت "ذات يومية" - حتى ينتقى كل زائر ما يهمه فى يوم كذا، ولا يشغل باله بسائر الأيام، ستون يوما بالتمام والكمال، وأنا مازلت محتارا مترددا لم أستقر، **حتى وصلتُ إلى حالة ليست جيدة فعلاً، وأفضل ألا أصفها لو سمحتم**.

هربا مؤقتا من هذا المأزق، قررت أن أؤجل كل شئ آخر، **بما فى ذلك دراستى النقدية عن هرمان هسة**، وخاصة بعد أن حصلت على كتب أخرى له، ومزيد من المعلومات عن بعض سيرته فتغير رأيي فى سيرته الذاتية من خلال إبداعه بما يحتاج لمزيد من الفحص والتأنى، أقول أؤجل، ولا أعزف عن هذه الدراسة، وحتى أضعها - فى دورها - فى اليوم الذى خصصته **للنقد الأدبى** (يوم الأحد).

مـازلـت اقـترح، وأطلب الـنصيحة فى نـفس الـوقت.

الأقـتراح وقـد سبقت الإشارة إلـيه: هو تـنظيم أيـام الأسبوع بـدءاً بـيومـى **الخميس:** (نجيب محفـوظ) **والجمعة:** (بـريـد / حوار الـزوار) ثم أخصص **الـسبت:** حالات وأحوال (طب نـفسى بـدءاً بـالـفصام) **والأحد:** "لـسر الـلعبة"، (ألـعاب علاجية وكشفـية)، **والاثـنين:** "لـلإدمـان" (المعنى والـتحدى) **والـثلاثـاء:** "لـلـنقـد الأدبى والإبـداع"، ثم **الأربـعاء:** (لما لـيس كذلـك).

ربمـا يـكون أوضح لـو قـدّمت هذا الاقـتراح فى جدول كـالـتـالى:

أقـتراح أسبـوعى

الـسبت	**إدمـان (حـالات أو تـنظير)**
الأحد	**نـقـد أدبى (وإبـداع)**
الاثـنين	**سر الـلعبة (ألـعاب علاجية وكشفـية)**
الـثلاثـاء	**طب نـفسى (بـدءاً بـالـفصام)**
الأربـعاء	**يـوم حر (مـا لـيس كذلـك)**
الخميس	**نجيب محفـوظ**
الجمعة	**بـريـد / حوار**

مـا رأيـكم؟

لا، بـصحيح! مـا رأيـكم؟

أعلم أنـنى أضجرتـكم بـكل هذا الـتردد، لـكن لابـد أنـكم اكـتشفـتم أن هذا طبعى، ولـعله من أساسيات وجودى، وأنـا لا أرفـضه، بـل أعيد اكـتشافـه بـاستـمرار، وهو قـد يـشير إلى جانـب إيجابى مـثـل استـعدادى الـدائم لـلمراجعة، ثم إن هذه الحيرة لم تحل أبـداً دون أن أواصل طريـقـى طول الـوقـت، لأقـوم بـعد كل عثـرة أو وقـفـة أكـثـر حماسا وتـصميمـا، أو قـل: **بـعد كل مـوت، أنـشط بـعثـا**، وهذا بـعض مـا سوف أهديـه لـنفـسى غداً بمناسبة خاصة: **أكـتـفـى منها الآن بـاقـتـطاف مـا يـطمئـنكم ويـطمئـنى إلى احترام أى وقـفـة، وعدم الخوف من أى احتـمال تـراجع:**

يـا سادتـى هذا أنـا، لمَّا أزَلْ
سيفـى خشب؟!
لـكن لـؤلـؤة الحيـاة بـداخلى لا تـنْكسِرْ
وبـرغم واقـعنـا الـغَبى
يـنمو الـبشر
فى مـلعبى

ومن قـصيدة أخرى (محدثـة):

"وكل صبـاحْ...
يـزيـح الجنيُـن، ظلامَ الهروب الجبـانْ
يـنـادى الـولـيد الـعنيد على الـشمس .. هَيَّـا
هيّـا اتـبعيـنى.
نهارٌ جديـد"

عثرت على القصيدتين اللتين منهما هذين المقطعين، بينما كنت أقلب صفحات كتابى **"دراسة فى علم السيكوباثولوجى"** لأبدأ موضوع الفصام فى هذه النشرة اليومية، فى محاولة الالتزام بالجدول المقترح، أليس اليوم هو الأثنين، وغداً الثلاثاء **يوم الطب النفسى بدءاً بالفصام؟!!**

...عن الفصام

الفضل فى العودة إلى الكتابة فى هذا الموضوع الأساسى الذى يمثل لى الفكرة المحورية فى كل ما هو طب نفسى يرجع إلى ابنتى "د. أمانى الرشيدى"، تلك الصعيدية الرائعة التى شرفت بتلمذتها على يدى هنا منذ سنوات، لتكمل -هى وشطارتها- هناك فى فرنسا كل ما تعد به وتقدر عليه، كانت أمانى -ومازالت- كلما عادت فى الإجازة السنوية تسألنى هل كتبت **كتاب الفصام**، فأجيبها (وهى لا تنتظر الإجابة لأنها تعرفها) بالنفى، فتنظر إلىّ نظرة الأم الممتلئة بالعتاب دون قسوة، وحين خطر ببالى أن أخصص يوماً فى هذه اليومية لما هو حالات وأحوال، وبدأت بالإدمان، تذكّرتُها، وحضرنى اقتراح أن أخصص يوما آخر أثبته **للطب النفسى بدءاً بالفصام**، وقلت: هكذا أتخلص من إلحاح ابنتى الأم، وحين تحضر هذا العام، ستجدنى إن شاء الله **قد بدأت فى عمل الواجب** لعلها ترضى.

كيف أكتب فى هذا الموضوع الجوهرى، وهو يكاد يمثل "كل حياتى" بوجهيها الطبى والإبداعى، بما فى ذلك إبداع ذاتى؟

قلت أبدأ بما سجلته فى كتابى الأساسى دراسة فى علم السيكوباثولوجى موضوع الفصام يشغل فيه 122صفحة (من ص 321حتى ص 443 شاملاً الموجز)، وخاصة وقد كنت عزمت أن أصدر طبعة جديدة من هذا الكتاب الأساسى بعد أن مضى على صدور الطبعة الأولى ثلاثين عاماً، حاضر يا أمانى، ولكن يا ترى هل أنتِ تريدين -وقد أصبحت فرنسية، بالإضافة لخلفيتك الإنجليزية وأصلك الصعيدى طيبتك المصرية- هل تريدين منى أن أكتب كتابى عن الفصام بطريقة أقرب إلى الطريقة التقليدية، حتى إذا تُرجم، وَصَل لمن تعاشرينهم الآن، ويهمك، كما فهمت يوماً، أن توصلى لهم فكراً آخر لعل وعسى؟ انت تعرفين أننى لا أنتظر إجابة، وحتى لو أجبت فأنت تعرفين أننى لن أوافقك، وإن كنت سأضع رأيك فى الاعتبار حتما.

أقول لك يا أمانى ماذا أنوى أن أفعل؟ وأرجو أن تساعدينى فى القرار المبدئى، وأن تعدلينى أنت ورفيق ومن يهمه الأمر، أثناء سيرنا على الطريق.

أولا: التزم بالفكرة الأساسية التى وردت فى كتاب السيكوباثولوجى، طبعا بعد ما طرأ عليها من تحديث خلال ثلاثين عاماً.

ثانيا: أعيد تنظيم المادة العلمية بحيث لا ترتبط إرتباطاً مباشرا بالمتن الشعرى (ديوان سر اللعبة)، كما كان الحال فى الطبعة الأولى.

ثالثا: أنقل المتن الشعرى إلى الهوامش إن كان ذلك لازما، ربما دون إشارة مباشرة إليه.

رابعا: أحاول أن أقدم "أحوال حالات" عن الفصام، إما أولا بأولا، وإما منفصلة، ثم أعود إليها حين نجمع المادة التى نشرت، ونعيد تحريرها فى كتاب ورقىّ يصلح للترجمة إن شئت.

خامسا: أؤجّل مرحلة الاستعانة بالمراجع، والاستشهاد بالتاريخ سواء بالموافقة أو المعارضة، وربما أترك هذه المهمة لك تحديدا، وليسرية (د. يسرية أمين يعنى)، ومحمد يحيى و"كل من يهمه الأمر".

سادسا: قد أرجع - كما تعلمين - فى كلامى فى كل هذا.

والآن دعينا ندخل فى الجد.

وأبدأ بأحوال هذه الحالة:

بعض أحوال: حالة عصام
(أعنى: حالة فصام)

تنبيهات أساسية: سوف أكررها فى كل مرة لشدة أهميتها

1- لا تبحث عن أكثر مما كُتب، فالفكرة هى تقديم جزئية لها دلالتها، نعم هى "أحوال" وليست "حالات".

2- لا تتوقف عند الأسباب(بقية الأسباب) لو سمحت، اللهم إلا بما يسمح به "الحال" المقتطف

3- لا تربط التشخيص بالحالة، مهما بدا ذلك مغريا

4- لا تسارع بترجمة الأحوال إلى أعراض، حتى لو ذكرنا نحن فى التفسير والتعليق أسماء بعض الأعراض.

5- كل الأسماء، وبعض الأحداث تم تغييرها (دون نص الألفاظ ودون المعنى الحقيقى لأبعاد الحالة) حتى لايمكن التعرف على الحالة.

عصام

هو شاب (عمره 23 سنة) سوف نطلق عليه اسم "عصام" وهو الرابع من ستة أشقاء حاصل على ليسانسٍ ما، أعزب، من الوجه البحرى، لوالد بالمعاش من أوسط الطبقة المتوسطة، وجه بحرى، أمه ربة منزل.

المقتطف من شكوى المريض
فى ثانية ثانوى، ماكنتش بذاكر كويس، وربنا عدّاها، وأنا اعتبرته وحى .. ليه، لأن مين يقول كلام فى نافوخك غير ربنا هو أنت تملك حاجة....؟!"

الذى قاله عصام ليس هو هو كل ما حدث بالضرورة، إذ يمكن أن يقوله المريض هكذا، وهو يعلن حقيقة

داخلية لم **يكتشفها إلا بعد الكسرة** ، أى بأثر رجعى، عصام سوف يحكى عن ما حدث آنذاك "حين عّداها ربنا" بطريقة أعمق، وأخطر من اعتبار المسألة مجرد توفيق من عنده تعالى. ذلك التوفيق العادى يمكن أن يشعر به أى طالب حسن الحظ، أما أن يكتشف عصام **بعد الكسر** أن المسألة لها عمق أبعد، بلغةٍ أصعب مثل: أن **ربنا قال كلام فى دماغه،** فهو ربما يشير إلى أن إجاباته التى أنجحته كانت نتيجة ذلك، ثم تفلت المسألة منه.

إن هذا التأويل -بما استتبعه- الذى نسميه مرضا لم يؤلفه المريض من فراغ، وخذ مثلا تفسيرى لهذه الجزئية "فرضاً":

إن هذا المريض قد تلقى لحظتها دلالة هذا التوفيق بأن الله سبحانه - بما يعرفه بفطرته - هو الذى جعل اعتمال المعلومات information processing يترتب منتظما بنجاح وهو جاهز لذلك، فتخرج ، علينا إجابات فى الامتحان سليمة، إذن فهى ليست معجزة ولا وحيا، هى مجرد تفسير طبيعى،

ابتداءً علينا أن نحترم كلام المريض (الامر الذى سيكون أسلوبنا هنا طول الوقت) هذا التفسير برغم اختلاف لغة المريض لا ينفى الخبرة التى وراءه

إن هذا الاختلاف إنما يرجع إلى: (أ) نقص الفروض (ب) اختلاف اللغة، "ربنا قال فى نافوخه" بمعنى أنه هو الذى أنجحه، وبالتالى فهو ليس تحريفا بقدر ما أنه التعبير الذى أستطاع به عصام أن يترجم الفرض الذى ذهبنا إليه.

يظل هذا التعامل مع هذا الحادث كامنا:

الظاهر يحمد الله على التوفيق الذى لم يكن ينتظره،

والداخل: يشعر بالفطرة التى تنظمت وتعاملت مع المعلوات وحفظتها وأجابت بها بفضل الله، وبفضل قوة حقيقية أكبر من تصوره لقدراته وتحصيله،

أما ما تلى ذلك، فلا يمكن أن نعترف بمشروعيته بما أنه قد ترتب عليه كل أو أغلب الشطح التالى حتى المرض العقلى الصريح.

ذلك أن عصام يكمل دون فاصل وهو يحكى حادثا حدث له بعد حوالى سنة، يكمل

"بعدين استمر الوحى فى قلبى اسمعه بقلبى... اللى يأمرنى بيه أنفذّه، يقوللى إدّن (الأذان) أأذّن.

(أنظر بعد)، ولكن دعونا نأخذ المقتطف كله على بعضه من أوله:

فى اجازة ثانية ثانوى، بابا كلفنى بترتيبات احتفال مناسبة لأختى، فرحت للمسئول بتاع الحفلات قعد يحيرنى ويقترح ويغير رأيه، فاتنرفزت عليه، بابا قاللى بتتنرفز عليه ليه، وطلع يكلم الراجل، قام الرجل اتنرفز على بابا، وكان حايضربه، فأنا طلعت عشان أضربه... بابا مسك إيدى عشان يهدى، وضربى بالقلم،... أنا ساعتها مافهمتش بابا

ضربنى ليه ، استمر الوحى فى قلبى اسمعه بقلبى... اللى يؤمر بيه أنفذه.... وفى البيت قالو هوّا بيدن ليه؟ طيب يا جماعة دى حاجة طبيعية، انتو مش كلكم مسلمين؟ الوحى ده كان قوة دامغة إنى أعمل حاجات كتير، ساعات تقوللى قلّد صوت الديك، أقلد صوت الديك البلدى، وده معناه : حان وقت الانتصار..الخ

ثم أخذ المريض يصف الأعراض الجسمية بدون أى فاصل زمنى بين الحادث المرسِّب وظهور المرض بهذه الجسامة.

الحادث من وجهة نظر الوالد:

يحكى الوالد فى موضع آخر، ليس ضمن شكواه من ابنه أو وصفه لحالة المريض ، وإنما عند سؤاله عن "علاقته بالمريض يقول"

"أعزه أكثر مما يتصور، أعزه أكثر من أى شئ، أى شئ فى حياتى .. <u>بس مره ضربته قلم فى وضع غير مناسب</u> (ورفض الوالد ذكر أى تفاصيل عن هذا الوضع، ولم يعلم أن المريض ذكر لنا الحادث تفصيلا) **فِضل بعدها سنة زعلان منى،**

نلاحظ هنا:

(أ) -الفرق الزمنى بين الحادث كما ذكره المريض، وبين ظهور الأعراض، حيث تكلم كلاما متصلا رابطا -ربطا فوريا- بين الحادث والشطح (ظهور الأعراض الخطيرة وكأنها ظهرت فورا بعد الصفعة) فى حين أن كلام الوالد يشير إلى مرور عام زمنى على الأقل من الزعل والاحتياج.

(ب) نلاحظ أيضا الفرق بين وصف المريض الحادث تفصيلاً، وبين وصف الأب له بأنه **" ضربته قلم فى وضع غير مناسب"** مع رفضه ذكر أية تفاصيل

إنه بالرغم من فداحة خطأ الأب إلا أن الحادث فى ذاته، يصعب أن يترتب عليه كل ذلك مما يدفعنا إلى النظر فى خلفية العلاقة بينهما وإلا فلا سبيل لفهم، هذه الكسرة بهذه الفظاعة هكذا، ومن ثم لابد أن ننتبه إلى كلٍّ من:

* تكليف الأب لهذا الابن بالذات يدل على ثقة مبدئية، واعتمادية متبادلة (من حيث المبدأ) (له أخوان أكبر).

* اختلاف الابن مع منظم الحفلات يدل على درجة من التلقائية والثقة بالنفس عند الابن.

* ثم إن الابن تقدم ليدافع عن أبيه أساسا بشهامة ورجولة

* لكن الأب - بدلا من شكره لأنه وقف فى جانبه ضد المتعهد المتجاوز حدود اللياقة-، صفعه أمام نفس هذا الشخص الغريب المختلف معه الذى تطاول عليه.

كل ذلك حدث على ثلاث خلفيات

الأولى : علاقة قديمة بين الابن والأب ظهرت مبادئ فسادها

باكرا منذ المرحلة الابتدائية حين شكى الابن من صداع غريب (أنظر بعد)

الثانية: علاقة اعتمادية، متضاربة الوجدان بين الابن والأب.

الثالثة : **تنشيط لمستوى وعى داخلى** اعتمد على تنظيم **فطرة داخلية**، عزاها الابن لتوفيق الله سبحانه خالق هذه الفطرة، حتى نجح ضد حساباته الظاهرة لكن، المسألة شطحت منه - فى مواجهة هذه الإهانة الكسر- حتى قفزت الأعراض إلى أبعد من كل تصور.

قبل أن نرجع إلى الحالة نود أن ننبه - تربويا- إلى خطورة مثل هذا التصرف بالذات

(1) الصفع المفاجئ من على مسافة هو من أكثر أنواع الضرب إهانه

(2) والصفع علانية هكذا أمام آخر هو أبشع

(3) والصفع بلا ذنب آنّ يستأهل العقاب فوراً أكثر وأكثر بشاعة

(4) ثم حين يتم الصفع فى اللحظة التى يتوقع فيها الابن مكافأة، ما تصبح الكارثة بلا حدود

(5) وحين يأتى الصفع من نفس الشخص (الوالدى) الذى كان الولد يعتمد عليه، ويتقمصه وهو يدافع عنه، فلا حدود للإضرار

(6) وأخيراً وليس أخراً تتم الجريمة البشعة حين يكون الصفع أمام غريب، فما بالك لو كان خصماً.

نرجع للحالة

فى هذه اللحظة بالذات حدث كسر فى التركيبه الأساسية الداخلية لكيان عصام (دون ظهور أعراض صريحة بعد) مع أن عصام ربطها زمنياً بكلام مباشر يبدأ بالصفع مباشرة هكذا: مافهمتش بابا ضربنى ليه استمر الوحى فى قلبى اسمعه بقلبى.. الخ، وسنرجع إلى ذلك

عودة إلى تفاصيل علاقة الابن بالأب، يقول الأب :

كان عصام يطلب حد ينام معاه عشان خايف ، فأنا أنام معاه، يقوم يزنق نفسه بعيد عشان يحترمنى، ويخاف يلمسنى ويسيب لى أكثرية الغطاء

يعقب المريض على ذلك بالتالى

"…. حايستهبل حاستهبل ، مش جِنَيّن معايا ، اشمعنى، عصام ياخد الدوا والباقى مايخدش، احنا كلنا مرضى، كان حنين علىّ لما كنت صغيّر، هوّا جاب لى قلم وكراسة فى ابتدائى وقالى اكتب لى همّا (إخوته) بيصّلوا ولا لأ ، بيقروا قرآن ولا لأ، وخدبالك همّا بيصلوا صح ولا لأ، ويقروا صح ولا لأ، وكان يجيبلى تفاح، لذلك اخواتى كانوا بيكرهونى، وقررت أن ألعب الدور ده لحدّ ما أذّنت (أحد أعراض المرض الحالى الأذان بناء عن أوامر هلوسية) بعد كده هانية (الأخت الصغرى 13 سنة) خدت الدور ده، بقت السكرتير العام لابوها بتنقله الكلام)

نلاحظ هنا كيف أن العلاقة بين عصام وأبيه كانت:

(أ) تفضيلية
(ب) سرية تجسسية
(ج) اعتمادية **(بيخاف ينام لوحده)**
(د) ابتعادية **(الحفاظ على المسافة)**

هذه العلاقة هكذا هى من أصعب العلاقات، ففى حين يحضر الأب فى شكل سلطة لها معالم جامدة (قوية) يمثل فى نفس الوقت إشكالاً سلطويا يجمع بين تناقض الوجدان Ambivalence والشك فى عمق الدعم، وغير ذلك.

عصام يعلن رؤيته:

بعد المرض، استطاع عصام أن يعلن الجانب الرافض للوالد بوضوح حين وصف والده كالتالى:

"... كسلان، كداب، نفسيته تعبانه، مش مِتْهَنّى ، عياطه مش عياط يعنى قلبه قاسى، ممكن يزور اخواته لمصلحة فى نفسه واخواته أصلا بيكرهوا بعض...الخ"

تنبيهات بها بعض التكرار

(1) هذه الصفعة - رغم كل الخطورة التى ذكرناها حالا - لا تسبب مرضا فى ذاتها (إعملوا معروفاً كفوا عن هذا التبسيط)، وإن كان لا يمكن أن نقلل من آثارها الداخلية على أى واحد فى هذه السن (ثانية ثانوى 17/16 سنة)، حتى لو لم تظهر هذه الآثار بهذه الصورة الخطيرة مباشرة عقب الحدث.

(2) الذى يجعل لهذه الصفعة دلالة أكبر هو خلو الأسرة - فى حدود المعلومات المتاحة - من أى تاريخ إيجابى للمرض النفسى (أو العقلى)،

(3) إنه لم تظهر الاستجابة لهذه الصفعة - إلا بعد سنة من الخصام أو: **فضل بعدها سنة زعلان منى لكن يكلمنى**، مع إن عصام بدا فى كلامه، المتصل إعلان الأعراض الخطيرة فور الصفعة.

بعض التاريخ القديم من الطفولة:

يربط الأب بين عرض عابر اشتكى منه عصام فى فترة المدرسة الابتدائية (نذكر أن هذه هى الفترة التى كلفه والده بالتجسس على إخواته) وبين المرض الحالى. يقول الأب.

العيا فى أساسه خالص إنه حصل واشتكى من دماغه وقال دماغى بتوجعنى... الكلام ده كان فى ابتدائى، رحنا لدكتور عيون وكشف عليه وقال مفيش حاجة فضل الموضوع تمام حتى الثانوية العامة، بدأ ينزوى ويقعد كتير منعزل، وماكانشى راضى يخش امتحان الثانوية، لكن أنا دخلته إجباراً ونجح وجاب الدرجات النهائية فى الرياضة وقتها أتطمنت <u>إن موضوع ابتدائى ده ما أثرش عليه</u>، فى أجازة الثانوية رجع يشتكى من "الصداع تانى".

مع كل أخطاء هذا الأب، إلا أننا نلاحظ حدْسه الدقيق هنا، فقد استطاع (أو حاول على الأقل) أن يربط بين المرض الخطير الحالى، وبين بدايات بعيدة وعادية (مجرد صداع)، ثم هو يعود يربط ظهور الصداع بعد اختفائه سنوات، وقبيل ظهور هذه الأعراض الجسيمة مصاحبة بالانزاوء فى الاجازة، وهذه أمور قد لا ينتبه إليها حتى كثير من الأطباء.

نلاحظ أيضاً أن الإنجاز تحت ضغط، وهو جيد فى ذاته، لا يدل بالضرورة على حلّ أى إشكال حلا جذرياً فى الداخل، وإن كان قد يساعد فى تأجيل الكسرة، إلى أجل غير مسمى.

حتى هذه المرحلة، وبرغم الحادث الخطير السالف الذكر ظل عصام يواصل دراسته.

ثم ظهرت أعراض وسواسية على الوجه التالى كما يصفها الوالد:

".. وبعدين كان فيه وسوسة، يعنى يمسك الكباية أو الطبق بفوطة عشان خايف ليكون وسخ، وما يستحماش غير بصابونته الخاصة".

فى كثير من الأحيان تكون هذه الأعراض (التى تسمى عصابية– يعنى دون الجنون أو عكس الجنون أى ضد الجنون) بمثابة ميكانزمات دفاعية تحول لفترة ما (ربما بصفة دائمة) دون الكسر الأخطر فالتفسخ، وقد تنجح هذه الدفاعات المرحلية فى بعض الحالات فتحول دون ظهور الذُّهَان، وقد تفشل هذه الدفاعات نتيجة لشدة الضغط من الداخل، وفى نفس الوقت نتيجة لفقر الدعم الحقيقى من الخارج، وقد عولج هذا الوسواس. بحدس طبى ومهارة من زميل يبدو أنه استشعر ما وراء ظهور هذه الوساوس فى هذه المرحلة هكذا، فأعطى فى نفس الوقت مضادات الذهان، لكن المريض توقف عن تعاطى العقاقير دون إذن الطبيب بعد تحسن نسبى، فظهرت الأعراض الجسيمة:

يقول الأب

.... تعب تانى وانعزل وبقى ما يستحماش، ويكلم حد هو سامعه، وبدأ يطلع فوق السرير ويدّن (يؤدى الأذان) ويمثل الديك الرومى فى صوته ويتبول نواحى السرير لكن عمره ما اتبول فوق السرير ولا قدام حد...

نتوقف هنا لأننى أشعر أن الحالة أصبحت شديدة التعقيد وأقدم الفرض التركيبى الذى يمكن أن نكمل به فهم حالة الفصام هذه، بعد أن نقدم فى الحلقة القادمة (الثلاثاء) بعض المعلومات الإضافية عن الأم، وتركيب الاسرة وزخم الأعراض.

الفرض:

شاب نشأ فى أسرة مزدحمة شكلا، مُفرْغة موضوعاً، تفتقد إلى أى دفء حقيقى يضم أفرادها إلى بعضهم البعض، لايوجد بها

تـاريـخ عـائـلـى إيجـابى لمـرض نـفـسى أو عـقـلـى خطير، الـوالـد حـاضر حضوراً جـافـا مـلـتـويـا، يـعـلمّ الأقـرب إلـيـه مـن الأولاد الـتـجسس عـلى الـبـاقـين، "عـصام" ثم لاحقـا "أخـتـه الأصغـر"،

الأم كـمـا سيرد وصـفـهـا فى الحلـقـــة الـقـادمـــة ضـعـيفـة سـلـبية مـتـنحية مقـهـورة ، جـافـة "مـتلصمة".

عصام -مـثـل أى واحـد- داخـل طبـيعـى سـلـيم هـو الـفـطرة (كـمـا خلـقـنـا الله) لـكن أحداً لم يـتـعـهـدهـا، لا الأهـل ولا المجـتمـع، هـذه الـفطرة تـغطت بـقـشرة تـربـويـة لامـعـة، لـكـنـهـا -الـفـطـرة- ظـلـت تـتعـامـل من وراء الـقـشرة مع مـايــصلـهـا مـن بـرمجـة بـطريـقـتـهـا الـبـسيطة الـصحيحة.

الـقـشرة تـنجح وتـتـم صفـقـاتها مع الـوالـد

والـفـطرة "تـعرف" وتـدرك، وتـتعامـل مع المعلومات بـاستيعاب سليم

تـتـصادم الـفـطرة مع الـقـشرة فى مرحلـة بـاكـرة (الابـتـدائـيـة)

يظهـر الـصداع، ثم يختفـى ربما بـالـبعـد بـيـنـهـما (بين الـقــشرة والـفطرة) مع استـمـرار نـشـاط كل مـنهـمـا.

تـسـتـمر الـقـشرة فى الـنجـاح الـظـاهـر، والــصفـقـات الـداعـمـة الخبيثة (بـين الابـن و الأب: الـتـمـيـيز والـتجسس) وتـسـتـمـر الـفـطرة فى الـنـشـاط والـتـمـاسك والمعرفـة الـسـلـيـمـة والادراك الـداخـلى.

تـنجح الـفـطــرة حــتى فى بـرمجـة المعـلـومــات والإسـهـام فى أداء الامـتـحـانـات، فـيـفـسرهـا الابـن حـامـدا فـضل الله، لـكـن يـبـدو أن الـداخل تجاوز هـذا المسـتـوى سرا، وفى نـفـس الـوقـت أجّل إعلانـه.

حادث دال خطير يحدث بـالـصدفـة يـهـز هـذه الـتـركـيـبـة بـرمـتـهـا،

يـفـسد الـصفـقـة الخبـيـثـة الجـاريـة،
فـتخـتـل صورة الأب لـيظهـر عـلى حقـيـقـتـه بـلا رجعـه
فـتـفـسد الـصفـقـة،

فـيـحدث الـتـبـاعـد بين الابـن والأب (الـزعـل: سنـة) دون ظهـور الأعـراض بـعـد،

يجـتـنـب الابـن أبـاه، لـكـن الـكـسرة قــد حــدثـت فى الـــداخـل ، فـطـالـــت الـفـطــرة الــتى انـفـصـلـت، وارتـــدت، وانـطـلـقـــت لحـسـابهـا الـبـدائـى مخترقـة الـقـشرة مـنـفـصـلـة..

الـفـطرة وحدهـا لايمكن أن تـواصل انجازاً واقـعـيــاً ظـاهـراً إلا إذا تـكـامـلـت مع أجهـزة الأداء الـسـلـوكـى .

لـكن الـرســالـة تــصل أن الـقـــوة الـفـطريـــة الـداخـليـــة قـــد انـطـلـقـت بين شـقـوق الـكـسرة

تـتـعـمـلـق قـوة الـدفـع ولا تـتـوقـف عـنـد حد اســتـعـادة تـلـقـائـيـة الـفـطرة وأحقـيـتـهـا، بـل تـتـفـاقـم حتى تـنـقـلـب الـفـطــرة إلى تـــسـلـيم قـدرى أعـمـى،

ومـن ثـَمَّ تـفـقـد الـذات أبـعـادهـا تمـامـا،

يتضاعف التمادى فى الانفصال وتتجلى سلبية مطلقة لقوى لم تعد هى القوى الضامة المساعدة، ولكنها أصبحت قوى شكلية هابطة من المجهول وإن لم تفقد فى شكلها الظاهرى معالم الوصلة وتظل فى نفس الوقت تتعامل بنفس الألفاظ "الأذان، واللغة الدينية المسطحة"

تشوهت الفطرة على أنقاض القشرة وظهر الفصام.

(وللحديث بقية طبعا)

الإربعــــــاء 31-10-2007

61- ... فـــــى مثـــــل "ذلـك" اليـــــوم: "وعـد بلفـــــور"

لأن غدا 1/11/ 2007 هو يوم نجيب محفوظ وبعد غد 11/2 هو بريد/حوار الزوار سوف نعرض لهذا الحدث، وهو حدث 2 نوفمبر، اليوم:

"وزارة الخارجية"
2 من نوفمبر 1917م

عزيزى اللورد "روتشيلد"
يسرنى جدًا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرّته:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهومًا بشكل واضح أنه لن يُؤْتَى بعمل من شأنه أن ينتقص الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى. وسأكون ممتنًا إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علمًا بهذا التصريح.

المخلص: أرثر بلفوور

لم أقرأ هذا النص العبثى (وعد بلفور) بألفاظه المحددة هكذا من قبل!!

ما هذا؟
كيف؟

ما حكاية: **"العطف على أمانى اليهود؟"** اسم الله!!
ثم يكرر **"تنظر بعين العطف"** اسم النبى حارسك!!

ثم كيف يكون هذا اللغو: **"مفهوم بشكل واضح أنه لن يُؤْتَى بعمل من شأنه أن ينقص... الخ"**، مفهومٌ لمن؟ "بأمارة" ماذا؟...وماذا حدث؟ الله يخيبكم كما خيبنا!!. الخ.

كلمات: **"وعد"، "عطف"، و"أمانى"، و"مفهوم بشكل واضح"** كلمات تصلح لموضوع تعبير يكتبه تلميذ فى سنة ثانية إعدادى.

الذى يقرأ السياسة، قديما وحديثا، من خلال التصريحات والوعود، والمواثيق، لابد أن يعيد النظر فى ذكائه عدة مرات، لم يعد يصلح ما ينشر علينا فى كل القنوات الرسمية، والإعلامية، لتفسير أى من الجارى.

وقع فى دائرة وعيى مؤخراً كتابا، بعنوان: **"المفهوم المادى للمسألة اليهودية"**، وهو كتاب قديم صدر سنة 1946، ثم صدرت ترجمته أيضا منذ أكثر من ثلاثة عقود 1970، ثم أعيد طبعها 1973، عن دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت، وبرغم ذلك، وبرغم التفسير المادى الأيديولوجى القوى المتناسب مع تاريخ صدور الكتاب، فهو مازال واجب القراءة لفهم الجارى بدءاً بوعد بلفور.

المؤلف هو أبراهام ليون الذى ولد فى أسرة يهودية ".. **كان الأهل فى منزل ليون الوالدى يمثلون الصهيونية البرجوازية الصغيرة التقليدية. ولقد كان الولد يحس لدى أول احتكاك بالواقع جذب الأسطورة الصهيونية كنشوة دينية، لقد كانت الأسطورة قيد التحقق** ..الخ "، لكن "ليون" نمى، ونَظَرَ، وأعاد النظر، وفَهِمَ، وفسّر واهتدى إلى الرؤية الموضوعية التى فسّر بها المسألة اليهودية، نعم! نظر من زاوية المادية آنذاك حين كانت معظم الأفكار تجد لها تفسيرا ماديا حتى نظرية المعرفة، حتى قام روجيه جارودى - مثلا- بالتفسير المادى لنظرية المعرفة، (أظن فى أطروحته للدكتورة) فى باكر حياته ماركسيا، تفسير ليون، برغم قدمه، يفصح كل الجارى بما فى ذلك **"وعد بلفور"** (يا ناس!!).

التاريخ لايعيد نفسه، والتفسير المادى أدّى واجبه تماما، والفكر الموضوعى والتجربة والتطور تجاوزوه دون أن يلغوه أو ينكروا فضله، لكن ما نحن فيه الآن - عبر - العالم يحتاج إلى تفسير **"تآمرى"**!! أكثر شجاعة وأمضى اختراقا.

الذى يجرى على الساحة فى كل العالم يحتاج **تفسيرا تطوريا ماديا بيولوجيا إيمانيا لتعرية شياطين البشر الذين يحكمون العالم من تحت الأرض**، ومن شفرة مكاتب الشركات العملاقة، ذلك التعاون الوثيق بين رجال المافيا، ورجال المخدرات، ورجال المال الكاسح القاتل، كل ذلك هو ما يدفع بالعالم إلى الهاوية.

إنْ لم نستطع أن نفهم الحروب والمجازر والمعاهدات والمؤتمرات والمعاهدات من خلال هذا المنطلق، مهما اتّهمْنا بالتفكير التآمرى. فلا جدوى من الإحاطة بما يجرى، أو مواجهته.

الذى يتناول المسألة الصهيونية الآن - مثلا- من خلال وعد بلفور أو بدءاً بوعد بلفور، هذه الوثيقة العبثية المضحكة لابد أنه يضحك على نفسه، تماما كالذى يتناول حرب العراق ومجازره من خلال تصريحات السيد دبليو بوش والست كوندى .

لا أجد فى نفسى ميلا إلى نقد هذا الوعد من جديد، ناهيك عن شجبه وتفنيده، ماذا فعلنا بكل ما قلنا فيه؟

يكفى أن تقرأه أنت مرة أخرى.
وأنت تبتسم،
ثم وأنت تضحك،
ثم وأنت تبكى،
ثم وأنت تستعد،

ثم وأنت تعمل شيئا آخر غير أن تقف عند وعد خريطة الطريق، وطريق الخريطة، ومؤتمر واشنطن، واحتفاليات شرم الشيخ.

....

عذراً ، ولكن حدث أيضا فى مثل "ذلك" اليوم:

كنت قد علمت لاحقاً - من والدى رحمه الله- أن هذا اليوم، "2نوفمبر" هو اليوم الحقيقى الذى جئت فيه إلى هذه الدنيا، مع أنه سجّلنى يوم أول نوفمبر لأسباب تتعلق بمواعيد افتتاح الدراسة (كان رحمه الله مدرسا)، وكان قد فعل مثل ذلك مع أخَوَىّ (اللذان ولدا فى يوليو وأغسطس فسجلهما فى سبتمبر)، كنت قدعلمت هذه المعلومة قبل أن أعلم تاريخ وعد بلفور، فزاد تحفظى على هذا التاريخ وما تصلنى إليه من رسائل، **وقلت لنفسى:**

وهل علاقتى بتاريخ مولدى كانت ناقصة هذه المعلومة: أنه نفس يوم هذا الوعد السخيف العبثى؟.

اعتدت أن أدّعى أننى لا أحب هذا اليوم الذى زعمت أنى أرفضه لأنه لا فَضْل لى فيه، ثم تراجعت حين أدركت قيمة الاحتفال به للأطفال خاصة، وقلت ربما نحن نعتذر لهم أننا أنجبناهم دون إذنهم، إلى آخر ما جاء فى حوارى **مع شيخى نجيب محفوظ حول معنى عيد الميلاد عنده وعندى،** لكننى لم أتوقف عند هذا التراجع بل تماديت فى التفكير فى تنويعات حول ابتداع تشكيلات خاصة بى رحت أعبث بها مع هذا اليوم، وهذه المناسبة، إليكم بعضها:

(1) أنا أكره حكاية الهدايا فى هذا اليوم، وتعانى زوجتى بطيبة وكرم، من شهر معين، **لعله سبتمبر**، حيث تقع فيه عدة أعياد ميلاد معاً، مما يستتبع ذلك من ضرورة تقديم هدايا بعدد المولودين، لكنها تفرح بكرمها أكثر، قلت فى نفسى: هذه مناسبة تكبد الذين يهادون مصاريف زائدة ليست فى حسبانهم، قد تجعلهم - لا شعوريا - لا

يرحبون بهذا اليوم برغم قيامهم بالواجب، طيب، ماذا لو قلبت أنا الآية؟. وخاصة بعد أن سترها الله معى ماديا؟ ماذا لو أهديت أنا من أحب فى اليوم المسمى بعيد ميلادى هدية؟ أليس هذا أضمن أن أجعله يفرح بهذا اليوم، بدلا من أن ينشغل بالتزامه بإهدائى ما تيسر، ويا ترى عنده، أم لا، وفعلتها أحيانا، ونفعت!!.

(2) حين كان يخطر ببالى أن أعطى أحد أحفادى (أو غيرهم) هدية ما، أتعمد أن تكون بلا مناسبة، وحين يسألنى أحدهم "بمناسبة إيه" هذه الهدية أقول له: هذه "هدية عيد ميلادك"، فيقول: لكن عيد ميلادى ليس اليوم، فأقول له: **"إيش عرّفك"**، وحين تكرر هذا الموقف كفوا عن التساؤل، واعتبروا أن أية هدية منى هى هدية عيد ميلاد أى منهم بشكل ما، لأن أى يوم يمكن أن يكون هو يوم مولدنا حسب ما نقرر.

وتذكرت دعاء الاستيقاظ يوميا: **"الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور"**، ثم رباعية صلاح جاهين: **"نهار جديد أنا قوم شوف نعمل ايه، أنا قلت يا حتقتلنى يا حقتلك"**

(3) خطر لى خاطر آخر هو أن أهدى نفسى فى هذا اليوم (أو غيره) هدية سرية لا أعلن عنها لأحد أبداً. وقد حدث لى ذلك وأنا أنهى الترحال الثالث والأخير. قائلا: ص **221 "هكذا أمنح نفسى جائزة المغامرة بنشر هذا الكتاب".**

حين يحل هذا اليوم بعد غد، وهو يوم وعد بلفور، وأنا أدخل فى عامى الخامس والسبعين، وبعد أن التزمت ستين يوما بكتابة هذه النشرة، قلت: ماذا لو كانت هذه النشرة وهذا الموقع هو هديتى لنفسى هذا العام "واللى عاجبه!!.

(4) ثم إنى عثرت حالا على قصيدتين قديمتين، وجدتهما قد اندسّتَا فى آخر ديوانى "سر اللعبة"، ثم اختفيا وراء شرحهما السخيف فى كتابى دراسة فى "علم السيكوباثولوجى"، فأحببتهما من جديد، وقلت أضيفهما إلى هدايا لنفسى هذا العام، خاصة وأن ما وصلنى منهما جعلنى أتفاءل وأعرف أننى يمكن أن أواجه "وعد بلفور"، بما ينبغى، هكذا!!.

القصيدة الأولى

رسالة من دون كيشوت إلى إخوان أبى لهب:

-1-

يا سادتى
'تبت يدا أبى لهب'
ماذا كسب؟
.. ..
يا سادتى هذا أنا لمَّا أزلْ
' ألقى السلاحْ؟؟'
لا .. هذى أمانيكم
(...كذا؟)
والسيد اليأسُ المَلثَّم بالعدمْ
يلقى التحية الشماتةَ الندمْ
على مُصارعِ الهواء الذاهب العْقِل المتَّيم بالأملْ،
سيفى خشبْ؟!!!
خيرٌ من الحبلِ المسدْ
فى جِيدكُمْ.

-2-
طاحونتى ...
عبث الهواء بكِّفهاَ
دارت تئنُّ، توقفت
دارتْ
طاحونتى، ثأرى القديم
لكن رَوْضى يرتوى من مائِهَا
مهما علا سد الفزعْ
وتعثّر المجرَى بجندل ظنكمْ
لن تُوقفوا نهر الحياة
بل، فاحذورا طوفانها.
-3-
فى روضتى .. ..
ألقيت بذرة القلقْ
نبتَتْ بوجدان البشرْ
نحتَ الجنُين الطين فانهار العدَمْ.
صرخ الوليد الطفل أُذنَ بالألَمْ.
وتطاول الشجرُ الجديدْ
يعلو قباب الكون إذ يغزو القمرْ
والشوكُ يُدمى الكفَّ إذ يحمى الثمرْ
واللؤلؤ البراق فوق الساق من صمغ الضجَرْ
-4-
ذى صرختى ..
سوط اللهيب النور رعد القارعة
يكوى الوجوه..
يا ويحكم !!
مَنْ يوقف الرجْعَ الصدَى فى قلبكم.
هيهات إلا الموت
حتى الموت لا يخفى الحقيقةَ بعدَنَا.
..
يا ويحكم منها بداخلكم.،
نعم ... ليست 'أنا'
بل 'نحن' فى عمق الوجود
بل واهبُ الطين الحياةْ
بل سر أصل الكون، كل الكل نبض الله فى جنباتنا
ليست أنَا.
-5-
يا سادتي:
هذا أنا لم أزلْ...
سيفى خشب!!
لكن لؤلؤة الحياة بداخلى لا تنكسرْ
وبرغم واقعنا الغبى
ينمو البشر...
فى ملعبى.

القصيدة الثانية
دورة عباد الشمس وأهل الكهف

-1-
وطارتْ وُرَيْقَهْ،
وأخرى ... وأخرى،
وزهرة عباد شمس تهاوت إلى الغرب ..
قبل الغروب
وهبت رياح الخريف تئن
وغطت جبال الظلام بقايا القمرْ
وصفَّر نائٌ حزين: وداعا.
-2-
وتهرب بذرة
الى جوف أرضٍ جديدةْ،
لتكمن فى الكهفِ بضع سنين قرونَا
يقولون خمسةُ، ستةُ، سبعْة
وكلبٌ أمينْ.
-3-
وثأر قديم يثور
صحا الديناصور
وغولُ يداعبُ عنقاَء وسط النمور ،
وروح الجنين الجديد تطل خلال شقوق الضياع،
فترتد رعبا.
-4-
تبيض الحمامة فوق السحابْ، وكلبهمو ...
يطاردُ جوع الذئابْ.
-5-
وذات صباح،
تمطَّى الجنينْ،
أزاح ظلامَ الهروب الجبانْ،
ونادى الوليد العنيد على الشمس، 'هيا، ...
هيا اتبعيني...
نهارٌ جديد'.

أكتوبـــــــر 2007 : الجـــزء 2

إصـدارات شبكـة العلـوم النفسية العربيـة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية للشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها وامشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

▪ المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجى (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

حكاية كاملة
الجزء الثاني

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007